

مصحف مصطلحي

في تفسيرات العصرية

للشيخ زكريا الكندي



مكتبة محمد المتعالي الجبوري

هذا الكتاب ...

الحقيقة الإسلامية تحتاج إلى أسلحة فكرية قوية لحمايتها ...
أجل ... حمايتها من تأثيرات المذاهب الهدامة ، وموروثات الفكر
التخريبي ، وضغوط الواقع للوجه ، وسيطرة التصور المادي
الأوربي ، وتغريفات بعض المتصوفة ...

ومشكلة الدكتور مصطفى محمود مع ثقافتنا من إخلاصه في
محاولة للتفسير العصري كما يقول أنه أقنعهم بحال الحقيقة
الإسلامية ، وجازف بالدخول إلى ميدان التفسير الصافي
للقرآن دون أن تكون لديه القدرة النافذة المنيرة على رصد
تسللات الأفكار المسمومة ، وعلى غلبة الموروثات النخبية .
وعلى تعويض الثرائب التي لحقت بالتصور الإسلامي
الضحيح من جراء بعض التصوف ، أو ضغوط الواقع ، أو
هيمنة الحضارة المعاصرة .

وال مؤلف هنا يحاور فقط الدكتور مصطفى محمود .. يحاوره
علمياً ، ولأن محاورته عليه لانه لم يطلق على كتابه هذا مثلاً
« مسالات مصطفى محمود » أو « خرافات مصطفى محمود »
أو ما هو أكثر من ذلك مما تلوه الآن ألبسة الناس . وتحدث
به جمهرة المسلمين .. وإنما أطلق المؤلف على محاولات الدكتور
الاجتهادية « شطحات مصطفى محمود » .. شطحات وكفى ..
فإلى عشرات الآلاف من الشباب المسلم المعاصر القى قرأ
للدكتور واغتنى بفكره تقدم هذه المحاورة الصليبية مع الطيبة
الكتاب الذي اجتهد فأخطأ .. لعل هذا التنبيه ... يسرفه
الحقيقة كما هي .. لا كما يتخيلها بعض الناس .

دكتور محمد المتعال الجبري

مطالع

ف
تفسيراته العصرية
للقراء الكرام

«إن البلاد الإسلامية قد وقعت فريسة
مصطلحات خاطئة ومنها مصطلح (العصرية) وقد
جنى هذا المصطلح على الإسلام جناحة كبرى»
المشترقة الأمريكية
مريم جيلة

طبعة مزيّدة منقّحة

دار الاعتصام

أ. صاوي حسن جيلاني - ت. ٢٠١٦/١٧/٢٨ - ص. ١٧٠ القاهرة
الطبع والنشر والتوزيع

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الرسول لا يحركك الدين من مكانه ولا يملكه لك دين ولا دين آلئك ولا دين آلهم ﴾
 ومن الدين هادوا ساعون للكذب ساعون للقوم آخرين . لم يأتوك بحرفون الكلم من بعد مواضعه .
 يقولون : إن أولهم هذا فخلوه . وإن لم تفرقه فاحملوا . ومن يرد الله فتنه فلا فائدة له من الله
 شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يفتح قلوبهم : فهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾
 الآية : 21

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله عليه الاعتد ، وصلاة وسلاماً على رسول الله وعلى آله وصحبه وحامل
 لقواء من بعدهم إلى يوم الدين وبعد :

لهذه دراسة تحليلية وعلمية عن « القرآن في محاولة فهم عظمى للقرآن » وعن
 « نثر الموت » الكاتبين اللذين أصدرهما الطيب الكاتب الصحفي (مصطفى محمود) .
 وقد عرضت ما قاله الكاتب بالفاظه واهتمت عرض الجيد الجديد ، أو الشيء
 بالجديد من الآراء التي سردتها في كتابه إنصافاً للكاتب ، ولتدبراً لسعة إطلاعه ، كما
 عرضت ما أراه مجانباً للحق بعيداً عن الصواب ، ومنزلاً لكرماً صادقاً عامهاً ، ولكنه
 عظيم على العقيدة والمفردات الإسلامية .

ولما كنت ما نشر من رهود ، فوجدت أنه لابد مع كل هذه الرهود والتجديرات في
 كتابة الكاتب ، من هذه الدراسة التي أقمها للكاتب وهواة الدراسة الإسلامية
 العميقة ، إسقاطاً للحق وبياناً للصواب .

﴿ ومن يبد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ .
 لقد قرأت ما نشره الكاتب بموافقت مختلفة ، لصمد له البعض ما كتبه ، واستنكر
 آخرون الكتابة في مجلة صباح الخير ، لجلال الموضوع ، وأنه لا يتناسب مع نوعية
 المجلة بين الصحف . وآخرون شجعوا الكاتب ، لا من حيث الموضوع ، ولكن لما فيه
 من جرأة تميز مكانة فقهاء الشريعة حين يحقروهم على لسان الصوفية ، وبهذا لخدمة
 للعلم الإسلامي فانها من وجهة نظر الجمهور ، كالاستهانة بذي الإسلام ، وكسبة علم
 طيب للصوفية بما يسمى الكشف ، وكأول مدلول ، شجرة آدم ، والجنة والنار

والحوار فيها ، والحساب ، والتفسير كل ذلك بما ينكره المسلمون ، مع الله ، بل ويبره ما لله من جلال حين يضي عليه أسماء وألقاباً بلغة المهنة .

فتستيق هذه الأبحاث مع الزمن في المكتبة الإسلامية ونحس مراجع . وتعد أقوالاً إسلامية صاعدة من باحثين مسلمين ، إذ يجهل الذين يأتون من بعدنا في العصور القادمة قيمة الكتاب العلمية ومدى أهليته لخوض هذا المجال . ويجهلون أنها مجرد خواطر كاتب صحفي ، ليست مثلاً يكتبه في مجال تخصصه وهو الطب . وآخرون أحسوا بالخطر الكامن في هذه الجرأة فقالوا : لا ينبغي نشر هذه الأفكار . فطفاً بعدم اختصاص الكاتب ، وعدم توافر الشروط اللازمة لخوض هذه الدراسة لديه . فلذلك تخصص في أي فن مزينة ، وهو ضرورة كبرى لا يجادل فيها إلا الجاهلون خباء الطولية .

وقدما قال الإمام مالك بن أنس : « ليس كل من أحب أن يجلس للحديث والتفتا جلس حتى يشاروا فيه أهل الصلاح والفضل . فإن أراه لذلك أهلاً جلس . وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك . » وقد جاء في الآثار ما معناه : يعمل هذا الدين في كل جبل عدوله أي الثقات . وهم المختصون الورعون الذين يشترن مما يقولونه .

وفي الحديث الشريف : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار . » وفي حديث لعمر بن الخطاب : « ولكنني أخاف على هذه الأمة رجلاً قرأ القرآن حتى أزلته . ثم تأولته على غير تأويله . »

والحق أن المفسر لكتاب الله ، أو القائل شيئاً في أمر الدين ، سواء كان شفهياً أو تحريراً ، وبخاصة ما يذاع منه حين يكون ما يقوله خطأ . إنما يعمل وزر عطشه ووزر من ضل به . والثواب الذي وعد الله به من اجتهد لأخطأ . أعشى أن يكون مقصوداً على الخطأ المقصود على الخطأ . لا الخطأ الذي يخالف ما عليه إجماع القئين بعد إجماعهم .

وإذا علمنا أن الصليبية والصهيونية العالميتين يتلقف رجالاً منها مقطعات بعض الكتاب المسلمين ويذيعونها ، وينون عليها مسائل خاطئة يستبطنونها . فإله يتضح لنا قيمة الخطر الناشئ عن حديث منحرف في الإسلام .

وتفكر أنه يجب على المسلم أن يكون ورعاً . يتحاشى أن يقول كلمة في الإسلام قبل أن يسأل عنها ويقتطها بحثاً حتى يطمئن قلبه . لقد قامت زوبعة حول الموضوعات التي أثارها الكاتب ، أما النقد الموضوعي الذي يتناول الموضوع في الصميم فلا يزال يحتاج هذه الدراسة . وهو عبء . وأتمنى أن يسد الثغرة كئيباً هذا وينفع الله به ويوفقني والأخ الكاتب للصواب ، ويمسحنا في طريق العمل الإسلامي ونحت ظل الحقيقة ، وراية القرآن .

عبد الصالح الجبري

الفصل الأول

عدة المفسر

- الاتجاه نحو التفاسير العصرية
- ما يجب أن يعلمه المفسر.
- سؤال وجواب.

الانجاء نحو التفاسير العصرية

منذ فجر هذا القرن تظهر بين آونة وأخرى تفاسير للآيات الكريمة والسنة المطهرة تعكس ما يبرق في العصر من علوم ونظريات جديدة ..

فالشيخ محمد عبيد وتلميذه رشيد رضا في المنار ، وعبد العزيز جادويش فيما نشر من تفسيره بمجلة أفق الإسلام ، مظهر للتأثر بالدراسات الاجتماعية ، وللتطلع في مصر والعالم العربي حينذاك إلى تغيير اجتهادى أساسه تلك الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي سادت عصرهم .

وفي الثلاثينات وأوائل الأربعينات ظهر الشيخ طهطاوى جوهرى بتفسير القرآن في ضوء سيطرة العلوم الكونية والإنسانية ، والتطلع إلى رتبة أكبر في مجال العلوم المختلفة ، ولخص ذلك في كتابه المسى « الحكمة الإسلامية العليا » ، وإلى جنبه قامت دراسات تفصيلية : مثل كتاب « الإسلام يترسم خطى الطب الحديث » للدكتور الطيب حامد النوائى ، وزادت هذه الدراسات كلها بهرنا العلم ، وهزنا الإحساس بما نحن فيه من تأخر . وآخر ما وصلنا ما نشره الطيب مصطفى محمود بمجلة « صباح الخير » في ديسمبر سنة ١٩٦٩ وأوائل عام ١٩٧٠ وهو لاشك يمثل في الطيب هذه التطورات الآتية في أن يفهم المسلمون الإسلام بروح يفدوها العلم ، وترفعها المعرفة من أعلى مستوياتها . كما أنه لاشك تمثل في كتابته صور لتلهف الظلمات إلى آفاق روعية متدفعة اندفاع من أنفاس الشيع من المادة بكل صورها ومعانيها حتى أحس بنقل أغلالها ، فكان اندفاع التأثر في قوة يريد الخلاص ... والخلاص وحده .. غير عانىء بأى شئ ، فوق في شطحات صوفية ردها الغزالي ، كما في تفسير الآتية : « إنك ميت » الزمر : ٣٠ (انظر مشكلة الأنوار للغزالي) .

ووقع في سقطات الباطنية ، كما سنشير إليه نقلا عن (فضائح الباطنية للغزالي) .. ووقع في أسر الافعال والرغبة في التعبير للتحرر المطلق انطلاق المراهق لم تهذب عبارته التقاليد المرمية .. في جنب الله .. ومجال الدراسات الإسلامية ... لم يعرف الالتزام

الذي يقتضيه المقام .. وإن كان له في ذلك محاولات تشكر في مدفعها . وتفتقر
النصيح المخلص فيها .

ورغبة في أن ينتفع الكاتب وأمثاله - في محاولاتهم المخلصة - بالقوانين والواجبات
المتبعة في هذا اللون من الدراسة ، أنشر هذه النشرات ، معتقداً عما إذا كان قد سقط
منى عبارة ، ربما لا تكون مرتفعة ورجيمة بكاتب له دراساته الواسعة . والكاتب وإن
نقصه في هذه المحاولة الأولى في الآفاق الإسلامية - كثير من التوفيق فإني أدعو : راجياً
الله أن يوفقه ويوفقنا لاكمال صراطه المستقيم .

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن الإلحاح على صوغ المفاهيم الإسلامية ونصوص
الشريعة في قوالب النظريات العلمية المعاصرة : له خطره على الإسلام ذاته في المدى
البعيد لحركة الحرب ضد الإسلام .

لقد حاولت المسيحية بأوروبا أن تجد نفسها : فأدخلت على شروح الإنجيل
دراسات في الطبيعة والفلك والرياضة والطب وثنى العلوم .. ودرست هذه العلوم
بقوانينها على أنها وحى مقدس ، فلما جدت نظريات أخرى قام صراع مرير بين جوائح
كل مندين انحط على مذهب من كلام الله وما هو من كلام البشر .. فدفعوا - عما ظنوه
مقدساً من الكلام - كل نظرية وبعت بغير ما اعتقدوه .. وبانتصار هذه النظريات
فقدت الكتب الشارحة للإنجيل قداسها . بل فقدت كل الدراسات المسيحية
(الإكليريكية) احترامها .

وأكثر من هذا فإنه قد أصبحت المسيحية في نظر كثير من أبناء الشعوب التي كانت
تدين بها مظهراً للتخلف فحجب محاربه بشدة . فأقيمت معارض ومناحف للإلحاد .
وعرضت المسرحيات والقصاص التي تشكك الدين وتسخر به ممثلاً في رجاله وأفكاره
ومفهومه .. بالصورة التي يعرفها كل من له إلمام بتاريخ الأديان .

ومن قبل هذا كان انبهار الديانة « الزردشتية » وسقوطها . عندما وضع في كتب
علماء الدين ومدارسهم التي كانت تهيمن على الثقافة - ما ليس من الدين من علوم
الفلك والطبيعة وغيرها .

فإنه بتجدد العلوم والفلسفات ظهر ضعف هذه الدراسات العلمية التي تضمنتها
كتب الزردشتية والفلسفة . فلم تقو على مصارعة التفلسفات اليونانية والمسيحية .

فقامت ثورات عليها ، وتمزقت شرموز : فظهرت المزدية والمناوية وغيرهما من فصائل
المجوسية ، واضطر كبار رجال الدين : بل وساسة القرس إلى أن يحسوا من (الأوفست)
كثيراً من التصوص المتعارضة مع العلم . معتقدين أن هذه خطوة تنفذ الديانة المجوسية
من سخرية العقل والعلوم الناهضة إبان ذلك . ونحن نتساءل .

هل تشجيع المستعمر لهذا الخط من التفسير أولاً ... ثم انسياق المخلصين في هذا
التيار - دون سوء قصد - ثانياً .. يُسلمنا إلى المأساة التي تحطمت المسيحية على
صخرتها ؟

إنها محاولات - لاشك - غير منها عدمها : وأولى ألا تسمى تفسيراً للقرآن
ومع ذلك قلن تستطيع أن تتألم من الإسلام شيئاً .

﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُونَ ﴾ الحجر : ٩ - وكم سبقت في كيد
محاولات فباءت بالفشل .

كناطح صخرة يوماً ليوبهها فلم يضرها وأوغى قرنة الوعل^(١)

(١) الوعل : تيس ليل . وجمعه أوعال . ووعول . ووعل .

ما يجب على المفسر أن يعلمه

أولاً : حفظ القرآن

على الذين يريدون أن يتصدوا لكتاب الله بفروونه أو يستنبطون منه شيئاً أن يتروءوا بالوعي التام للكتاب الكريم ، يحفظونه ، ويذكرون كل نصوحه - ويضعونها نصب أعينهم : حيث يرباط بعضها ببعض ، ويفسر بعضها بعضاً .

وإن عدم حفظ المفسر الكتاب أدى إلى وقوع تصحيف في بعض الآيات وإلى الاستشهاد الخاطيء ببعض الآيات : فكثيراً ما يتورط لمجمل آيتين أو أكثر على معنى واحد ، ويستشهد بها لأمر بعينه ، وتكون إحدى الآيات في سياق غير سياق الآية أو الآيات الأخرى .

مثال ذلك سرده ثلاث آيات متتابعة من الكتاب^(١) في الاستشهاد على يد نصرة ، وقد يكون في الحقيقة نقمة ، بينما إحدى الآيات ، آية التوبة نزلت في مناقب اللبنة الذين قعدوا عن الجهاد مع المصطفى ﷺ في غزوة تبوك ﴿ فَلَا تُصِيبُكُمُ الْمَوْتُ لَهُمْ وَلَا أُولَآئِهِمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

والثانية : في سورة المؤمنون الآية ٥٥ - ٥٦ نزلت في سياق الحديث عن قوم موسى ﴿ أَيْخُسُونِ أَنَّمَا لِيُؤْتِيَهُمْ مِنْ مَالٍ زَيْنٍ نَسَرَحُ لَهُمْ فِي الصَّغِيرَاتِ ﴾ .

والثالثة : في آل عمران : ١٧٨ جاء سياقها في الكفار من طريش ﴿ وَلَا يُحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطِلُّ لَهُمْ كِهْرًا ﴾ .

كما استشهد لشرحه^(٢) النفس من الشهوات بآية التوبة : ١١١ ، والبقرة : ٥٤ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ - ﴿ فَتَقَاتِلُوا ﴾ .

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من ٨٠ ط أول .

(٢) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من : ٩٠ .

أَنفُسَكُمْ ، ذَلِكَمِ عَمْرَ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ ﴾ . بآراء سياق الآية الأولى في وعد الله المجاهدين ، وسياق الأخرى في زجر عبدة العجل من بني إسرائيل .

ولا يمكن أن يجتمع المؤمنون المجاهدون والكافرون الظالمون في سياق واحد إلا عند من لا يفقهون .

وناقى في موضوع الثورى (ص ١٥٦) بخمس آيات سرداً ، مبتورة من سياقها وانتان منها فحسب - بقيلها موقف الثورى . أما الثلاث الأخريات ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ في : ١٥ و ﴿ لَدَّكَ إِنَّمَا أَنتَ مَذْكُورٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ ﴾ العاشية : ٢١ - ٢٢ - و ﴿ وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ آل عمران - ٦٤ - فإنه لا صلة لها بالثورى من قريب أو بعيد ، وإنما هي في حرية الاعتقاد ، والأجانب الأوليان في الكفار ، والثالثة في أهل الكتاب^(١) .

ثانياً : علوم اللغة

وعلى الذى يريد التفسير أن يتوسع في معرفة قواعد اللغة العربية بلاغة ، ونحواً ، ولغة ، وقد كانت أم المؤمنين عائشة تستشهد بالشعر العربى الجاهل عند بيان المعنى الثورى للكلمة من القرآن طبقاً للاستعمال العربى الأصيل .. وإنك لتجد القرطبي ملياً بالشواهد على الاستعمالات العربية للفظ القرآنية ، وكان ابن الأثير يحفظ للائمة ألفت شاهد من الشعر أو النثر على الاستعمال الثورى لألفاظ القرآن .

على أن من الخطأ أيضاً أن يفسر القرآن بمجرد إساحة اللغة للمعنى دون نظر إلى الله منزل الكتاب وإلى رسوله وأصحابه .

وقد عرضنا لأثر التفسير في هذه التواشى عند وجود مظاهر وتاليح هذا التفسير في (محاولة) للتفسير للعصرى ، وما ضل الباطنية وضلوا غيرهم إلا بالفهم النحرف في كتاب الله وسنة رسوله ، وأما فهم في كتاب الله لا يتضح هذه القواعد فهو رد .

وقد قال الإمام مالك : لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب ، يفسر كتاب الله إلا جعلته شكلاً .

(١) القرآن والتفسير العصرى لنت التاملى . من ٥٥ : ٥٦ ط أول .

يجب أن يتوافر للمفسر القدرة على اختيار أحسن الآراء ، والمعرفة بمصادر الأدلة حتى يمكنه ترجيح رأى على رأى ، ولهذا يجب الإلمام بمناهج البحث وقواعد المنطق وبخاصة القواعد التي تسمى : علم أصول الفقه ، ليتمكن الباحث من ذلك .

وليس يكفي مجرد معرفة الأصول من الوجهة النظرية ، بل لابد من التمسك بها من الناحية التطبيقية ، وهكذا قل في علم : أصول الدين ، التي تسمى : علم التوحيد ، أو علم الكلام ، وأصول الفقه علم : مصطلح الحديث ، وعلم الرجال ، فالتمسك بذلك واجب حتى تكون لدى الباحث الحاسة التي يميز بها بين ما يقبل من النصوص وما لا يقبل ، فكم من حديث ضعيف استشهد به الكاتب . بل كان يستشهد بما لا إسناده له ولا لهوث لروايته ، كالكذب المفدسة عند الكتابين : نصارى ويهود ، وهي كتب لا يعرف كيف وصلتنا ، وأساطير في نظر المسلمين بجهالة الرواة ، بل وفي نظر المشركين ، كما قال القرآن ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ الفرقان : •

وقد نسبت إلى بعض القديسين منهم ، ممن لا يعلم وزجه ، وبعضهم مختلف في ذاته مثل يوحنا : أهو يوحنا الخوارى أم الإسكندري ؟

هذا بالرغم من أن بعض هذه النصوص تخالف النصوص الإسلامية فيما عتده الكاتب خطأً بمرأ ﴿ وكثيراً ما سئلوا عن الله وهو جنة الله عظيم ﴾ .

لأن السبوطي : وكل لفظ احتمل معنيين لمساعدة فهو الذي لا يجوز كثير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتقاد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأى ، أمّا ما جرى مجرى الغيب والتشابه ، فلا قول فيه لأحد ، وإنما يرجع إلى الزائد عن الشيء - قط - وهذا هو سر وجوب التزوّد بالسنة النبوية المطهرة .

رابعاً : أسباب التزوّل

العلم بما ورد من أسباب نزول آيات الذكر الحكيم ، فإن العلم بالمسبب يوزن العلم بالمسبب ، ولهذا كان أصح قول الفقهاء أنه إذا لم يعرف الملقى أو المقاسى ما نواه المخالف رجع إلى سبب بينه . وما هيجهما والآراء .

ولابد من ذلك لأنه يعطينا : خط السير في البحث عن مواطن الهداية - والاسترشاد بها ، بالرغم من أن العبرة بمسوم اللفظ لا بخصوص السبب ، فإن من لا يعرف الخصوص لا يعرف العموم ودلالته ، وإذا قال الصحابي نزلت هذه الآية في كذا فإن البخاري يعد ذلك حديثاً مستنداً ، أي مرفوعاً إلى النبي ﷺ . وغيره يعدّه قسماً من الصحابي إلا إذا كان ما قاله فيما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا هو منقول من لسان العرب وإلا اعتبر مرفوعاً (١) .

والدراسة الواسعة للبيئة التي نزل فيها القرآن أمر واجب سواء البيئة الطبيعية التي تشمل في جغرافية الجزيرة العربية وما حوّلها . أو الاجتماعية التي تشمل في التاريخ والعادات والتقاليد والنظم التي كانت موجودة عند نزول القرآن كالملايس الشفافة أو العارية الصدر ، وكصنف الشعر ، أو صنف الضمائر (الضمائر) وكألوان الزينة ، وما كان من عادة اختلاط الجنسين ، وما إلى ذلك من صور الحياة .. كل ذلك إدراكه أمر لابد منه ، لتعرف - بموازنة ماضي الجاهل مع حاضره الاجتماعي - حكم الله ، وأين نحن من الإسلام ، ولتتبع الإرشاد الذي لوجه لنا الآيات .

وكم من ألفاظ كانت لها مدلولات في العصر الجاهل ، ثم صارت تستعمل في غير ما وضعت له ، أو وزدت فيه النصوص .. وذلك أن الألفاظ لها حياة وموت ، كالإنسان تواسر الأشياء ، ومن لم يعرف البيئة القرآنية الأولى وفيها مدلولات اللغة القرآنية ، ظن يستبين المراد من الآيات .

خامساً : علوم البلاغة

عاب الإمام عبد القاهر الجرجاني أولئك المفسرين الذين يتعرضون لتفسير القرآن من غير إلمام بالبلاغة فقال : « ومن عادة قوم - ممن يتعاطون التفسير بغير علم - أن يجرهوا في الألفاظ الموضوع على الجواز والتشليل أنها على طواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ، ويطلوا الغرض ، ويمحوا انفسهم واسمع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف » .

وناهيك إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه ، وجعلوا يكتفون من غير طائل .. وهناك ترى ما شئت من باب جهل قد قصوه ، وزند ضلالة قد قلصوها . ونسأل الله

(١) حكمة في أصول التفسير لابن تيمية ص : ٤٨ .

ولا بد من ارتباط المفسر بالجو البلاغي للآية . مثلاً يفسر مصطفی عمود لفظ « بعثوه » في الآية الكريمة « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ قَرِينٌ لَهُ يُضِلُّهُ » بأن معناه (يتصرف) : تفسير لا يعطينا المعنى الكامل الذي يتطلبه لفظ (بعثوه) .

فالحيوان أو الطائر أو الإنسان الذي بعثه ليكون له حيان ، ومع هذا فهو يتخطى فلا هو يريد أن يسلم قياده لغيره ، كالعبيان يفودهم المبصرون ، ولا هو مبصر يمشي على بيته فهو على عينه حجاب كالضباب حياً ، وكالفوضو الشديد الذي لا يستطيع أن يفتح فيه عينه حيناً آخر ، ولذا فهو يتحرك كما غطى خطوة ، أو يصطدم بشر من الشرور لا يشيه ، ويضرب في الحياة على غير هدى ، لأن مشاغل الدنيا تقف حجباً دون رايته الحق . فيظل في موقف مواجهة للقرآن يتخطى ، ويدوق آلام الضر والفضال ، وهو من قال الله عنهم « وَيَعْتَبُوهنَّ أَنَّهُنَّ بِمَعْشُورَاتٍ صَنَعْنَ » وهذا المعنى المأخوذ من الجو البلاغي للآية غير مدلول كلمة (يتصرف) التي قالها الكاتب .

إن الذي قبض له قرين من الشياطين بحمله شيطانه على اللجاجة ، ويخبر له الشر والعدوان والبطي . فلا يتصرف من الخفاصة أبداً ، ولا يلقى السلاح ، ولا يأس لفشل محاولاته المضادة .

سافساً : معالجة القرآن والتزامه :

ولا يكون هذا إلا بالتأمل الدائب في نصوصه ، واستنطاقها القنوي في كل ما بين المسلم ، أو يجري تحت ناظره من شئون ، وإلا بأن يأخذ نفسه بالكتاب الكريم ، ليستفتح له أبواب من المعرفة في أثناء التطبيق ، لا تتم للمتأمل فيه بنظرات تجريدية لفظ ، فهناك فرق كبير بين صورتين : إحداهما ناشئة عن نظرة تجريدية ، وثانيها ناشئة عن ممارسة تجريدية ، كطالب الهندسة أو الطب يدركان عند التطبيق كثيراً من المعرفة الجديدة التي يمكن أن نسميها « معارف التطبيق » لا يمكن أن تنال إلا بالممارسة .

فالذين يعيشون القرآن بقيادته وأخلاقه الرئيسية يحرون بنفس المواضع التي مر بها الذين نزل القرآن فيهم ، أو في عصرهم ، فيدركونه غصاً طويلاً صافياً تحبب كأنه ابن الساعة .

فالإيمان - الذي هو الموضوع الرئيس للمسلم - من حيث بيان أسباب السعادة والشقاء ، والأخذ بيده إلى ما فيه خير في الدنيا والآخرة بما شرعه له سبحانه من عبادات ، وبما وضعه من معتقدات وسير للأولين ، ونماذج لما في الكون والحياة من أمثال يستفاد من ضربها .. هذا الإنسان : عندما يعيش القرآن ، أي يحيا بالقرآن ويحيا القرآن فيه ، يجد أنماط الناس الذين نزل القرآن بحاجتهم ويدعوهم من متلفين وكفار ، وكتابين مغرضين أو يتنون الحق ، كما يجد أنماط المواقف التي قابلت الدعوة الإسلامية : فوقف يحتاج التبصير بالله إلهها واحداً ، والتبصير بالمسئولية والجزاء في الآخرة وحشية العدالة لصالح حال البشر في الدنيا .. كما كان ذلك في فجر الدعوة الإسلامية ، وموقف يحتاج الصراع والجدال ومواجهة التوتر النفسي ليسن يظهرون الإسلام ، ثم تأتي مرحلة التميز والتجمع للانطلاق بعد اشتداد الساعد ، والقدرة على الجهاد وإبراز الكيان الإسلامي وحيايته .

ولكل مرحلة متطلبات تترت فيا إيات ، بل ربما تكررت الآية لفظاً أو بالمعنى لتأكيد ما يجب معرفته أو عمله ، ولهم برزوه باعتباره الطابع الذي يجب أن يسود الآونة ، وفي الوقت ذاته هو الذي ياسب الموقف ، كتكرار الآيات في الصبر : والتوحيد ، والثواب والعتاب ، إذ تكرر في القرآن وطقى العصور لأن الحركة لا تستطيع الإغماض عنها أو التساهل فيها في أي مرحلة من مراحلها ، ولو كانت هذه العقائد الأساسية وهدت في نفوس المؤمنين لما تقدمت حركة الإسلام بروحها الصحيحة وطبيعتها القلدة ، وهذا هو السرفي شمول جميع سور القرآن موضوعات ثابتة ، ولكن في ألفاظ متجددة وأسلوب متنوع .

إنك لا تستطيع أن تفهم القرآن فهم صحيحاً وواضحاً إلا إذا آمنت به إيماناً يحركك في كل مواقف الحيوية ، كما حرك الذين صنعوا به التاريخ أو صنع بهم القرآن للتاريخ الإسلامي والحضاري ، فالقرآن كتاب حياة لها خصائصها .. وكما قال الشاعر :

لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

مأجداً : تحديد المسألة :

وكما حدد الدارس إطار المسألة التي يريد معرفة الوجهة القرآنية في شأنها ، لحدود

النواحي الأسامية في البحث ، واستخلص وجهات النظر البشرية حتى برزت له استقاة العجز البشري التي وقف الدارسون عندها مكتوف الأيدي ، فإن القرآن يُلجِّس بالإنجاة التي تسدُّ الثغرة في الفكر البشري^(١) .

ثامناً : العبرة بعدم اللفظ

قال العلماء : العبرة بعدم اللفظ لا بخصوص السبب ، فيتناول الحكم ما نزل فيه النص وما على شاكلته ، إما بالنص نفسه عند الجمهور ، أو بالقبول على النص ، أو بنص آخر عند البعض^(٢) .

ثامناً : معرفة القراءات

وعلم الدارس كذلك أن لهم بأطراف من القراءات التي قد تختلف عن قراءته التي تلاها القرآن ، وذلك لما تحدثنا به هذه القراءات من معان لا بد منها ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَا فَيَقْتَبِرْ ﴾ فقرأ بعضهم : (يقتبِر) . والتبيت يعطى المدي الذي يجب أن يكون عليه التبيين واستكشاف الحقيقة . وحتى القراءات الشاذة ينبغي العلم بها ، كقوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطْلِقُونَ ذَبْذَبَةً الْحَمَامِ ﴾ يسكن . نزلت في صباب ومضمان لبيان حكم الإفطار فيه وما يجب على المذنب . وقد قرئ : في الشواذ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطْلِقُونَهُ ﴾ أي يُحْتَلُونَ عليه ويطلقونه ، لا يطلقونه يسراً ، فهي تحدد نوع الطاقة ، وهي التي تكون مع بذل أقصى الجهد^(٣) .

وقد قرئ : (يَمْشُر) بفتح الشين ، فهو مشر من الفعل (عشي) - بكسر الشين - إذا عسى بألف في بصره .

أما القراءة المشهورة (يَمْشُر) فاس من الأهل (عشي) أي ضعف بصره بلا آفة ، فكأنه يتعالم وقرئ : (يَمْشُر) بعدها (يَنْقُصُ) برفع النملين ، باعتبار الجملة مكونة من مبتدأ وخبر ، وليست جملة شرطية كالقراءتين الأولى . وعلى هذا فهي تعيد ثبوت الخبر للمبتدأ ، وتعيد تجديد حكمه ، وكأن تقبض قرين من الشياطين يكون كلما تلمس المرء أو تجاهل شرائع الله .

(١) المرجع السابق ص : ٢٢ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية - المصليق ص : ٢٢ .

ومزية معرفة هذه القراءات : أنها تدلنا على أن من عصى عن الحق أو تعامى عنه حنيطاً وانحطاً إرشاد الله زاده الشيطان خوابة لأن الشر يولد الشر ، حتى يصبح المرء وكله صديق حميم للشيطان .

عاشراً : دراسة السيرة والسنة

وفي دراسة سيرة الرسول ﷺ وسنة وبخاصة الأحاديث التي وردت في تفسير كلمات أو آيات من القرآن وفي فتاواه ﷺ لأصحابه .

وفي التأثر من الصحابة ممن هم أكثر مآ دراية باللغة وبمواطن نزول القرآن وأسباب نزوله ، بل والتأثر من التابعين كمجاهد وقطاء وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب ، فقد نقلوا ما سمعوه عن الصحابة ولا نهد بينهم خلافاً ، غير أن منهم من يروي الحديث بالنص ، ومنهم من يرويه بالمعنى ، ومنهم من يغير عن الشيء بلازمه أو نظيره والمعنى واحد^(١) ، وفي الصور التطبيقية للإسلام مثلة في الرحيل الأول من حنبلته .

وفي كل ذلك ما يضع لنا معالم على الطريق الحق والمهدي ، حين نعرض لتفسير القرآن - لا يذبح عنها إلا هالك .

وفي القرآن الكريم : ﴿ فَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب : ٢١ . وهذا أمر لنا بأن نهتدى بالرسول في فهم الكتاب الكريم .

وقد جاء القرآن مؤكداً أن هذا الذي ذكرناه من دراسة سيرته وسنته وفتاواه بما هو صلب جيل الرسول ، وأجنا هو إتباعه ﴿ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ النحل : ١٠٠ . وقال سبحانه - في شأن الصحابة وتابعيه ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ الواقعة : ١٠ - ١١ وقال ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ النحل : ١٠٠ .

فهذه تصومس توجب علينا أن نأخذ عنهم أيضاً ، لأنهم مقربون وموضي عنهم من الله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة : ٩٦ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

وهذه الآيات شاهد لحديث البخاري الذي رواه عن رسول الله ﷺ (أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم) بالرغم مما قيل في سند الحديث .

بل إن النبي ﷺ صرح لنا بضرورة اقتفاء آثار الصحابة الراشدين باحتياهم في حياتهم الصور التطبيقية للرسالة التي جاء بها . فقال ﷺ (عليكم بسني وسنة خلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ)

خامس عشر : دراسة العلوم الكونية والاجتماعية

والعلوم الكونية والاجتماعية والفنسية والصوفية ، وكل ما خلق الله من معارف ، لا بد للمفسر من الاطلاع عليها ، فهي تعطينا شواهد تزيدنا يقينا بنسب القرآن إلى عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير ﷻ سترهم آياتنا في الآيات ، وفي آفهم ، حتى يتبين لهم الله الحق ﷻ فصلت : ٥٣ .

ولا شك أن حقائق العلوم المنوعة التي سبق القرآن تبينها وسبيل الوصول إليها من تجارب ومعدات علمية لم تكن موجودة عند نزول القرآن ، وما كان من الممكن - للعرب أن يعرفوا تفاصيلها - لا شك أن ذلك يزيدنا يقينا بأن القرآن من عند الله .

فهو يثبتنا يؤكد لنا علم الله بالغيبيات ، وحيثه على المخفوقات ﷻ ألا ينظم من خلق ﷻ وهو الطيف الخبير ﷻ ﷻ أنا كل شيء خلقناه بقدر ﷻ القدر : ٤٩ .

فهو يزيل من المعرفة تساعدا على تصور عظمة الله في كتابه المصور ، وأنه على المنهج الذي عهد عظمته في كتابه المنشور ، كتاب الوجود المنقذ أمام سبحانه خاشعين مسلمين ، بل مؤمنين قانتين .

فكما قيل : إن شرايع الله التي تتفاضل أمامها عقول الفلاسفة مجتمعين ، وإخباره سبحانه عن الغيب العلمي الذي أشار إليه في كتابه منذ قرون - ثم نطق في عالمنا ما سبق أن أنبأنا به - كل هذا يمنحنا الإيمان بصدق مبلغ الكتاب ، إيتا وهو الأئمة الأمين .

كما تعطينا اليقين بصدق ما في الكتاب من غيب آخر : موعد يوم الدين ومكانه في الدار الآخرة .

وأبحاثنا العلمية - معشر البشر - يتمكس عليها قصور مداركنا وقدراتنا . ومن ثم

فهو أقل من أن تفهم في صورتها كتاب الله . وإنما الصواب والمنطقي أن تفهمها في صورة كتاب الله فإن الكامل هو الذي يحكم على الناقص ، وهذا هو قول القرآن : ﷻ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهتدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ونفخ فيهم من الظلمات إلى النور بإذنه . ويهديهم إلى صراط مستقيم ﷻ المائدة : ١٥ : ١٦ . وعمل الذي يريد أن يفهم على أعلى منة يتطابق فيها العالمين أن يقرأ على الأقل كتاباً من كل نوع من هذه الأنواع ، ليعلم الحقيث من الطيب ، وليستوثق لنفسه مما يفتق مع فكره ، ويتأقش ما يعارضه ، ولتتكامل له جوانب عديدة للمفهمون التراقي .

فكل لون من التفسير مرآة تعكس من ناحيتها جانباً كريماً في القرآن ، على المفسر للقرآن أن يتطبع - وكذا كل جوانب الجبال في القرآن ، وإلا كان كمن أراد أن يعرض صورة لشيء فعرض صورة جزء منه ، وترك باقي الأجزاء محجوبة عن الأنظار ، إن مأدبة القرآن محتدة غسحة ، فعل من أراد أن يقدمها للناس أن يعرف كل ما عليها ، وما تحتها ، وأن يعرضها لمن أراد أن يقدمها إليه كاملة ، فلا يترك لها شيئاً عليها إلا كشف عنه وجلاء بحسب الورع المستبر .

كما أنه لازم لكيلا يحول على الآراء الضعيفة برغم بيان العلماء وجوه الضعف ، وفي هذا تحريف للكلم عن مواضعه وتفسير يعدنا عن مقاصد القرآن إلى مأرب الأشخاص وشهوانهم .

سؤال وجواب

وقد أثار البعض سؤالاً مضمونه هل لكل مسلم أن يفهم من كتاب الله ما شاء أن يفهمه ، كما قال أحد الخبازين لأمين أخيه الجامعي (خذ من القرآن ما شئت كيفما شئت)

وهل يمكن للإنسان أن يتلقى فهمه للدين عن أي شخص قادر على التعبير ؟
وجأ قال بعض الباحثين المحدثين (المعاصرين) : إن للمسلم أن يفهم ما يشاء ، ولكن عليه ألا يلجح على الناس إلا ما اتفقت عليه جمهرة المسلمين ، أو كان وجه الحق فيها بقوله واضحاً .

والحق أن المسلم كما أنه مسئول عن كل ما يذيعه - مسئول عن نفسه أيضاً - فلا يصح أن يعمل إلا في إطار الحقيقة التي لا يرتاب فيها ، والحقيقة التي تأتي على الرتبة هي ما كانت قائمة على أصول العلم وقواعده . فإذا كانت في التفسير فوُحِطَ فيها كل ما ذكرناه عند عدة المفسر .

وقد عرفنا أنه لا يجوز أن يتلقى الدين إلا عن وريح لا يقول إلا عن علم قائم على الأصول العلمية التي ذكرنا طرفاً منها خاصة بتفسير القرآن .

لالي عشر : روع الملقى وعذالته

وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن الفتوى لا تؤخذ إلا من الورع العبد ، فمن اشتهر بالفسق ، أو كان مجهول الحال ، لا تؤخذ عنه رواية الحديث .

وهكذا في التفسير : يشترط في مفسر القرآن أن يكونوا ممن عاشوا في تعاليمه ، وتكون لهم الحس الإسلامي المرفه ، الذي ينفي من آفاق فكره وسوسة الشيطان ، وزيف أفكاره ، كما ينفي الضيق المأهر الصلة الزائفة .

وهذا الشرط لازم لأن هنالك كثيراً من التفسيرات تحمل وجهات نظر متعارضة ، فالشبهة والمحرلة والفقهاء والصوفية والأشعاع والبلاغيون وأهل السنة من المتكلمين والاجتهادين والعلميين .. لهم في القرآن كلام .

... ..

الفصل الثاني

إعجاز القرآن

- ١ - في الموسيقى القرآنية
- ٢ - بماذا كان إعجاز القرآن ؟

أمثلة للإعجاز العلمي :

- السمع والبصر .
- آثار الرياح في الزراعة .
- بيت العنكبوت .
- الفرق بين السنين القمرية والشمسية .
- البصمات .
- الكشف الصوف .

١ - في الموسيقى القرآنية

يقول الدكتور : إذ كان الشعر موسيقاء الظاهرة التي تمثل في الوزن والقافية فإن كل كلمة في القرآن وكل جملة من الآيات التي تصدح موسيقاها الساحرة بين انطباعها بطريقة تدل على أن مصدرها غير متروك ، وبصحبها جلال ومهابة وروعة في التصوير والظلال التي ترسم المعنى . . . قد لا تتركها الآن بحكم العادة أو اليلادة ، أو الإغراق في العمامة ، حتى ذهبت عن أسرار الجلال في لغتنا العربية ، ثم زاد الطين بلة فساد الأداء من المرتلين الذين لا يصحب ترتيلهم الانفعال الذي يتناسب والمعنى الذي يتلونه ، وإنك لتخشع لسامع الآية يهرسها وموسيقاها حتى قبل أن تعيشها وتعلم معناها ، ومن ثم كانت ترجمتها ضرراً من الجلال ، ومحاولة فاشلة لنقل البناء العظيم في كل شيء ، مكانة وبهاء وصورة . . . لقد كان القرآن جديداً في معانيه ومبانيه ، إذ لم يكن للإنجيل في اللغة العربية نصيب ، فإن أول نص سبى مترجم إلى العربية هو مخطوط بمكتبة القديس بطرسبرج ، كتب حوالي عام ١٠٦٠ م ، والقرآن أصديقاً في عباراته . فترجموا النوراة بكرون أن إنجيرة يوسف استخدموا ، الحبيب ، بينا القرآن يذكر أنهم استخدموا العبر .

والجبار حفري لا يقوى على اجتياز الصحاري الواسعة من فلسطين إلى مصر ، بيننا الإبل هي الحيوان المألوف في هذه الرحلات .

والقرآن يحمل الدليل على أنه من عند الله . وليس هكذا عليه الصلاة والسلام فيه شيء . إذ أنه يعزل النبي بحياته الشخصية عن القرآن ، بل ويحتل بما يتناقض مع الرأي الشخصي للنبي ﴿ وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ١١٤ ، ويتزل عليه الكتاب ﴿ وَإِذْ أَنشَأْتُ لَهُمْ ﴾ .

وضيح في أوائل السور حروفاً مقطعة لم يكن النبي على علم بها : ﴿ أَلَمْ نَقِمْ ﴾ عشق ، وكأنها مفاتيح الشفرة .

● تعقيب :

وحسبنا ما قاله الكاتب ، غير أنا نسأله .

● أولاً : كيف يرمز النبي بحياته الشخصية عن القرآن وهو المثل البشري الذي جعله الله القدوة ؟ أليس من الحياة الشخصية قوله سبحانه للنبي : ﴿ لَمْ نَحْرَمْ مَا أُسْلُ إِلهَ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ .. ﴾ الآيات في سورة التحريم ؟ وقوله سبحانه : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُصَافِحْهَا فَضَلَابُ ﴾ الآيات ٣٠-٣٤ من سورة الأحزاب . وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ﴾ الأحزاب : ٥٩ .

● ثانياً : وكيف لا يعلم النبي مفاتيح الشفرة ، وهو حلقة الاتصال بيننا وبين الله .. وكيف يستأخر من المتحدث الرسمي عن الملك ألا يكون فاعلاً للبيان الذي يذمّه ؟ وقد المثل الأهل .

قد يقال : ولماذا لم يرد عن الرسول نص بمعناها ؟ والجواب : أن أصحاب النبي لم يسألوا عنها ، لأنهم فهموا منها فهماً ما ، ورضوا بما فهموه .. وكلم من كلمات في اللغة ، وكلم من ألفاظ في استعمالها لجهلها .. فكيف نسقط شعورنا بالجهل على رسول الله الذي علمه ربه وأدبه لأحسن تأديبه .. ومن الأدب العلم ..

ثم أنه واضح جلي أن هذه الحروف بقف أمانها العلماء موافق شئ ، كل منهم راض عن موقفه منها .. وهي بحيث تشع أنوار هذه المؤلفات طراً . ومتبع كتب التفسير يجد موضوع هذه الحروف مطروحاً للمناقشة بما تضيق عنه هذه الصفحات ، فليرجع إليها في المراجع الكبرى من شاء . ومعظم هذه الآراء تدل على بعض الجوانب التي لا تضيق بها هذه الحروف ، ولا تتعارض مع العقل والعلم :

(أ) قال بعض العلماء : إن السورة التي تبدأ بحروف هجائية مثل (ق - ن - م - ح - م) يطلب فيها الحرف الذي في المتأخر على غيره ، بحيث أننا لو عدنا أحرف كل سورة وقسمناها بمجموعات ، كل مجموعة تحت حرف هجائي لوجدنا أن الحروف التي ابتدأت بها السورة هي الأكثر في الكلمات ، مما يدل على أن هذه الحروف جاءت إشارة إلى ما قلناه .

فتلا في سورة (ق) كان ينبغي أن نجد حرف (ق) يتمم بأغلبية بين الحروف المجالية في السورة وهكذا . ولكننا بمراجعة السورة وتصنيف حروفها وجدنا اللام

وردت (١٤٠) أربعين ومائة مرة ، بينما لفظ ، ق ، ورد (٥٧) سبعاً وأحشسون مرة فقط . وفي سورة (ن) نجد أنها وردت (١٢١) مرة تماماً مثل اللام . ولكن التنوين وهو اللون الساكنة التي ثبتت لفظاً لا خطأ ولا وفقاً هي التي ترجع الكثرة . وقد وردت الحفرة ٦٦ مرة فالقاعدة إن صحت في (ن) باعتبار التنوين نوناً ساكنة لم تضيق في (ق) .

(ب) وفي سورة الشورى مثلاً ، نجد أن الله يضع الحروف ثم يطلق اسم الإشارة إليها ، ليدل على أن تركيب القرآن المعجز ، إنما هو من جنس الحروف التي في أيديهم ، وأن منتهى القصف البشري أن يعجز الإنسان عن أن يصنع بها في يده صنيع الذي يتخطاه . والمادة مطروحة بين يدي المتحدّي والمتحدّى .

﴿ حَم . عَم : كَذَلِكَ . ﴾ أي مثل هذه الحروف ﴿ يُوحَى إِلَيْكَ وَالْإِنِّ الْإِنِّ مِنْ قَلَمِكَ إِلهَ الْغَزِيرَةِ الْقَحِيمِ ﴾ .

والإعجاز ليس في الحروف ، وإنما في قدرتها على استيعاب ما لا يطيقه البشر من علم وإدراك وحكمة وجمال فني .

وكان الله يشير بهذه الحروف إلى روح المعجزة في القرآن ، وأنها ليست إلا لأنها منه سبحانه . فأعجزهم عن أن يأتوا بمثلاً في المقصود وفي الصياغة معاً .

(ج) ومن العلماء من يقول : إنها - أحياناً - تقع أصواتاً للتنبيه على أهمية ما يأتي بعدها ، فهي أشبه بأدوات الاستفتاح والتنبيه مثل : ألاً وكلاً وما .

(د) وقال آخرون : هذه الحروف ترمز إلى بعض صفات الله لأهميتها ، والمترجوا بعض الصفات التي تمثل جانباً من صفات الله ومتعلقاته . برزت في السورة المفتحة بهذه الحروف ، ولكن هذا قول ليس له سند مستند إلى رسول الله ﷺ .

(هـ) وقال آخرون : عند تفسير هذه الحروف : الله أعلم بمواده من هذه الحروف .

(و) وقال ابن حزم : إنها هي المشابهة الذي نبينا عن الخوض فيه ، ولم تكلف البحث عنه ، فالجري وراءه حيث ينبغي التورع عنه .

ومعنى ابن حزم بالنبي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ الْكِتَابَ ، وَبَنَى آيَاتٍ مُّحْكَمَاتٍ هُنَّ لَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُّشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الْآيَاتُ الْفُتُورِ لَمْ يَنْفَعُ لِقَوْمٍ لَّيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ مَا تَشَابَهَ بَيْنَ آيَاتِهِ الْفُتُورِ وَأُخْرَى فَأُولَئِكَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ فِي آلهِ عَمْرَان : ٧ .

(ز) ويرى بعض المعاصرين أن وراء هذه الحروف أسراراً لم يكشف عنها العلم

بعد ، ولقد يأتي المستقبل بما يكشف عن أسرارها ، فهي من باب الإعجاز باللب في باب العلوم التي يشير إليها القرآن قبل حدوثها بأجيال .

■ مأخذ بنت الشاطي :

قالت : تورط المفسر المعاصر في حديثه عن «العلماء القرآني»^(١) و «مصفوتية» سورة الفاتحة .

ومن قبله تورط الزميل الشاعر نزار قباني في مثل هذا حين بدا له أن يكتب إحدى قصائد السور القرآنية على نسق الشعر ، وغالته أن القرآن قد أمر على نقي وصفه بالشعر . ردّاً على زعم المشركين أن محمداً شاعر ، وأن القرآن شعر ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ .

وهي تريد بذلك خروج الكتاب على ما هو مأثور في الحديث عن القرآن والتبوء من انقضاء ألفاظ مناسبة يجب مراعاتها . ثم قالت :

ويؤكد التأويل المعاصر حشر مرات أن القرآن يتحدث بالشفرة والرمز والألفاظ الطائفة (ص ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٨٩ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٢) . وقال : إله سبحانه سوف يشرحه ويبيّن في مستقبل الأعصر والدمود بيننا قال القرآن ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ مَا لَزَلْ إِلَيْهِمْ : وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا يُتْلَى لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

أقول الحق : لقد تحيرت مع هذا التأويل المعاصر ، فحيث يقول مرات ، إن القرآن ليس كتاب علم (ص ٢٩) ولا كتاب فلسفة ولا سيرة (١٥٧ - ١٥٨ - ١٣٨ - ١٦٨) يؤكد في مواضع أخرى (أن التوحيد نشأت منه أعداد المعارف والعلوم) (ص ٣١٩) وهو يدلك على حلوم لم تعلم بعد .. وخدم إليك حكمة الأزل ، ودمتور الحياة ، وفلسفة الأخلاق والحكم واللاهوت وما وراء الطبيعة ، وفي المعاملات والحرب والسلام .. و... (ص ١٩٥ - وتسايق المفهوم فلا تكاد تلتقي بأذيال القرآن) ص ٢١٣ .

وهذا اضطراب موضوعي وقع فيه الكاتب .

(١) مصطلحي محمود : عبارة لقهم مصري للقرآن ص ٧ .

٧ - لماذا كان إعجاز القرآن ؟

لإعجاز القرآن مورد شتى ، فقد يكون إخباراً عن غيب سيأتي - وكانت الشواهد لا تدل عليه عند نزول القرآن ثم يقع هذا الغيب ، أو عن تاريخ مجهول تكشف الآثار عنه فيما بعد .

وقد يكون في الحجة البسيطة المفحمة كالد على منكري البعث بقوله ﴿ وَالْقِيَامَةُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ﴾ - وقد تحمل الحجة - مع منطقتها - من الحيوية ما يفتح النفس بوجهة النظر القرآنية ، بحيث تستنكف - فيما بينها وبين نفسها - من موقعها المضاد لظواهر القرآن .. كقول الله في الرد على عباد الأوثان بإظهار حقارتها التي تبرز حقارة عبادها في أدب وترق مناسب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَهُمْ لَلْعَذَابُ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَالْمُطْلَبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . (الحج ٧٣) .

ومن الإعجاز إحصاء^(٢) الباب في مجال الأبحاث التي ليس من الإمكان الوصول إليها مثل كنه الروح .

... ومنه أيضا الإيجاز في الإجابة إلى مايسيه البلاء ، أسلوب الحكيم ، كمن يسأل عن كيفية ظهور القمر من الغمام .. فيذكر له ما يمكن أن يتطوع به من دراسات الفلك .

ومن الإعجاز تشريعه الحكيم ، إلى جانب الديباجة والصياغة الساحرة الأخاذة بمجامع القلوب حتى لا يملك السامع - مهما كان كافراً - أن يغفل إعجابه وتعظيمه لما سمع .. وأحيانا يسجد للقرآن - مع كفره - كما حدث لمن سمعوا النبي يقرأ النجم الحق انتبها إلى قوله سبحانه ﴿ فَاسْتَجِبُوا لَهُ وَارْجِعُوا ﴾ تسجد الجميع مسلمين وكفاراً . وقال الكاتب : إن الإعجاز راجع إلى اللفظ ، بما يستثيره في القلب من إحياء

■ إحصاء : إحصاء : الفصل لوسد ، يوبد .

غامض .. مع انساق كلماته للمعاني والموضوعات المعروضة على السامعين ، سبوتة أو جزالة .. شدة أو رقة ، بحيث تستثير الإحساس التامض بالخصوع من قبل أن يتخطى الفصل ليحلل ويفكر ويتأمل .. وقد تحدى الله الدنيا أن يأتي أحد يسورة أو آية من مثل القرآن ، فكان المعجز الدال على الإعجاز^(١) .

أمثلة للإعجاز العلمي :

ذكر الكاتب من أمثلة الإعجاز العلمي بعض الكشوف العلمية الحديثة التي نُتِيت إلى أن إشارة القرآن إليها - قبل التوصل إلى معرفتها بمئات السنين - هي التلبيل على أن القرآن بلفظه ومعناه نزل من عند الله ، مصداقاً لرسوله ، وهداياً إلى صراط مستقيم .

السمع والبصر :

فالقرآن عندما يتحدث عن السمع يبيته ذكر البصر في أكثر من سبعة عشر موضعاً ، كقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ السجدة : ٩ . وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الحج : ٧٥ ، لأن السمع أعقد وأرفع من جهاز الإبصار في الإدراك .

ومع ما قاله الكاتب قال علماء البلاغة : إن هذا الأسلوب يعرف بأسلوب (مراعاة النظر للنظر) .

فلذكر حاسة من حواس الإدراك تجذب انتباه السامع إلى السؤال أو التفكير في أقرب حاسة أخرى من حواس الإدراك ، فكيلاً يثبت الفهم أو تتوزع النفس كان من بلاغة قول الجبريل بالغوس أن يوصد الباب بذكره النظر ، وهذا باب جمع من أبواب البلاغة .

آثار الرياح في الزراعة :

والقرآن يتحدث عن أثر الرياح في سوق السحب والأمطار والرياح ذلك ينصب الأرض ، كما أن الرياح تحمل اللقاح لنباتات وأشجار أخرى^(٢) ، ﴿ وَتَوْمَكُمُ الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ الحجر : ٢٢ .

بيت العنكبوت :

وقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ إِذَا عَلَتْ يَتًا ﴾ العنكبوت : ٤١ . فأنث الفعل ليدل على أن التي تصنع بيت العنكبوت أنثى ، وليس الذكر ... واختار التشبيه بيت العنكبوت ، لأنه أسوأ البيوت ، فالأنثى تفتل الذكر عقب تليفه لها إذا تمكنت منه ، ولذا فإنه يادر بالهروب ... والبيض حين يفقس يأكل الصغار بعضها بعضاً ، كما يفترس للعنكبوت كل حشرة تقع في شباك نسيجته .. وعبر الله عن الوهن - وهو الضعف - فسيبه إلى اليت لا إلى الحيط ، لأن غيط العنكبوت أقوى من مثيله في الشك لو صنعنا مثله من الصلب ، فهو في مائة ثلاثة خيوط صلب ، وهو كذلك أكثر مائة ومرونة من غيط الحزير ، والعرب ، بل كل العالم لم يكتشفوا هذا إلا بعد نزول القرآن بمئات السنين^(٣) .

تعقيب :

وقد أخذ على هذا التأويل أنه يسمح الصورة الأدبية ، ويفقدها الأثر المنطقي المراد في بيان فساد ألوهية الأوثان ، كما أن اللغة تشترك في التسمية بلفظ الخلل والخلل والعنكبوت بين الذكر والأنثى ، مما يعطى عيال الكاتب ، للفظ العنكبوت يطلق على الذكر والأنثى .

الفرق بين السنين القمرية والشمسية :

قال الكاتب :

وفي الحساب الفلكي . قال تعالى ﴿ وَلْيَلْبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ﴾ سورة القصص : ٢٥ . إذا حسب الزمن بالسنين القمرية^(٤) .

تعقيب :

أقول : ولا شك أن هذه إشارة مستنبطة لم يقصد القرآن إليها قصداً ، فالقصبة وقعت - وكان الزمن من قبل نزول الآيات تسعاً وثلاثمائة سنة كما قال المفسرون . وقال آخرون : بل المراد حكاية الخلاف بين أهل الكتاب في مدة نوم أصحاب

(١) المرجع السابق ص ٢١١ : ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٣ .

(١) القرآن محاربة كفهم عصرى لقرآن ص ٢٠٦ : ٢٠٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٢١٠ .

الكهف . قال بعضهم ثلاثمائة سنة ، وزاد بعضهم فقال : تسع وثلاثمائة سنة - تماماً . كما اختلفوا في عدد أهل الكهف . ولذا قال تعالى معقياً على هذا الخلاف : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ . الكهف : ٢٦ .

ولأن تحقيق الفرق الزمني البسيط تاريخياً في هذه القضية لا يبنى عليه كثير فائدة ترك الله ذكره ، ليعلمنا كيف يجب أن يترك بعثت مالا جلوى منه .

● البصيات

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ جِجَلَةً ؟ بَلَى قَاسٍ مِمَّنْ عَلَى أَنْ تُنَوَّى بِتَالِفٍ ﴾ القيامة : ٣ : ٤ . فأشار إلى أن اليتام غير متساوية . وهذا هو الأصل في الانتفاع بالبصيات عند إثبات الشخصية ..

لعم العلم بالغيب من الكشوف العلمية ... نرى أن كل لفظة لها بلاغتها المعجزة في اختيار المكان المناسب وانتقاء اللفظة دون غيرها للتعبير عما يراد منها ...

وكل هذا كلام سبق الكتاب به .. ونحن لا نناقش رأياً أفاض فيه الكتاب من قبلنا . فهناك كتاب محاسن لبلال في إعجاز القرآن ، وآخر لمصطفى صادق الرافعي ، كلاهما يسمي إعجاز القرآن .

وقد ذكر هذه الآراء وغيرها .. وفي مقدمة تفسير القرطبي ذكرت وجوه عشرة للإعجاز ... ولكن الذي يعنى فوق ما لبثت إليه - هو ما دعا إليه الكاتب من خرافة الكشف الصوفي .

■ الكشف الصوفي :

قال الكاتب : القرآن يدلنا على .. غيب محجب مطملم لم يكشف إلا لفظة من المختصين من أهل التصوف .

■ التعقيب :

وتصور الكاتب أن التصوف يكشف لهم عن غيب .. تصور خاطئ - يضاد صريح قول الله : ﴿ يَعْلَمُ بِيهِ وَيَعْلَمُ مَا لَمْ يُكُنْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا كُنْ مِنَ الْغَيْبِ ﴾ (١) أن قُلْ إِنَّا لَا نَدِيرُ وَبَشِيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ الأعراف : ١٨٨ . وقول الله :

(١) في المجلة (غل لو كنت) وهو خطأ .

﴿ وَجِئْتُهُمْ فَأَخْبَرَهُمُ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام : ٥٩ . والجمل التي فيها نبي بعده لفظ الاستثناء ، إلا مثل قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .. يفيد القصر ، فالمعنى أن الغيب خاص علمه بالله وحده ، لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب . فضلاً عن متصوف بلهث وراء مقام النبوة ، وبحال أن يصل إليه .

ألا ترى كيف أثبت الله أن علم الملائكة محدود بما يعلمهم إياه ربنا .. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ البقرة : ٣٢ .

ثم ألا ترى كيف جمع الله مختلف مجالات الغيب وجعلها من محبرات علمه عن غيره فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْتُمُ غَيْبًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْهَمٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ آخر سورة الفان .

فأخبار الآخرة من أول مدخلها وهو قيام الساعة ، وأخبار الجو والخصب والرخاء ممثلاً في الغيب : وأخبار تكون الشخصية والحمل والإخصاب ، ومطامع الأزواج في الأولاد ممثلاً في علم ما في الأرحام ، وأخبار النشاط الاقتصادي بأنواعه ، وكل أنواع الكسب المادي والعلمي والاجتماعي ممثلاً فيما تكسبه النفس في مستقبلها ، على وجه التحديد والمجزم ، وأخبار الموت والأجل ، كلها من الغيبات التي هي لله وحده . فافاً يريد أن يقول القائل بعد ذلك ، أو يستطيع أن يدعي أنه مما يكشفه الصوف ولا يدخل في هذه المجالات ؟ اللهم إنه لا شيء .

التصنيف الثالث

المتوحيد

● لا إله إلا الله

نظرية الفيض أو العلة
أسماء الله الحسنى
تحريف معاني الأسماء الحسنى

■ أسماء الله

الحق القويم وخطأ الدكتور في تفسيرهما
الهجرة وخطأ الدكتور
الشعور بالعمل الصالح
خطأ الموازنة بين التصوف وبين اليوجي والراهب
بشرية الأنبياء
الإدراك الصوفي
الدعاء والصوفية
ذم الصوفية لعلم الفقهاء .
■ رب واحد ودين واحد .

● لا كهنوت

متى تسقط التوبة الجدة ؟
هل الرقيق مظهر للبطالة ؟
تشويه التاريخ الإسلامي .

لا إله إلا الله .

■ نظرية التيهي أو الله :

إن لكل علم منطقاً خاصاً ومصطلحات دقيقة .. لا يسمح الإنسان الذي يحترم نفسه لنفسه ، أن يتجاوزها .. والكاتب شرح قولنا « لا إله إلا الله » بقول الصوفية المعروف « لا نوجد نحن إلا الله » . أما غير الله فمجرد صور تشرق وتغرب ، ثم قال (ص ١٨٤) ومن ثم « لا إله إلا الله » ، منه ينبع الكل . وإليه يعود الكل .
فكره « منه ينبع الكل » .. نشعرنا بقول الفلاسفة الوثنيين بأن الله يُفيض ، أو تنبثق منه الموجودات كانبثاق النور من الصباح الكهري عند وجود الديار ، وكوجود الإحراق من النار عند مجاشها .

وهي فلسفة تعني نشأة الوجود عن الله بطريقة وجود المعلومات عند وجود العلة ، ووجود المليات عند وجود السبب .. ومعنى هذا أن الله قائل الإرادة . ولذا لال علماء التوحيد :

ومن يضل بالطبع أو بالملّة فذلك كفر عند أهل الملّة
فالخلق لا ينبع ولا يفيض من الله كما تنبع المياه من الآبار والنباتات من تلقائها ، وإنما كما قال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف : ٥٤ - ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ النسر : ٤٩ - ولم يقل : ينبع منا ، أما كيفية الخلق لموضوع آخر .

ونحير لنا أن نعلم بأننا لا نعلم كيف كان الخلق ، والحديث في هذا المجال ضرب من التيه والضلالة ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ الكهف : ٥١ - قلم نتاج وتأمل وتلاحظ خلق الله ، لتستفيد في حياتنا الطيبة والزراعية والصناعية من هذه التاملات كما أمرنا الله ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يونس : ١-١٠ .. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ العنكبوت : ٢٠

يعنى التعرف على الإعجاز في كيفية بدء الخلق . وعلى أن الخلق طفلة ملحومة ، ولكنها مجهولة السر . وكذلك يكون البحث مجهول الكيفية . ولكن حقيقة من الإمكان ، بمثابة بدء الخلق المعلوم الموجود ، المجهولة كيفية نشأته .

والدليل الفلسفي على استحالة أن يكون الخلق نوعاً من الله أو قبضاً منه ، فلو أن وجود الله سبب أو علّة : أن الله سبحانه وجوده أزلي كما هو أبدي لا ينتهي . ولو كان وجود العالم بطريقة السببية ، أو التبع أو القيص لا كسب الخلود ، لخلود السبب وأبدية وجوده ، أعني بالسبب الخالد - الله سبحانه .

وأنا متأكد أن الكاتب لم يقصد مترج الفلاسفة ، لأنه قال بعد ذلك : « هو المولى الباقي يعطى الحياة لكل ، ولا يستمد حياته من أحد » .

ثم انعكس الكاتب فقال : « منه المبدأ » ثم استفهام فقال : « وإليه اللآب والمنتهى » . مما يدل على أنه يريد المعنى المجازي ، لا الحقيقى للكلمة ، وهذا مالا ينبغي أن يقال في مجال العقائد وفي البحث العلمي . لأن الأسلوب العلمي يوجب اختيار الألفاظ الدقيقة في دلالتها .

■ أسماء الله الحسنى :

جاء في الصحيحين : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة » . وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ اذْكُرُوا اللَّهَ - أَوْ اذْكُرُوا الرَّحْمَنَ أَيُّهَا قَدْ خَلَقْنَا اللَّهَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى ﴾ الإسماء : ١١٠ - وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا . وَكَوُنُوا الَّذِينَ يُلَاجِلُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الأعراف : ١٨٠ .

ومن ثم وجب علينا إذا ذكرنا الله أن نذكره باسم سئى به نفسه في كتابه . فلو على لسان نبيه ، أما أن نسيه سبحانه - « المهندس أو الأسطى » أو « المعلم » أو « الساتر » .

لمخروج عن الأدب مع الله .

وهكذا قل في كل الصفات .

وقد تحدث الكاتب عن أثر الإيمان بوحداية الله كلاماً طيباً ، وأنها تبعث في المرء الثقة بالله فيطمئن المتوكل - لا المتواكل - في حياته ، وفيما قاله : « ونحن في الدنيا مثل هذا المسافر ، نحاول في منه ونشاط أن نحجز لأخسنا نحن الأُسْكَة في هذه المركبة التي اسمها الدنيا ، وفي نفس الوقت نسلم الأمر في ثقة وتوكل تام ، إلى السائق الذي

يقود هذه الدنيا ، وثق في قوائمه .. وهو الله ، القادر الذي تفوق قدرته ومهارته جميع السابقين .

ثم قال بعد ذلك : والله هو « المعلم الأول » .. وانظروا المعلم يطلق على أرسطو ، والمعلم الثاني يطلق على أبي نصر الفارابي (٨٧٠ - ٩٥٠) .

ثم عاد فقال قول الجبرية : « قاله هو المعلم ، وما الجامعات والمدارس إلا أسباب ووسائل » .

وفي الكلمات المشتركة بين كل اللغات كالألم والأب دليل على أن الحروف توقيفية بلعام الله وحده ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

أيرضو الطبيب أن يتأديه بالأسطى الماهر ، أو (المعلم) باللغة المصرية الدارجة . ثم بعد هذا انتهاكاً لكرامته مها كانت التبة من القائل مغلطة ؟

أو يرضو السيد الكاتب أن يمتدحه بقول الأعرابي الأول : أنت كالكلب في حفاظك للود - وكالسنيس في غمراخ الخطوب والله المثل الأعلى - أستغفر الله لي ولأخي وأخواتي من الناشئين في الكتابة عن الأدباء .

■ تحريف معنى الأسماء الحسنى :

ثم مضى الكاتب قائلاً : (إن كلمة لا إله إلا الله بالنسبة للمؤمن ليست حروفاً ، ولكن منج حياة وشرعية قلب) - ويقول الله عنها في حديث قدسي .. لا إله إلا الله حصني ، فمن ظفها دخل حصني .. ومن دخل حصني أمن عذابي » ، وهو النور ، به نرى الأشياء (١) .

وهو قول طيب ، ولكن سقط للكاتب في شرحه اسم الله .. « النور » بأنه هو الذي نرى به الأشياء ، وحى كلمة تسقط من الصوفية الناطقين في فلسفة « الحلول » ، فالنور شيء مادي . والله ليس مادة .. وحى لو قلنا « النور حرمي » .. فأنه ليس بقرص . فلو قال : وهو النور ، بكونه وضفه سبحانه نرى الأشياء ، أو قال : « هو واجب النور للمعين والعقل والقلب » . فكان الكلام واضحاً ..

(١) المرجع السابق - ص ١١٩ .

وما أعلن الكاتب يعني نظرية الإلهاد التي تجعل الله نوراً مادياً .. ونُعَارِى أمره أنه يردد معاني ذكرها القرآن في مشكاة الأنوار.

وسر الخطأ - كما بينت - عدم الارتباط بقواعد اللغة في فهم القرآن ، وعدم تعرف وجوه القراءات الأخرى . فالحق قال في كتابه : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ في النور : ٣٥ . وكلمة النور هنا مثبته ، والله هو المشبه ، وبسط حارسى الالفاظ يعرفون ذلك ..

ويمكن أن يقال : إن لفظ نور ، بمعنى النور للسماوات والأرض ومن فيها ، ينير الأبصار والبصائر ، وقد قرئ في إحدى القراءات ﴿ اللهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

لهذه القراءة تفسير المرات وتنجيتنا من الخلط الذي يقع فيه الملاحدة ونحصرهم الإسلام الذين يضلون المسلمين ويضلونهم بانتمائهم لهم وظهورهم بظهر الشطرف في الدين ، وينطرح بفكرهم المخلصون أصحاب الطرق الصوفية .

والدليل على أن كلمة نور ، لا تعني أن اللفظ على الحقيقة قوله في صفة النور ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ كما يشكك فيها بعض أصحاب ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ في النور : ٣٥ فأضاف النور إلى تسميته نفسه فقال ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ ، وإضافة ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ إلى تسميته سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره .

أسماء الله

الحق القيوم

تحت عنوان أسماء الله : تحدث عن الحق القيوم فقال : ﴿ اللهُ يَسْجُدُ مَنْ لِيُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ الرعد : ١٥ .. لأن الكل يجري على سنن الله الطبيعية التي أنعمها ، ويخضع لقوانينه التي رسمها ، وما أكثر هذه القوانين : مثل قانون الضغط الأزموزي ، وقانون التوتر السطحي ، وقانون تماسك العمود المائي ، وكذا التوازن الكهربائي والأيوني في المحاليل ، وقانون التفاضل الكيميائي بين هورمون وهورمون ، فيكون الواحد منها حاكماً على الآخر ، وقانون الفعل ورد الفعل ، وقانون رفض الفراغ .. هكذا بدأ الكاتب مقدمته ثم قال : « الله وقوانينه قائم على كل شيء من الفترة إلى الفلك ، به وقوانينه تقوم الحياة لهو قيوم ، هو الحق الذي به الحياة »^(١)

موطن الخلق :

ما قاله الكاتب حسن : فعلا بقوانين الله تقوم الحياة ... وعرضها لأمر الله هو سجدتها ، وهي لا تخلد على القانون الذي أجراها الله فيه أجزاء وجملة .. وهذا يؤكد قوله سبحانه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِ ﴾ في الروم : ٢٥ - فانتظام الحياة في أمر الله تبعاً لما خلقه من قوانين وذلك الانتظام هو مظهر قيام الله على الوجود .

(أ) وقول الكاتب ﴿ به .. وقوانينه ﴾ : يشعرون أنه يقصد أن الحياة كما يقول الفلاسفة ، ليس فقط قائمة بأمره المتمثلة بصورته التنفيذية في القوانين الطبيعية وغيرها ، ولكن لها اتصال بذاته .. اتصال العلة بالمعلول .. والضوء بالشمس ، أو أنه يقصد

١. القرآن معلومة فهم صدى القرآن : من ٩٧ : ١٠٠ .
(١) المرجع السابق من : ٩٨ .

« النظرية الزمنية لله » التي تقول : إن الحياة وليدة الكون كذلك . والله هو ذلك التركيب في صلب الكون الذي سمح بالحياة وبالرفق فيها ، فو نظرية (الله - المادة - الزمن) الرياضية التي تنتهي إلى ما انتهت إليه النظرية الطبيعية السابقة^(١) . أو أن الكاتب يعنى نظرية الفيض الفلسفية ، وذلك لأن المصطلح يقتضى المقابلة .

فإن أراد بلفظ « به » قوائمه سبحانه ، فنحن معه . وإلا فقد ناه في ضلال الفلسفة . وما أظنه يعنى هنا ، ولكننى أريد التنبيه للسذج ، ولئن يتأخرون من بعدنا فيظنون أننا - إذ نكون تراثاً لنا قد استننا التي تعصنا من أن نطلق بكلمة دون أن نعنى^(٢) مدلولها الخاص .. فلفظ العلم تألى الإطناب بغير الألفاظ المحددة للبيئة المراد بدقة . (ب) وتفسره (الحى) بمعنى الذى به الحياة ، يتضمن دعوى الفلسفة الإشرافية .

وإن أراد بحملته أن الحياة لا تكون إلا بأمره وقوائمه .. فقد سبق أن قلنا : هذا تفسير اسمه ، القيم ، أو القيام ، كما في قراءة أخرى فامعنى « الحى » .. إذن ؟ قال ابن كثير في تفسير آية الكرسي : (الحى) في نفسه ، الذى لا يموت أبداً . والقيم لغيره ، وكان عمر يقرأ القيام .. لجميع الموجدات مفتخرة إليه .. وهو فى عنها ، ولا قوام لها بدون أمره .. ولرق كبير بين أن تقوم به ، وبين أن تقوم بقوائمه وبأمره ..

● الهجرة :

قال الكاتب عن الصوفية : ويقولون : إنهم في هجرة دائماً إلى الله من الأكوان إلى المكون .. وهى غير الهجرة المعروفة على الأرض من مكان لآخر .. وهذه عندهم أشبه بدوران حمار الرمح : يبرح المكان ليعود إليه .

أما الهجرة الحقيقية فهي الانتقال من وطن المملك إلى وطن الكوكب ، ومن وطن الحى إلى وطن المحى^(٣) .

(١) فقد استقبل الثقافة في مصر لسيد قطب ص ٢٦ - ٢٤ وهو ما نشر في الكتاب في كتابه (الله والإنسان) ص ١٠٠ ، ١١١ .

(٢) القرآن : محاولة لفهم معنى القرآنة ص ١٠٠ - ١٠١ .

● موطن المختار :

لقد اندس في طريق الصوفية - كما اندس بين الشيعة - من أعداء الإسلام من وصلوا إلى مكانة رفيعة توهلهم للتوجيه الشيعى أو المصوفى .. ففتشوا سمومهم في أكام من الزهر أو كتوم من العسل .. وهذا الذى رواه الكاتب بمعلنا صورة من صور التحضير لتعاليم الإسلام ، والسخرية الملفقة من آيات القرآن ...

إن الهجرة إلى « المكون » كما نكون بالتجرد إليه سبحانه من شواغل الحياة ومطالب النفس ، تكون بالانتقال من وطن إلى وطن ، ومن مصر إلى مصر ، لا طلباً للدنيا ، ولكن رغبة في نشر دين الله ، أو حياة المرء دينه وحفظه في نفسه إذا غشى الفتن في وطنه الذى يهاجر منه .

وهذه الهجرة المكانية تتناول الهجرة إلى المكون وإلى الكون معاً ، والأول هى ما يراد بقوله تعالى : ﴿ هَاجِرُوا إِلَى اللَّهِ إلی لَكُمْ مِنْهُ نَافِرَاتٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ .. ﴾ (المائدة ٢٠ ، ٢١) وهى هجرة على سبيل المجاز اللغوى .

والهجرة المكانية هى الهجرة الحقيقية ، خلافاً لما قاله الصوفية ، لأنها هجرتان : هجرة إلى الله وهجرة إلى مكان معاً ، لأن الهجرة إلى المكان إذا لم يصحبها هجرة إلى الله الذى سماه الصوفية (المكون) لا تسى في حرف الشرع هجرة ، كما في الحديث الأول من صحيح البخارى .. « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وبما يعظم الله شأن الهجرة المكانية ، وينص على أن الهجرة التى يعرفها الشرع تنسب أساساً بالمكان رغبة فيها عند الله فيقول : ﴿ وَمَنْ يَهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَافِقاً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾

فينص على أن الهجرة التى هى موضع التجديد إنما هى . (في الأرض) ، ثم يؤكد هذا مرة أخرى فيحدد المطلق وهو البيت لا النفس فيقول جل شأنه : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِماً ﴾ . (النساء : ١٠٠) .

وكما حدد الله المطلق : أكد أن الهجرة بتبته ومكانية ، وأنها إلى مجتمع البشر في

أرض البشر ، والمَلَكُوتُ ، لا الملكوت الأعلى ، فقال ﴿ وَالَّذِينَ قَبِلُوا الْفِتْنَةَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ يُحْسِنُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ الحشر : ٩ - فلهجرة في الآية كما ترى - هي إلى الناس من الناس - وليست هجرة فكر وغيايل إلى عالم اللال أو ما وراءه . وبينما تؤكد الآيات الهجرة بأنها في عالم الحبس والأوطان والأمكنة ، وتعتزم ذلك .. نجد الصوفية يسخرون من ذلك ويصفون المهاجر - الذي أتى الله على من كرمه من الأنصار - بأنه كحمار الرحى .

بهذه البداهة يوصف المهاجرون في سبيل الله بغيرهم ولديهم ، توهيتا من شأنها ، والله يعلم إن شأنها العظيم .. لأن هذه الهجرات هي التي تبنى شخصية للمهاجر ، وتشر مبادئ الإسلام في كل مهجر .. وتذيعه نفا في الخافقين . فأراد خصوم الإسلام أن يحددوا الاسم من أهم حوامل الدين والاعتقاد ويقتضوه في الصوامع ، ويشلوه عن الحركة ، ويسجنوه في هياكل بشرية .

إن الحق على الإسلام وأسلوبه في الدعوة ليبدو جليا في هذه العبارة البديعة .. وصدق الله العظيم : ﴿ وَلَقَدْ قَرَّبْنَاهُمْ فِي كَعْنِ الْقَوْلِ ﴾ - محمد : ٣٠ - ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَلِيْبًا ﴾ - الكهف : ٥ - ﴿ وَمَعْمُورُونَ وَمَعْمُورُونَ ﴾ - الأنفال : ٣٠ - وصلى الله على نبينا محمد ﷺ ، إذ أخطانا الموازين التي نعرف بها من نسمع إليهم ، ومن نصم الأذان عنهم ونجنب مجالسهم ، فقال : « ليس المؤمن بطمان ولا لقان ولا فاحشي ولا بذيء » . فما ظنهم غير (إسلام) على الأمل ، وهو نوع من الكفر عند الظاهرية ومن يجري على أمسهم الفقهية .

ولعل ما وقع من الكاتب هو الخطأ النافع الذي أتاح في له والقراء لتعرف على نخط من أخطاء الكيد للإسلام ، وأفاد طلاب الحقيقة ممن لم يدرسوا بمواجهة أساليب الحتم للإسلام التي يسلكها أعداؤه من الباطنية ، والبيودية للبتة في صفوف الصوفية ، والشيعية ، والأندية الأديبة والمتديبات العلمية .

الشعور بالعمل الصالح :

نقل عن الصوفية قولهم : - (١) إن الحسنات ترفع إلى الله فور حدوثها ، والكلمة الطيبة تصعد إلى الله فلا يراها صاحبها .. فالصالح الحقيقي لا يشعر بأفعاله الصالحة .. وإنما هو في راحة من الله على الدوام .. وهذا تفسيرهم للآية القرآنية : ﴿ وَإِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر : ١٠) .

خطأ الصوفى :

كلنا تعلم ما رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما عن النفر الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فقالوا بعضهم لبعض : انظروا أهالاً عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله تعالى بما لعل الله يفرجها عنكم . فادع كل منا ربه ، وليسأله بأرجى عمل عمله تقرها إلى الله ، فدعا كل منهم مستغفعا بأرجى أهاله الصالحة فاستجاب الله دعاءهم وخرجوا بحشون (٢) .

وهذا يدلنا على أنهم كانوا يعملون صالح أهالهم وأرجاها عند ربه . وكانت استجابة الله دليلا على تمام وعيهم لأهالهم : الصالح والأصلح منها . وفعل الله منهم برهان على أن شعور الإنسان بأفعاله الصالحة ليس دليلا ، بل عدم فبوظ ، ولا مثبعا درجة التقى - كما زعم الصوفية .. وكيف والنبي قد صرح بأنه « من سرته حسنة ، وساءته معصية ، فهو المؤمن حقا » أنكذب النبي ﷺ ونصدق الصوف ؟ وهل الذي لا يشعر بأفعاله الصالحة إلا أهله معونه ؟ وكما لا يشعر بأفعاله الحسنة فإنه لا يشعر بأفعاله السيئة .. إذ الإحساس هو الإحساس ، مهما اختلف نوع العمل .. ولعلك تسأل حينئذ ؟ فما تفسير الآية ؟

قال البيضاوى في تفسير الآية ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلْيَلْوَ الْعِزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر : ١٠) .

العزة هي الشرف والكرامة ، فله العزة جميعا ، فليطلبها طالبا من عنده - سبحانه - فإن له كل العزة ، فليستنى القرآن بالدليل عن المدلول ، يبنى الدليل على أن طلب

(١) عس الرجح ص ١٠١ .

(٢) صحيح مسلم ص ١٧ - ٥٥ - ٥٨ باب قصة أصحاب الغار والنزول بصلح الأهل .

العزة يكون بطاعة الله واتباع تعاليمه ، بالدلول - وهو أن الله الذي نظمته هو مالك الإعزاز والإزدلال ، ﴿ يَعْزُّزُ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، ﴿ وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْفَعْلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، وهذا بيان لما يطلب به العزة .. وهو التوحيد والعمل الصالح ..

● بين المنصور واليرجى والراغب :

قال مصطفى محمود^(١) : (المتصوف واليوجي والمراهب كلهم على درب واحد ، وأصحاب منطق واحد في الحياة .. هو الزهد ، كما يطلقون التقرب والوصول بالنسايح ، فاليوجا يقولون آلاف المرات - رهام - رهم أي الرحمن الرحيم .. في اللغة السنسكريتية) .

: ٤٥٨-٤٥٩

أما الراهب واليوجي وجمهرة من الصوفية فيتحفون الزهد والتسبيح والتفكير
سبلهم إلى الله ... ولكن صوفيا كالثائل كان صاحب خيل وزرع وثراء ، قام ليس
ومعلم جديدين .. عاب عليه أحد تلامذته ثيابه الجيدة فقال : لبنا ليطع في قسبي

المحتاجون فأعطهم .. وأما أنت فليبت الحرق ، فصررت ذوى الحاجات هناك ،
ووضعت نفسك موضع مَنْ يده الفل.

وقال : (من يشرب الماء البارد .. واللحمة الطيبة كان أعظم إحساساً بفضل الله ، فكان أكثر شكراً وأخلص قلباً حين يثنى على الله .

وما ذهب إليه الشافعي هو الحق .. وما هداه الإسلام دين القطرة ..
فليس الزهد ألا يكون لديك مال لعجزك .. وإنما الزهد ألا تستعبدك الدنيا ، فأنت غير
عاجز .. تمنح العطاء وتقيم شعائر الزكاة والصناعات والبر بأنواعه ، لأنك تجد أسباب
ذلك عندك ، بينما منحرف الصوفية يحطم هذه الشعائر باسم الدين ، والدين منه براء ..
فأي الفريضة خير .. الجمال عجزاً ولو اكلاً .. أم الكسب التصديق .. لقد عرف
الصحابه قيمة الكسب والإتقان في الإسلام ، فكان من لا يجد لأرض مال يقوم
بالحكمة (بعمل شياً) ليجد ما يصدق . كما أن الانصراف إلى التبع آلاف المرات
بمستلزمات البرجاء - ليس من الإسلام ، مهما صلحت النية ، قلن يصح ذلك الخط ،
إنما الأدعية المؤثورة جعل لصار لقائل في المناسبات ، سواء كانت هذه المناسبات
جسدية أو ظواهر كونية ، تعبيراً عن الارتباط القلبي بين العابد والمعبود .

إن هذا القبط من التمسح على الألفية وسيلة أخرى لصرف المسلمين عن التدين بها بصلح أحوال مجتمعاتهم ، وإبعادهم عن القاصد الإسلامية الكريمة ، من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وإبعادهم عن مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ أنهم عخوانهم عن تصحيح الحياة مقرضون .

إنه لم يجد لتعاليم النبي التي نعلم منها كيف أنه رأى رجلاً انصرف إلى العبادة ، فلما سأل أصحابه : من يقوم على خدمته وطعامه ؟ فقالوا : كلنا . قال رسول الله ﷺ : « كلكم أعبدته » . ونعلم أنه نسي عن صيام الدهر كله فقال : « لا صيام من صام الأبد » . رواه البخاري ومسلم وأحمد ^(١) . وعن العزيمه .. فقال : « شرازكم عزابكم » ^(٢) . وأقر الصحابي القاتل : « وإن لبيدك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه » .

(١) البكري ٥٧ - ٥٩ ، ومسلم ١٨٦ - ١٨٧ وأحمد - ج ٣ من ١٩٤ ، ١٩١٥ .

(٦) عن حميد بن عمار بن وداعة الأثلي - رَوَاهُ أَبُو بَرْزَيْلَ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ طَرِيقِ «بَيْهَقِ» مِنْ تَكْلَافِ فِي الإِبْرَاقِ ص ٢٨١ ط ٧ رَوَاهُ أَحْمَدُ ح ١٦٣ عَنْ أَبِي ذَرٍّ فِي قِصَّةِ عَمَّانَ بْنِ بَشِيرٍ الْخَلَّاسِ .

(١) نفس المرجع ص ٦٠٩ - ٦١٣ .

لقد عرف الاستعمار الصليبي واليهودي معية التصوف ووجدوها ذلولاً تسرع بهم إلى مثل الإسلام وتحميد دمه في عروق المسلم... وعلايا المجتمع، فحرموا على تعقيد التوسع في الطرق الصوفية، وبذروا الخلافات بين طرقها، وقرئوا إليهم كهنتها وسدنتها.. فأمسينا لا نرى فيهم - إلا قاعداً - رجلاً وشيخاً، ورحم الله صوفيا عليا قيا عرف التصوف فقال:

ليس التصوف لباس الصوف ترفعه ولا بكاءؤك إذ عشي المنشونا
ولا عنيايح ولا رقص ولا طرب ولا تحبط كأن قد صرت مجنوننا
إن التصوف أن نصفو بلا كلر وتسبح لخلق والفرآن والديننا

● بشرية الأنبياء :

قال الكاتب على لسان الصوفية^(١) : ولهذا يفسرون كلام القرآن عن النبي ﴿ مَا لَنَا لِمَا رُسُلُوهُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْسُحُ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان : ٢٧) بأنه السر الإلهي ، ستره النبوة في ثوب بشري عادي لرجل يأكل الطعام ويمسح في الأسواق .. حتى لا يبتذل السر بالإظهار والاشتهار .

● التحقيق :

وقبا قالوا بضح أنهم يصورون النبوة أمرا غير بشري في ذاتها حقيقتها ليست بشرية ، وقد سُتوت بأفعال البشر ، حتى لا يبتذل السر بالإظهار والاشتهار . وتجريد النبي من بشرية له مغزى خبيث ، إذ أنه لما كان النبي في حقيقته وجوهه - على زعمهم - ليس بشرا ، والأسوة به والقوام ما التزمه مما لا يمكن لغير النبي ، وبهذا ينكر عمليا إمكان تطبيق قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) ، وهو المثلوق إلى الوثنية ، لما حُبد عيسى إلا بعد استشعار أتباعه أنه فوق البشر ، وإن لم يكن هو الله ، فقالوا : إنه ابن الله . وقد سد النبي هذا الباب فقال : لا تسبدوني في الصلاة ، وقال : لا تطروني^(٢) كما أطرت النصراني عيسى ابن مريم ، فلانما أنا عبد ، فقولوا : هذه ورسوله ، أخرجه أحمد عن ابن عباس عن عمر كما أخرجه الشبخان^(٣) .

وأكد القرآن صراحة بشرية النبي فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ - آخر الكهف ﴿ إِنْ تَأْتُوا بِلَايٍ مُّهِينٍ ﴾ . الشعراء : ١١٥ .

■ الإلهاء الصوفي :

ذكر الإمام الغزالي في كتابه « مشكاة الأنوار » أسباب الحجب عن الله في الفصل الثالث والأخير من الكتاب ... وخلاصته هي ما قاله الكاتب من أن حجب النفس والعقل والعرف هي كجلك الإنسان الخارجي وليست حقيقة . ولا بد من تجاوز هذه

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٢) الإلهاء للرح .

(٣) السد لأحمد : ١٦٤ - وكتاب التوحيد والقرول الشديد ص ٦٠ .

الأسوار حتى يستشرف المتصوف على روحه في بكارتها ، ويضع قدمه على عتبة ليرى مالا عين رأت ، ويسمع مالا أذن سمعت .. والتصوف إدراك من طريق المدرك العالية ... والمتصوف عارف - ولكن هل هناك معرفة حرة لله في كماله ، وليس طلب المعارف الجزئية كالتطبيقات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ .

ويسمى الصوف إلى معرفة كلية خاصة بخلافة عن وسيلة للتفكير ولتحويلات العلم الوصفي المألوفة ، وأول العقبات هي النفس والمألوف ... كما في بعض الأخبار .. قال داود :
يا رب أين أجلك ؟

فقال له .. أترك نفسك وتعال ... غب عنها تجدني (١) .

توجهه :

حقاً في بعض أحيائي أجند شعوراً بالغيب أتوقسه قبل أن يحدث .. أراه في حلم مناما .. أو أستشعره يقظة في صورة باهتة كثيراً أو قليلاً .. وهذا يؤكد لي أن للنفس استشرافات لو وجدت صفوها زالداً لقرأت في علم الله المكنون أشياء كثيرة ، وربما هي التي يسميها المتصوفة بالكشف ... ولكن وأنا غير بنفسى .. كنت ممن غلب فيهم : « أفضاء عبادة وأطلاح سهر » ، ومبغنى الألفية (٢) ، تركتها من آن بعيد .. ول من شواغل الزوجة والأولاد والعمل والمجتمع الذي أحبه حباً جماً ، ومن إيمان بالعمل في الحدود التي رسمها الله له .. ما يجعلني في نظر المتصوفة محجوراً .

وليس هنالك يقين بأن هذا الإشراق هو معرفة ، وإدراك « بوسائل عليا .. فقد يكون هذا نتيجة تفاعلات نفسية في بؤرة اللاشعور .. وهي غلقت التجارب والأحاسيس والأنجلى والتصورات ، تلاحت فكونت الفكرة التي استشفها .. فهي عملية نفسية يصنعها الله الرحمن الرحيم المدير لشئون خلقه كيفما شاء ومتى شاء فمن شاء ، صوفياً أو راهباً .. أو مادياً محجوراً . إن الله أمرنا بالصدق .. ومن الصدق ألا نصدر الأحكام ونقرر النظريات فجأة قبل أن تنضج وتصح ، ونفني عنها كل الاحتمالات الأخرى ، فتخطى ، كما أخطأ المتصوفة هنا .

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) فيها ألف سية .

وأما أن غاية التصوف هي معرفة الله في كماله .. فمحض التأمل في خلق الله مع القدرات المتاحة للإنسان من رسائل شخصية ذاتية ، ومن وسائل علمية تفتح الآفاق على كشف جوانب كمال الله ... وكالات الله لا تنهى ، والرغبة في إدراك الكمال اللاتهي من بشر - إدراكه محدود مهما كان في تساميه - قريب من المحال .. وغياث عايش .

إن تفسير (التجرد) بالطريقة الصوفية التي تعني ترك العمل للدنيا وممارسة النشاط الإنساني فيها باسم الله ، وكما أمر ، لن يوصلنا إلى الله ، وإن زين الشيطان لبعضنا ذلك عدلى حيله إلينا بفرور ، وإنما السبيل هو التزام ما جاء به الرسول ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ آل عمران : ٣١ .

وخفون اللب يقتضى إعراف الحجب ، ومقتضى الحب أن يعلمنا من كُنْه عليا .. بالمقدر الذي يعلمنا .. لا بالموسوعات التي نُصَلنا حين نخلأنا بالفرور .

ومن سنة الرسول ما قاله من نفسه : إني لأتقاكم الله ، وإني لأصوم وأطعم ، وأقوم الليل وأقام وأتزوج النساء ، من رغب عن سني فلين مني (١) . وقطع رسول الله الطريق على وسوسة الشيطان للمؤمنين الصادقين ، وسد باب الرهينة (إني لم أؤمر بالرهانية) (٢) - وفي رواية (إن الرهانية لم تكتب علينا (٣) وعرفنا البديل لها . فمن أتى سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أوصني . قال : عليك بتقوى الله فإنها جاع كل خير ، عليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين ، عليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر في السماء ، واخزن لسانك إلا بحير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان » (٤) برغمت أحاديث كثيرة تشهد لحسين الحسينيين الشريفيين .

وأوصد عليه السلام الباب في وجه كل « مخلوق » منطو يزعم أنه في انطوائه قائم بالجهد الأكبر ، جهاد النفس ، فحدد عليه السلام أفضل الجهاد حين سأله صحابي

(١) رواية في باب التكاح كل من البخاري ومسلم أحده والنسائي أحده والدارمي أحده وأحمد أحده ص ١٥٨ ، ١٥٩/٣ و ٢٥٩ .

(٢) روى في الكتب الخمسة كما أخرجه الدارمي في التكاح : ٣ .

(٣) روى أحمد في مسنده : ٣ : ٨٢ .

(٤) روى أحمد في مسنده : ٣ : ٨٢ .

جليل: « ما أفضل الجهاد ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (أن يُقْتَرَّ) جوادك ويراقي (٢٣) ذلك) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد والدارمي وعبد بن حميد ، وابن حبان ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط والضياء المقدسي في المختارة عن جابر .

جهاد النفس ركيزة كبرى - ولا ريب - للمجاهد في جهاده .. ولكن ثمرته العلمية ، بل وظلها الوارف ، إنما هي في الميدان .. وفي التلاحم .. وصدق رسول الله . وأما من خالفه .. فهذه الله .

■ الدعاء والصوفية :

امتدح الكاتب الصوفية حين قال عنهم (٢٤) : « والتصوف لا يسل .. وهو بمرض .. فلا يسأل الله الشفاء .. ويقول له أحب : كيف أجعل نفسي إرادة إلى جانب إرادة الله .. فأسأله ما لم يفعل .. وأنا الذي لا أعلم ما ينبغي مما يفرض ؟ كيف يعترض الذي لا يعلم على الذي يعلم ، إنه لا يطلب من الله إلا ما يطلبه الله منه ، فيقول كما قال النبي إبراهيم : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ .

التوجيه :

هذا الذي نلناه عن الصوفية صورة تناقض مبادئ الإسلام .. مهما قيل في نهجها من أنها مواقف خاصة . نعم إنها خاصة ولكنها شاذة .. وما الشذوذ إلا انحراف عن دين الفطرة . إن الله لنا كلمة مطلقة عامة .. ﴿ أَفَهَرَى اسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر : ٦٠ . ﴿ وَإِذَا سَأَلَ عِبَادِي عَنِّي فَإِلَى قَرِيبٍ أُنِيبُ ذَعْرَةُ الدَّاعِ إِنَّهُ دَعَاكَ الْبَقَرَةُ : ١٨٦ . فانظر كيف قرن الدعاء بالاستجابة .. وقرن القرب بالإجابة بالدعاء والداعي ليحضرنا إلى الدعاء . ولم يستثن من هذا الصوم إلا ما أخبرنا النبي أنه مستثنى حين علنا الدهوة المطلوبة شرعا والمستجابة فقال كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله قال : لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم « وفي رواية : « ما لم يستعجل » قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت وقد دعوت فلم

أر يستجيب لي ، فيستحسر عن ذلك ويدع الدعاء (٢٥) .. فكان الصحابي المقرب يدعو الله في سجوده بكل شيء : « حتى إنه يطلب العلف لدايته ، فضلا عن أن يدعو الله أن يرسل عنه العلة نصيب .

وقد كان النبي يدعو ويعلم أصحابه الدعاء فيقول كل منهم : « اللهم إني أسألك . الخوف والطاعة في الدين والدين (٢٦) . وفي صحيح مسلم (ج ١ ص ٢٠) عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال : كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ ، الصلاة ، ثم أمره أن يدعو هؤلاء الكلمات : اللهم اغفر لي وارحمني واحدي وعافني وارزقني . فيطلب إلى جانب المغفرة الطاعة والرزق أي صلاح البدن والحال الاقتصادي .

وقد كان يرفي ﷺ المرضى ويدعو بالشفاء لنفسه ولغيره فيقول الدعاء المأثور : « اللهم أذهب البأس ، رب الناس اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما (٢٧) » ويصح يده على المريض ويطيب خاطره .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص أنه حكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده ، فقال له رسول الله ﷺ ضع يديك على الذي يألم من جسده قل : « بسم الله » ثلاثا .. وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكت ؟ قال : نعم قال : « بسم الله أريك من كل شر يؤذيك ، ومن شر كل نفس تؤذي جسدي ، الله يثيبك . باسم الله أريك » .

بل إن المعوذتين سورتان ليستا إلا دعاء لدفع الأذى عن البدن وعن الدين - ونبي الله نوح النفس دفع الخلاك من ولده حين قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِهِ ، وَإِنْ

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٢ في الأدعية - والتبريد في الدعوات : ١٦٥ وأحمد ج ٣ ص ١٨٠ ، ٣٦٠ ، ١٥٤/٤ ، ج ٥ ص ٣٤٩ .

(٢) وفي صحيح مسلم : اللهم عافني في جسدي ، وفي بدني ، وفي بصري - في سنن أبي داود عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه سمع الرسول ﷺ يدعو ويقول : « اللهم عافني في بدني - اللهم بعافني في سمعي - اللهم عافني في بصري ، اللهم فني أعوذ بك من الكفر والفسق ، اللهم إني أعوذ بك من حذاب القولا به إلا أنت » وهكذا أخرجه الترمذي دعوات ٦٦ وابن ماجه دعاء ٤ وأحمد ٤٢/٥ وابن ماجه دعاء : هـ .

(٣) رواه المختار ، مسلم عن عائشة .

(١) يعقرب : يصاب بسيف العدو أو ملاحه أو نباله .

(٢) يبراق : ويراق يهني واحد .

(٣) القرآن : محاولة لنهم عصري للقرآن ص ١٠٧ .

وَعَلَيْكَ الْحَقُّ هـ هود : ٤٥ ، ونبي الله زكريا يسأل الله العاقبة في شيخوخته ، وإن يرزقه الولد ، قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ، وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ، فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلَدًا هـ يونس وقوت من آلو يعقوب ، وابنته رب ربي هـ (مرم : ٥ : ٣) .

ومن أمثلة البلاء في البدن والمال والولد مع الصبر والدعاء أيوب عليه السلام ، وفيه قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِيَّابَ إِذَا تَدَايَ رَبُّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الصُّرَّ وَتَتَّ لَوْحَمُ الرَّاحِبِينَ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ، فَأَنبَأَهُ أَهْلَهُ ، وَظَلَّاهُمْ مَتَّعَهُمْ ، وَرَحْمَةً مِنَّا ، وَتُكْرَى لِلْعَابِدِينَ هـ الأنبياء : ٨٤ .
وكلمة « فاستجبنا » دليل على سبق الدعاء من نبي الله أيوب . ﴿ فَنُوحِطُكَ إِلَيْنِ أَلْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ قُرْبَى أَمَّا ، وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ، وَمِمَّنْ قُرْبَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَمِمَّنْ هَازِلًا وَاجْتَنِبْنَا هـ مريم : ٥٨ .

أنه يلى لأحد أن يكون أفضل من النبيين ؟

ومن الدعاء المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت هـ .. تلك قالة الصوفية وهذا هو معنى الله ورسوله ، فأى الفريقين أهدى سبيلا ؟

إن هواجس الجوع والعجز ، وشطحات الجهل ورد الفعل للإنبياء الخلق والنساء الاجتهاد والانحلال في صفوف الأمة الإسلامية .. نتج عنه الظلام والشدود الفكرية الذي يروى عن الصوفية ، والصادقون منهم براء منه - وأما ما رويته في نور الكتاب والنبوة .. ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ النور : ١٠ .

وإن سبيل الهدى - ليس في خبر الكتاب والسنة .. ﴿ فَتَدْعَاهُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورًا وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَمُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَهُدَاهُم إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هـ المائدة : ١٥ - ١٦ .

(الظلمات هي الحجب بأنواعها الصارقة عن الله) . وقد قال النبي ﷺ - هذا صراحة في حديثه عن القرآن : ومن النفس الهدى في غيره أضله الله ، ويروى أن قال ذلك على كرم الله وجهه .

إن الدعاء في حد ذاته - عبادة ، ما لم يكن ياتم أو قطعية .. وإن الله يحب أن يسمح من عبده تضرعه إليه .. فكيف لا ندعو ، وكيف نزعج أن الصمت خير من مناجاة الله ودعائه بما يحب أن يسمعه ، روى الترمذي عن أنس قال : قال النبي ﷺ : « الدعاء مع العبادة » (١) .. وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلْفُوا بِإِذَا الْجَلالَ وَالْإِكْرَامَ » ومعنى أَلْفُوا : أَكْثَرُوا الدُّعَاءَ ، رواه الترمذي ورواه النسائي أيضاً من رواية (ربيع بن عامر الصاحبي) ، وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد .

وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى . قال : « سلوا الله العافية » فكثرت أياها ، ثم جئت فقلت : يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى ، قال لي : يا عباس عم رسول الله ، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة . رواه الترمذي ولالك حديث حسن صحيح .

« عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من البرص ، والجذون والجذام وسمي الأسقام » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وعن أبي هريرة : كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فإنه ينجس الفصيح ، وأعوذ بك من الخيانة فإنه يفسد البطانة ، رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وقد تضمن الدعاء طلب دفع ما يؤذي البدن وهو الجوع ، كما طلب دفع ما يظلم الدين وهو الخيانة .. ولا يقول أحد إنه أفضل من النبي ، أو يعرف من وسائل القرى إلى الله إلا يعرف الرسول ، ولا يزعم زاعم أن ذلك أمر كان قد نسخ بالأمر الذي عليه الصوفية فإن آخر ما كان عليه النبي في حياته هو دعاء الله أن يكشف عنه الضر ويخفف عنه الألم .

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت - وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أخرجني من غمرات الموت وسكرات الموت . بل كان يتألم . قالت عائشة : وأرأساه فقال النبي : بل أنا وأرأساه . رواه البخاري .

(١) الترمذي في « الدعوات » : ١٠ ، وقال الترمذي : حديث غريب لا يخرجه إلا من علم الوجه .

هذا هو الطريق إلى الله .. ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ ﴾ (يوجا أو رهبانية) ﴿ تَوَلَّوْا مَا تَوْلى وَأَهْلُوا جَهَنَّمَ وَاسْلَعُوا مَصِيرًا ﴾ . النساء : ١١٥ .

■ ذم الصوفية لعلم الفقهاء :

ردد الكتاب موقف الصوفية من الفقهاء فقال : ويقول التصوف للفقهاء أنتم تعلمكم ميتا من ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، تقولون حدثنا فلان عن فلان ، وكلهم موفى والواهب الحق حلام الغيوب أقرب إليكم من حبل الوريد وهو معكم أبها كنتم .

علم الفقهاء نقلى من الكتب^(١) ، وعلم الصوفية لدنى ، فهم أهل الحضرة الإلهية ، يعني الواحد منهم كراماته كما يعني عورته ، لأنها السر الذي بين يمين ربه ، وعلامة المحبة والخصومة ، والقرب وما بين المحب والمحبوب لا يصح إشتاؤه وإشتاؤه^(٢) .

الوجوب :

هذا الذي نسب إلى الصوفية من التدين في صفوفهم مخالفة مكشوفة . فالتقية لا يأخذ من الموت وإنما يروى الحديث عن إنسان ثقة سمعه منه بنفسه .. وهذا الثقة فلروى عنه يخبر عن ثقة آخر قد مات .. ولعل موته أخبره بأن ثقة آخر أخبره بالحديث عن فلان ، وفلان الأخير كان ثقة عند الراوى عنه . وبطل النقل بالتوثيق حتى تكون نهاية السلسلة رسول الله عن جبريل عن الله عز وجل . فالرواية للحديث ليست عن الوقت .. وإنما هي عن الله . والإستناد (عن فلان عن فلان) هو وثيقة الإثبات المصادق ليقين نسبة الحديث إلى النبي لما نقله عن الله سبحانه . أما الصوف الذي يزعم أن حبه لكفى لثقة روحه الصافية عن الله مباشرة فإن دعواه أن ما تلقاه إنما هو عن الله لا دليل عليها .. إذ لا معجزة ثبت ذلك له فتصديقه وإتباعه دون تصديق وإتباع النبي الموثق بالمعجزات هو الضلال المبين لكل من له سعة من عقل ، ولعل ما يكتفه علما لدينا هو

(١) القرآن : محاولة لنهم عصرى نهران من ١٠٩ .

(٢) نفس المرجع من ١١٠ .

حافظ شيطاني ، وقد كان بعض الصالحين ينفذ به الشيطان في صورة ملك فيقول له : اغرب عني يا شيطان فلا وحى بعد سيد الخلق .. ولا معرفة إلا من كتاب الله ومنة نبيه^(١) .

لقد أمر النبي بتبليغ ما سمعناه منه فقال : « ألا ليليلع الشاهد منكم الغائب .. قرب مبلغ أوعى من سامع » وقال : « نضر الله أمرا سمع مقاتي فوعاها فأذاها كما سمعها » ومعنى هذا أن النبي أمر بتبليغ حديثه ، ولا سبيل إلى هذا إلى الرواية للثقة عنه إلى من يسمه جيلا بعد جيل . فالعلم في الحديث المستند بالرواية علم في أمر النبي برواية ما سمع منه .

ومن الكذب أن يقول الإنسان : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وهو لم يسمعه منه مباشرة كما أن الورع يقتضى أن يذكر الراوى من سمع منه ، ليكون ذلك المسموع منه هو التحمل لمسئولية الرواية التي رواها ... فقد يوثقه الراوى لجهاله بأخلاق فجعل حديثه غير مقبول .. وقد يكون راوى الحديث سمعه من النبي في حال ، وهنالك رواية أخرى لغيره في حال أخرى ، فإذا عرفت الرواة اهتدى إلى تاريخها ، وأمكن معرفة أى الحديثين أسبق ، ليضبط تاريخ التشريع على الأقل .. إلى جانب مميزات أخرى للذكر سند الرواية .

ثم إذا كان الصوف يعني كرامته فإننا لا نستطيع أن نصدقه فيما يزعم أنه علم لدنى ، لأن الكرامة - كالمعجزة - أمانة على تصديق الله له . فإذا خفيت لم يكن لنا دليل على صدقه .

ويعتق الصوفية يقول : إنه إذا أظهر المكرامة عرفنا أنه خير جدير بالولاية فكذلكه . لأن الصوفية يزعمون أن الولي الحقيقي يعني كراماته كما يعني عورته . وقد كل حال يكون علم الصوف غير صالح للاعتداه به . ولا دليل على ثبوت نسبته له .. فهو علم مهجور .

ثم ما أتبع التصور والتعليل لإحطاء الكرامة بقوله : « ما بين المحب والمحبوب لا يصح إشتاؤه » لماذا ؟ إننا في غرامياتنا لا نغشى من أسرار المحب موضوعات خاصة هي

(١) اقرأ كتاب تليس المجلس لابن القيم الجوزي .

التي تتعلق بالجنس والنزول .. أما الحكمة والفضائل فذكرها .. لقد قال الله ﴿ وَلَمَّا يَنْفَعُ رَبُّكَ فَحَقِّقْ ﴾ آخر سورة الضحى - غرض قاعدة الحياة الإسلامية وهي إظهار فضل الله وكراماته ... وليس الإخفاء لها ، فأى رجل خالف أمر الله الذي نزل به الذكر الحكيم فهو منحرف ... وإن دعا إلى المخالفة فهو مبغض - وفي حديث أن يجمع العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إياكم ومحدثات الأمور ، كل بدعة ضلالة) (١) .

﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ الطلاق : ٥ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ فِئَةٍ فَمَا لَهُ مِنْهُ شُكْلًا وَمِنْهَا فِرْقٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أَعْمَى : سورة طه : ١٢٤ .

● ما قيل في عدد أسماء الله الحسنى :-

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ طه : ٨ . نقل القصر الرازي - وهو نقل لا نعرف له إسناداً صحيحاً - فقال : إن لله أربعة آلاف اسم : ألف لا يعلمها إلا الله وحده ، وألف منها لا يعلمها إلا الله والملائكة ، وألف منها لا يعلمها إلا الله والملائكة والأنبياء ، وألف منها يعلمها المؤمنون . ثلاثمائة منها في التوراة وثلاثمائة منها في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور ، ومائة في القرآن ، سبع ومئتان منها ظاهرة وواحد منها مكتوم لمن أحصاها دخل الجنة .

ولهذا يجب التوكل عند ما ورد في القرآن والسنة من صفات الله سبحانه وتعالى وبهذه الصفات يأتي دالاً على الفناء في كلمة مفردة مثل الفناح العلم . ويعلمها تكون دلالة بالإضافة مثل ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْإِسْبَاحِ وَجَنَّتِ اللَّيْلُ سَكَنًا ﴾ الأنعام : ٩٦ .

ومنها ما تناوله بنفسه لكنه زيادة دلالة على المدح بالإضافة : مثل ﴿ يَدْعُ الْمَشَاقِقَ وَالْأَرْضِ ﴾ الأنعام : ١٠١ . ومنها ما يحسن قرأته بصفة أخرى إذا كان كل من الصفتين يدل على ناحية من الكمال ، وتثير السؤال عن مقابلها ، مثل (الأول)

يستحب أن يقال ﴿ الأول والآخر ﴾ الحديد : ٣ . وهكذا الظاهر والباطن ، والمبدئ والمعيد .

■ مزية الذكر بالأسماء الحسنى :-

إنها تضمني على الذكر الشعور بالعبادة والثقة حين يعرف أنه مستب إلى الله القهار الرحيم ، وتعينه على التحقق والانصاف بما توحى به هذه الصفات من أخلاق الكمال كالبر والرحمة ، والمصطف والعدل ، والإتيان للعمل ، وما إلى ذلك .

وهذا هو المراد بإحصائها ، أما الذين يحفظونها أو يكتبونها إنما يحاولون التعرف على باب الله . والوصول إلى مدارج السالكين ، ولما يعرفوا أو يصلوا .

● الذكر والصلاة :

قال الكاتب (١) : إن الله أمر بالصلاة ثم قال : ﴿ وَلِلَّهِ أَكْبَرُ ﴾ المتكوت : ٤٥ .

« مجرد أن تذكر أن هناك قوة إلهية ، وأن يسطر هذا المعنى في ذاكرتك وفي أفعالك على الدوام .. تنجيك وتحقق لك شرط المؤمن ، ويكون أفضل من صلاة الصل الذي ليس في قلبه ذكر » .

وجه الملاحظة :

إن الذي يتذكر القوة الإلهية في ذاكرته وأفعاله على الدوام ، لا يمكن إلا أن يكون مصلياً ومنتبهاً من كل تقصير ، كما في الحديث الصحيح : « لا يزال الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » .

فلا وجه للمفاضلة بين شيئين أحدهما خير موجود ، وهو الذكر الذي لا يصل ، وبشيء أن الذكر ليس مجرد مقالة اللسان ، ولا تأرجيح الأبدان .

(١) لمخرجه أبو داود سنة ٥ والبيهقي وقال : حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجه - مقدمة ٦ ، ٧ - وسلم في الجمعة ٤٣ والدارمي : مقدمة ١٦ ، ٢٣ وأحمد ج ٣ : ٣٦ ، ج ٤ : ١٢٦ - ١٢٧ ، وجملة « وكل صلاة في التوراة تفرد بها النبي وسننها صحيح كما في صحيح الجامع الصغير وزيادة الفتح الكبير .

فهذا موضوع آخر : وقد قال سبحانه وتعالى قوله الخامسة في الموضع : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُهَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ . النساء : ١٥٠ .

أما ما زعمه من تطور النفس البشرية تطوراً اقضى تعدد إرسال الأنبياء برسالات تناسب مع كل طور ، فهو قول مشهور .. ويحتاج بحقه أو نقضه بحالاً أوسع . أما قوله : « والصوفية في ارتضايتهم تبين مشارب أصحابهم بين تارك للشهوات ، وعازف عن الزواج على قدم جسي » ، وأخذ بالحق والعدل والقوة على قدم موسى ، فإنهم يسمون على أساس أن الأديان يصح لكل أمرىء أن يأخذ منها ما يستطيعه وما يتفق مع مزاجه وطبعه ، فنقول باطل أيضاً ، لأنه لا دليل على صحة ما وصلنا من هذه الأديان .

بل إن القرآن ذكر لنا أنها هرقة وموضع الشك . وما كان موضع ريب في لسانه إلى الله لا يصلح أن يكون مرجعاً للاستدانة به إلى الله ، بل إن النبي نهي عن الأخذ من الكتب السابقة ، وحين رأى صحيفة من التوراة في يد عمر ناه عن أخذ الدين من غير القرآن ، ونزلت آية صارمة تؤكد للمسلمين إقرار الله لنبي نبيه عن ذلك ، قال تعالى ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا لَأَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُفْلِكُ عَلَيْهِمْ ، إِن لَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . (العنكبوت : ٥٤) .

وأقول الصوفية ليست حجة على المسلمين . وكما قال الإمام مالك في درسه بمسجد المدينة « كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك » إلا قول صاحب هذا القبر محمد عليه السلام . وأما قول الكاتب : (إن انتطاع الرسى إنما هو لشكامل نضج الروح وبلوغها أوج النضج عند البطة المحمدية) بحيث لم تعد في حاجة إلى نبي بعد محمد ، ولا رسالة بعد الإسلام .. وأن كل من ادعى النبوة بعده ثبت بظلال دعوام ، لأنها لا تعتمد على معجزة تؤكد صدقه من أمثال (الياء مبدأ حسن على) ، فهو قول جيد وجهد مقبول .

رب واحد وكين واحد .

حسن ما قاله أن الله واحد ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ﴾ . ١٩ - وفي الإنجيل : « لا تدعوا لكم أبا على الأرض ، لأن أباكم واحد ، وهو الذي في السموات » . « اذهب يا شيطان ، إنه مكتوب : للرب إله تسجد » . ولما وحده تعبد « وفي التوراة : « باطل الأباطيل : الكل باطل ، وقبض الريح » كأنها تعني قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعم لا محالة زائل
أما قوله : ويقرر القرآن أن جميع أهل الكتاب من يهود ونصارى ومسلمين على حدى ، وأنه حتى الذين عبدوا الشمس على أنها رموز وآية من آيات الله وهم الصابئون أمثال إسماعيلين .. هم أيضاً على حدى ولهم أجر ومنفرة ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى ، وَالصَّابِئِينَ ، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢) « فهو عطاء مردود » ولهم يكفر ظالمه إذا أمر عليه ، لأنه لهم بفيل كلمة عامة جعلها الله شرطاً للأجر والجنة ، وهى الإيمان بمحمد عند يمينه أو بعدها . قال تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ فَيَؤْتِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئَةِ ﴾ (التوبة : ١١٣) الآية .

أما من لم يؤمن ، أو آمن ولكنه لم يعمل بمقتضى إيمانه كبعض الدارسين للإسلام من النصارى والمشرقين وهواة البحث العلمى لجرد البحث ، لا رغبة في الانتفاع بنتائج البحث فعذاب الله في انتظارهم .

ولو أدرك الكاتب الفصد من أسلوب الشرط ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ لما قال بعد ذلك : الآية تنسحب على من كانوا قبل مبعث النبي ، وإن كانوا ناجين في نفس الوقت ،

١ . مصطفى محمود : القرآن محاولة لتفسير صبرى - ص ١١١ : ١١٢ .
(٢) نفس المرجع : ص ١١٢ .

إِنْ رَحِمَ اللَّهُ فِي النَّظَامِ الَّذِي وَضَعَهُ شَمِلَتْ كُلُّ شَيْءٍ ، فَأَلْبَارِقُ يَقْطَعُ يَدَهُ ، غَيْرَ
أَنْ مِنْ يَسْرِقُ وَيَقُولُ - صَادَقًا - بُنْتُ وَلَنْ أُسْرِقَ بَعْدَ الْآنِ ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ لَوْ أَنَّ الْأُمُورَ عَمَلًا
لَرَفَعَ الْحَدَّ عَنْهُ ﴿ فَهَنْ تَكُنَّ مِنْ يَحْيَى تَقْلُوهُ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤْتِي عَالِيَهُ ﴾ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ^(١) ﴿ المائدة : ٣٩ .

وأما الرق : فكانت رحمة الإسلام أن يتم تسريحهم بالتدريج الذي شرعه الإسلام ، فلو حرّمه الله مرة واحدة لكان في هذا خروج آلاف المتسولين إلى الطريق بلا مصدر رزق ، وبلا صناعة أو زراعة تستوعبهم ، وهي كارثة وليست حلاً . فأوصى الإسلام بالعتق ، وكانت وصية القرآن تسريح الأسرى أو طلب الفدية فيهم . ﴿لِأَمَّا

أما الوجودون من الأتقاء فهم تصفيتهم بالنزوح : إذا جعل القرآن لك (الرقة)
كفارة للذنوب صغيرها وكبيرها (٢٢)

وإذا كان ما حدث في أيام النبوة هو العكس وليس الذنب ذنب القرآن ، وإنما ذنب النظام الذي تسخ ، وقصور اختلافه التي تحولت إلى مسارح للمتع الحسية على الطريقة الفارسية ،^(١٦) .
وأيضا :

إعلان الأخوة بين جميع الطبقات فلا امتياز لأحد حتى تكون له الوساطة عند الله ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَعَلَّيْكُمْ رُجُوعَهَا وَتُنْفَخُ مِنْهَا رُوحُكُمْ ۚ وَتُجْعَلُنَا مِنْكُمْ جُمْلَةً سَوَاءً ۚ ﴾ النساء : ١ . ﴿ وَلَا تَحِلُّ لِمَتٍّ ذِي شُرُوفٍ أَنْ يُتَيَّمَهُ لَهَا ۚ وَالْمُتَّيَّمَةُ ذِي شُرُوفٍ كَالْحُرِّ ۚ ﴾ النساء : ٢٤ . وهذه الأصول حقيقة لا ريب فيها ، وإنما السقطات وقعت في الفروع التي ذكرها الأصل الثالث وليس في الأصل نفسه زواجا على .

قال الكاتب: ان امرأة توح وامرأة لوط ونعت منها الخيانة الزوجية^(١) وهى

(٦) طرح الفني من ١٨٠ - ١٨٣ .

(D) القرآن في محاولة لفهم عصرى للقرآن من ١٧٤ ط أول.

(٣) القرآن : عبارة عنهم مصري القرآن ص ١٧٢ .

(1) نفس المرجع ص ١٨٧ .

لا کھنوت #

براهین الکاتب :

أقام الكاتب براهين هذه الحقيقة على عدة أصول .

١٠٠

أَنْ إِلَهَ أَلْفَى الرِّسَالَتِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾
أَجِيبْهُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ لَتَسْتَجِيبُوا لِي رُتَّبُوا لِي قُلُوبُهُمْ يَرْضَوْنَ ﴿الْبَقَرَةُ :
١٨٦﴾

وقد شرع العبادة مهترة لكل امرئ فقال سبحانه : ﴿ فَابْتَغُوا فَوْقَ مَا كُنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ وقال الرسول : « جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَرَبَّتُهَا طَهُورًا » . وقال سبحانه : ﴿ قُلْ لَّكُمْ نَجْدُوا مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ ، فلا حاجة إلى وسط بين الناس وبين الله ، ولا فراق بين البشر أمام الله ، فالسواة والعدل تامان . ففي الحديث القدسي : « الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا ، والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا » .

وتاليا :

الذين إيمان وأخلاق ، وهي مسائل تلعب من ذات المؤمن ، ولا ارتباط لها بالكائن ، والمادى من الإنجليز قد يكون له خلق نتيجة للذكاء الإجتماعي ، كالبحر الماهر ؛ يعرف أن الصدق وحسن المعاملة سبيل لتكثير عمله ، ثم كثرة ربحه ، فيجعل حسن المعاملة والصديق كوسائل للإعلام عن تجارته ، أما المؤمن فيرحم ويحسن المعاملة حتى لمن آساء إليه ﴿ لَا تَزِدْ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا تَكُونُوا ﴾ . الإنسان : ٩ .

• المرجع السابق ١٧١ - ١٨٢

(١) قال الكاتب (أبنا نزلوا) والصواب ما ذكرناه عن سورة البقرة : ١٢٥ .

(٧) الذي في مقال الكتاب (لأن لم نجدوا) والمصواب ما ذكرناه عن سورة الناقة : ٦ وانشاء : ■

(٣) القرآن عاولة لهم عصرى ص ١٧١-١٧٢.

سقطات طبيعية بالنسبة لمن لم يتعمق بأصول الفقه ولم يملكه ويخلص التاريخ ، ويقع
أبحاثه فيه على أصول علمية . وإنما ينال معلوماته من أى كتاب دون أستاذ أو دون
منهج علمي على الأقل ، من هؤلاء الباحثين غير المختصين .

لنلهم في بحوث الدين ، سواء علوم القرآن أو التاريخ الإسلامي أو ما بينهما ،
كمثل من رأى الأطباء منهم للشرط والمخدر ، فأراد أن يقوم بإجراء عملية جراحية
بسيطة فزق عصباً من أعصاب العين أو الأذن . ونسى أنه ما كل من رأى عملية قام بها
طبيب وأمكنه العثور على الشرط والمخدر يُسمى طبيباً ، كما قد التل النحى ، فاكل من
لبن العمامة يزينا ، ولا كل من ركب القرس عبالاً .

بيان سقطات الكاتب

١ - من تُسقط التوبة الحد ؟

استشهد الكاتب بالآية ﴿ فَمَنْ تَابَ ﴾ على أن توبة السارق أمام الحاكم تسقط
عنه الحد : قول لم يقل به العلماء ولا تؤيده السنة . فقد قال الفقهاء : إذا رفع أمر
المحدود إلى الحاكم وثبت التهمة لم يحز أن يحضر الإمام فيسقط الحد ، كما حدث حينما
سرق قاطعة الخزومية ورفع أمرها للنبي فأمر بقطع يدها . ورفع المسلمون إلى النبي
﴿ كَذِباً ﴾ فأسامة بن زيد ليشيع في أمرها ، فغضب النبي وقال : « أشفع في حد من حدودي
الله يا أسامة ؟ والله لو أن قاطعة بنت محمد سرق قطع محمد يدها ، أما قبل أن يرفع
إليه الأمر فالتوبة تسقط العقوبة كما تسقط الذنب . إن قبلها الله - بشرط رد السروق
إلى صاحبه .. فليدار الحاكم إذا يكون في الأمر الذي لم يرفع إليه أو يفصل فيه ، أما
بعد ذلك فلا .

قلاية نص في حواشي عن عقاب الأخيرة للتائب ، أما القطع فلا يسقط بها عند
الأكثرين ، لأن فيه حق السروق منه ، كما قال البيضاوي في تفسير الآية .

٢ - هل الرقيق مظهر للبطالة ؟

وأما ما زعمه في حكمة استبقاء الرقيق من تسريح آلاف لا حرفة لهم يروثون
منها^(١) . فهو كلام عاطفي . فالرقيق كانوا هم أصحاب الحرف الصناعية ، منهم
الحائك والتجمل والنساج والخبز (الخداه) والزارع وغيرهم .. وإنما لهذا حكم ذكرتها
وذكرها غيري في غير هذا المقام ، وإن اتفقتا في أن الرقيق ضرورة اجتماعية لا ممدى عنها
في الإطراء الذي وضعه الله وجوّهه الفقهاء .

٣ - فتوى التاريخ الإسلامي :

وأما تخرج حكم بني أمية وأتباعهم بأنهم جعلوا قصور الخلفاء مساح للفتح

(١) هرقن عذبة قهم نصري للرقاق : ص ١٧٥ .

عليها : الخنث في الجنين . (المائدة : ٨٩) - القتل الخطأ (النساء : ٩٢) - الظهار . (المحادلة : ٣) (١)

تفتيب :

فيما قلته بنت الشاطئ ، بعض الحق : فذكر لفظ رقية متكرراً جيد التسميع . أي رقية مؤمنة أو غير مؤمنة . وهذا قال بعض الفقهاء في كفارة الظهار واليمين . وكيل التذكير محمول على الموهوب ، والمطلق محمول على المقيّد وهو « رقية مؤمنة » كما هو الشرط في كفارة القتل . وفي قول الكاتب : « وصية » ، ودعوى بنت الشاطئ « الوجوب » مقال يحتاج التحديد .

فالوجوب هو في المسائل الثلاث عند المقدرة ، والموصية للوجوب في المسائل الثلاث . وفي التذرع . وهي لتجنب كفارة للصغار والكبار ، وتطوعاً ، فقد كانت آية البلد على (تلك رقية) ليل نزول الكفارات ، بل نزلت في مكة قبل نزول آيات الأحكام والجنود والمهادن . وقد بين النجاشي أن من يعتق عبداً يعتق منه بكل عضو عتق من العبد ، فغضو منه من النار .

وأما العبد المكاتب : ففي قول طلبة المكاتب لولان : ذهب عمر بن الخطاب إلى الوجوب جبراً نداء ظاهر لفظ الأمر (لمكاتبهم) . وقيل الأمر محمول على التذرع لأنه مشروط بأن يعلم السيد في العبد غيراً . وهذا مرجعه إلى دعوى السيد وحده . كما أنه متفق على أن للسيد أن يرفض بيعه بأهل الأثمان . فرفض المكاتب - وهو يبيع بالأثمان - يكون جائزاً من باب الأول - وهذا هو رأي الجمهور .

وقيام الجمهور باطل ، لأن أساسه كمال ملكية المال عند حيازه - بينا المال في الشرع له وظيفة يؤديها ، وهو أن أصله ملك لله ، والعباد مستحقون ووكلاء لله في المال ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَقْلِلِينَ فِيهِ ﴾ . الحديد : ٧ . وقد أمر الله وكلاءه بقول المكاتب : فلا تجوز مخالفة .

ولا يجوز صرفه الأمر من الوجوب إلى التذرع إلا بقربة دالة على الصرف .

• - الحياة الزوجية :

واتهام الكاتب لامرأتي رسولين كركمين نوح ولوط بالحياة الزوجية (١) أمر لا يليق ، إذ لا يقبل أن يقذف به بيت الإنسان العادي فما بالناس بالموسلين .

وقد ذكر المفسرون أن خيانتها كانت مجرد التآمر مع الأعداء وإخطارهم بالاجتماعات التي لم يرد الرسول أن عليها السلام إذاعها وإنشاء سرّها .

وقال الفيضاني : المراد بالحياة الغفاري .

(١) الخبوات المصرية في عهد الفراعنة من ١١٠٠ .

(١) القرآن والتفسير المصري من ١٤٤ - ١٤٥ .

الفصل الرابع

الإنسان مخير أم مسير؟

- هل نيتنا عن البحث في القادر؟
- مذاهب الحتمية - مذهب فرويد - مذهب اللاتبيين .
- حل المشكلة .
- منطق المعجز .
- بين علم الله وعمل العبد .
- نقد الكاتب عن التاحين الشكلية والموضعية .
- دائرة القلب - ما يؤخذ على الكاتب .
- إذا لا تكون النية مقدره من الله .
- ماذا نغزوه .
- حرية الاعتقاد .

هل الإنسان مخير أم مسير ؟

هل نبتنا عن البحث عن القدر ؟

ذكر الكاتب أن النهي عن الخوض في هذا البحث فقال : (إذا جاء ذكر القدر فأمسكوا) ، لأنه يحلّل علم أن المصلحة من المصالحات الفلسفية العالية التي لا يتيسر الرد عليها بطوم عصره . وأن الجدل سوف يتزلق بهم إلى متاهة يضيعون فيها .. ولذا فضل الإيمان بالقلب على الزلزلة العقلية العقيمة .

« وهي وصية لا تنسحب تماماً على عصرنا الذي دأبت له الفلسفة الجامعات ، وأصبحت درسا ميسراً يلقاه ابن العشرين كل يوم ... وبذلك أصبح السؤال مطروحا بشدة ... وفي حاجة إلى جواب » (١) .

تطبيقات :

إن زيادة كلمة (جاء) في الحديث لا تجوز فكلمة (إذا جاء ذكر القدر فأمسكوا) بزيادة (جاء) لم ترد في كتاب وإنما المروي (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا) ، إذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا) ولم يبلغ درجة الحديث الصحيح (٢) ، فهو ضعيف يروى مع الحسن لوجود طرق أخرى ضعيفة يساند بعضها بعضها .

وقد وهم السيد الطيب في دعوته النهي عن الخوض في الموضوع فتحمل الإسلام مالا يجوز أن نحمله له ، فالحديث أنكره المفسرون من أهل العلم ... ولهذا تناول علماء المسلمين هذا الموضوع بالبحث والدراسة منذ فجر الإسلام وإلى الآن ، وما بعد الآن .

« القرآن محاولة منهم عصرى للقرآن من ٢١ - ٢٠ .

(١) تزيح السائق من ٢٢ .

(٢) الحديث رواه الطبراني في الكبير وأبو نع في الحلية وابن حنبل في أماليه عن ابن مسعود وحديث ، كما أخرجه الطبراني في الكبير أيضاً عن ثوبان ، وأخرج ابن حنبل في الكامل من صدر كتابه قال البيهقي في جميع الموضع المعروف بالجامع الكبير رقم ٨٩٩ - ١٨١٠ . وقد جاء في الخامس من ٥٥٠ ذكر الحديث في الجامع الصغير رقم ٦١٥ ورواه الحسن . فقال المصنف : في إسناده مزيد بن ربيعة ، وهو ضعيف وكل ابن رجب : روى من وجهه في إسناده ما كلفها مقال ، وتحسين ابن حنبل في أماليه لمأله اعتضد .

ومن اعتبر الحديث صحيحاً قال : ليس المنع من الخوض في القدر من ناحية أفضل العباد فقط ، وكونه حجراً أو جبراً ، وإنما للمنع عنه وهو القدر حادثة واسعة جداً ، حيث يؤدي الخوض فيه إلى محاولة استكناه أسرار الكون والخلق كملكوت ، وتوزيع صفاته وتعلقات قدرته جل جلاله في هذا التدبير العظيم .. ذلك لأنهم يقيمون قدرة الخالق وقطعه بقدراتنا ، فيصورون تدبيره وعلمه بمجموعة ، فيضلون ، وذلك لأن عظمة الخلق مردها إلى عظمة الخالق ، وإليها ترجع ، فلما لم إلى ذلك سبيل ﴿ مَا أَفْنَاهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الكهف : ٥١ .. هذا القدر بذاته الواسعة هو المنهى عنه .

وقد ذكر الكاتب في كتابه (لئلا الموت)^(١) في هذا الموضوع نفسه أن الأدباء حثت على البعد عن الخوض في القدر ، ولأن الجواب لا يمكن أن يأتي إلا بمكاشفة وإلهاماً من طريق القلب ، وليس العقل ، ولأن المعول فيه على إيمان المؤمن ، لا فلسفة الفيلسوف ، لأن العقل فيه لا يمدى ، والفلسفة لا تنجده^(٢) .

وما قاله الكاتب عن القلب والإلهام : تردد المذهب الإسرائيليين من الفلاسفة ، وقد اتفق على أن مصدر الشريعة لا يصح أن يكون هذا الإلهام الصوفي . وإنما مصدرها الوحي والتصوص ، فانتساح المصدر لأمر من الأمور وإشراق النفس بمسكرة من الفكر ، لا يعني الوصول إلى الحقيقة ، فقد يكون هذا من ترين الشيطان وليس إلهام .

مذاهب الختمية

١ - مذهب فرويد :

كان فرويد يرى أن سلوك الإنسان خاضع للغريزة ، تحت سطوة الجنس مثلاً - بجميع التوجّه للمهر ، وشغل ، ويرتدى أحسن الثياب ليجذب قلب المرأة أو ليجلب المرأة قلب الرجل ، وهكذا .. ولكنه حكمة عن رأيه ثم قال : بل إن الغرائز تخضع لإرادة المرء بوصيلة من ثلاث : التماسي - أو التكتيكي أو الإطلاقي .

(١) لئلا الموت : ص ٨٥ : ٨٦ .

(٢) لئلا الموت : ص ٨٥ : ٨٦ .

ومن ثم فندعى أن الإنسان مجبر على سلوك تحت ضغط الغرائز دعوى لم يعد يفرها بعد أن كانت مذهباً له .

٢ - مذهب لكاين :

يرى الاجتماعيون اللذين يتجهون إلى تفسير الأحداث تفسيراً مادياً إلى القول بأن الكراه يحكمه النظام الحياعي الذي يحيا فيه ، فإن أين الطبقات الثرية له سلوك يختصه من طيفه ، وهكذا . فالمرء مجبر على سلوك ما ينحصر من طيفه وريشته الاجتماعية .

ورد الكاتب عليهم بأن « تولستوى » كان من التباه الإقطاعيين بحكم الوفاة ، ومع ذلك لم يصرف تصرف الإقطاعيين . بل كان طليعة الفقراء والفلاحين ، فاعلم الختمية التي أنسها علم النفس الطبقي ، وبشكل « باكونين » و « كروبتكين » طليعة القروية . فقد كانت من كبار الأحرار ، وماركس ذاته كان من أبناء الطبقة البرجوازية .

القول :

وبالإضافة إلى ما قاله الكاتب ، رأينا الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، وهو من أهل لطيفات البريطانية ، يرث مليون جنيه فيدها ويقع بها مؤسسات علمية واجتماعية حتى لا يتي له منزل يسكنه إلا بإيجار ، كما تنازل عن لقبه ، وأعط يدعو إلى حياة يسودها السلام ، ويعمل مع الدعاة إلى الارتقاء بالطبقات والخصومات والشعوب المختلفة .

وفي صدر الإسلام رأينا صوراً كثيرة من هذا النوع . فعثمان بن عفان ومصعب بن عمير يتخلجان عن حياة ناعمة في ثراء عظيم ، ليحييا بالإسلام وللإسلام جنباً إلى جنب مع من كانوا من العبيد والصغار .

وكثير من المهاجرين تركوا أوطانهم ، وهجروا أوطانهم ، وسلكوا سبيل الإيمان دون أن تحكمهم عقائد الجاهلية الموروثة بقيودها أو تطيع نفوسهم بطامعها .

وفي عصرنا الحديث نجد فارضاً وزوجته عائشة ، وهما أمريكيان قد أسلماً ضلعا عن أنفسهما مروج المصنع الأمريكي ، وتخلصا من نمط الحياة الأمريكية ، رغم دخلها الثلاث الكبير الذي يحصلان عليه من التثيل والحياة .

وقد حضرا ليحييا في القاهرة بالزى الإسلامى ، فعايشة متخفية وزوجها ملتصق ،

وميتها بل وكل نعيشتها نسودها البسطة المطلقة .. وغيرها كثير ممن أسلموا من أبناء
 وبنات أوروبا وأمريكا ، مما يدل على أن السلوك لا يحير المرء على حياته الطيبة ، ولا
 يشبه الاجتماعية إذا آمن بغير ما تكون عليه البيئة إيماناً حياً جازماً كما بيني التنمية الطليقة
 ما تشاهده من إهمال الفلاحين دقيقة دودة القطن في المزروعات الشتوية ، وإهمال المزارع
 صيانة الحافلات ، الأوتوبيسات ، في القطار العام .. رغم أنه من طيبة عالية ، فكان
 يجب أن تجعله يهتم على الاندماج النفسي في عمله ، ولا تسمح له بأدنى تفرط .
 والكاتب بما نقلناه عنه إنما يهدم مذهبه الشخصي الذي جاء في كتابه (الله
 والإنسان) حيث قال هناك : - الإنسان ابن بيته وابن عصره . وابن مجتمعه بعد أن
 قال : « الإنسان عندي مجبر على ما يفعل ، لا يترك له التاريخ مهرباً ، ولا مجال
 الاختيار » (١) .

■ حل المشكلة :

عرض الكاتب لأفعال العباد وهل هي فعل الله أم فعلهم فقال : « للإنسان إرادته
 الحرة في العمل الداخلية التي تقيد بها حاجات الجسد من الطعام والشراب والكموة ،
 فصلنا على العمل لتحصيها .. وحماية الأدوات الموصلة إليها ..
 وغيرها من الناس أدوات تستعين بها على تحقيق مطالبنا وكذلك بما صنعه من
 آلات ومواصلات وغيرها . فهو مقيد كذلك باحترام حريات الناس ونظم الحياة للمادة
 والآلات . كما أنه مقيد ، وكل ما في الحياة من ناس وآلات مقيدون بحركة الطبيعة من
 السموات والأرضين وما فيها لمصادمتها مدمرة ، ولهذا نحن مضطرون أن ندير حريتنا في
 حدودها ، فلا يصح مغالبة نواحيس الكون ، ولكن يجب مصاحبتها والانتفاع بها على
 ما هي عليه من قوانين (٢) .. ومعرفة هذه القوانين أم ممكن .. والتحرك دون مخالفتها أمر
 واجب مريح .. والقوانين الأخلاقية ضوابط اجتماعية كإشارات المرور ! تنظم
 المجتمع ، ولا تقي حرية السائرين والركاب .
 والذي يكبح جماح نفسه عن المحرمات هو الحر الذي سيطر على نفسه ، فلم يستعبد

(١) الله والإنسان ص : ١١٨ .

(٢) حسن البنا : رسالة المؤتمر الخامس .

لها : وكل اختيار ووعيته عند الفاتون .. ليس اختياراً ، وإنما إهدار للاختيار كالسباح
 الذي يسبح في اتجاه تضاد مسيرة التيار ..
 والخلاصة : أن في داخل المرء نفساً لها إرادة وعليه ألا يواجه بها قوانين المجتمع
 والطبيعة ، وإنما يكيف نفسه معها . فإذا مشى مع هذه القوانين ، وهي دين الله ، كان
 مثاباً بيته واجتماعه القلبي وإصراره حتى ولو حالت الظروف دون تحقيق النية .. وإن
 خالفها عوقب بيته .. لأنه ترك لنا أن نختار الهدى أو الضلالة . وسبب الاختيار يكون
 الجزاء .. وأما تحقيق ما نختاره فيمنحني في إطار إرادة الله ، ما شاء الله كان وما لم يَشَأْ لم
 يكن . وقد جرى الكاتب في هذا مجرى أهل السنة وهو ما أستريح إليه ، وأضيف إليه
 بعض الأدلة الحسية التي نكشف لنا نطاق الحرية وإطار العجز والإرادة الشخصية
 فنقول :

■ الدليل للمدى على الجبر والاختيار

كل منا يشعر أنه بدير الأمر ويأخذ لتحقيقه كل الأسباب ثم لا يحقق له ما يريد ،
 حتى الملوك والسيادون يعجزون عن أن يدفعوا عن أنفسهم المرض أو الموت ، أو
 الضرر ، وأحياناً ينزيمون مع نوازل الأسباب المادية للتصدي ، بل كثيراً ما يعملون عملاً
 يتعون به شيئاً فثقل النتيجة عكسية كما في المثل العربي : « تأق الرياح بما لا تشتهي
 السفن » ، أو كما قال أعرابي حين سأله سائل : « كم عرفت ربك ؟ » قال : عرفت بنقص
 الزائم .

لدليل للشاهدة الحسية أنه لا يوجد في العالم من يستطيع أن يدهي أنه يتحكم في
 الأحداث التي تقع في نفسه أو في بيته أو في الدولة التي يحكمها أو في العالم الذي يعيش
 فيه .

كما أنه طعن قوة في العالم تستطيع أن تدخل قلب إنسان لتجبره على أن يحفظ أو
 يؤمن بما لا يريد ، قد يتظاهر بالحب أو التقدير لشئ أو أحد ، ولكن لا يستطيع أحد
 أن يدخل في قلبه الحب أو التقدير الصادق .

بل كثيراً ما يريد الإنسان شيئاً فيخطئ الطريق .. فهذا أبو حطب كان حريصاً على
 تكليب رسول الله .. وتزول الآيات تنبئ بأنه من أهل النار وسيموت كافراً
 « يصلي ثلاثاً حب .. » ومع هذا عجز أبو حطب عن أن يظهر في صورة مؤمن ولو
 ظاهراً ، ليكون دليلاً يكذب عمداً فيما يرويه عن الله من أنباء .. إنه عجز حتى عن

التفكير في استخدام هذا السلاح .. لتبقى هذه معجزة تؤكد صدق القرآن والرسول ،
ولتبقى كذلك دليلاً على عجز البشر عن تحقيق ما يطلبه في كثير من الأحيان ، وهكذا
قل في الآية الكريمة : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها » ولم يكونوا قالوا ذلك . فما يرى أحد عطلنا المعاصرين - ومع هذا التحدي
بأنهم (سيقولون) .. فإن الله صرفهم عن أن يميلوا القرآن في موقف الكتاب فيكون
ولا يقولون ما قال القرآن إنهم سيقولونه ... وذلك لتحقيق المعجزة الدالة على خلق
رسوله ، وأن الناس الذين هم في موقف التحدي عاجزون ، بل عاجزون على أن يبقوا
مكتوفين عن التحدي بشيء قد يسورهم .

مشكلة الحرية والكفاف

وقد تعرض الكاتب للموضوع الذي نعالجه مرة أخرى في كتابه (فقر الموت) تحت
تس العنوان : (الإنسان مسير أم مخير ؟) وكان فيها قال رداً على سائل يتهم بعيشته
التي تنهيه على سلوك لا يرتضيه ما نصه :

(الحرية عملية مرتبطة باحتكاك الإنسان ببئته وبظروفه ، فإذا لم توجد العوائق أو
الصراع لم تظهر الحرية ، ولم يكن لها معنى أو وجود ، فوجود ليهو الحاجة والفقر
والقانون والأديان والتقاليد أمر حتمي ، كما تمارس ظاهرة الحرية وجودها من خلال
كل تلك القيود ، ولهذا فمن العبث اعتبار الإنسان مسيراً بسبب هذه الضغوط) .
مكتوب :

وهذا حسن ولكنه عقيب على هذا بقوله :

« ولا يمن للقارىء أن يصرخ لأنه لا يملك إلا الكفاف قالاً : لقد فلتت
حرفي ، أين حرفي ؟ بل لقد وجدت حرفك مادمت قد وجدت الكفاف ، فما يزيد
على الكفاف ليس حرية بل عبودية » .

وما قاله الكاتب بصحب الصولية ، ولكنه أيضاً يعجب الحكومات الاستبدادية
بجماعة ، مما كان لون الحكم : شيوعياً أو رأسمالياً .. إذ أنه ينهى عن الصراع في
وجه الحكم بنية دفع المستوى المعيشي ، فالرأسمالي المشد يشد من يزعج الناس في
الدنيا ليس له عطفها وحده ، وتتفخ عزائه على حساب الكادحين الضاعين
الساكين القاعدين ، وقد رسمهم خصومهم الشيوعيون بأنهم مُخَدَّرُونَ .. وقد سموا
الذين يأتون الشعوب ، لأن بعض دعاة الأديان كانوا يندعون إلى الزهد بهذه
الصورة ، ويحرمون على المرء أن يتفخ صانعاً بحقه في الحياة الكريمة ، أو في
الساواة ، أو التقارب بين الطبقات ..

وهكذا الشيوعيون يحبون أن يسكت الشعب الذي يمكنه عن مطالبة الحكومة
بأكثر مما هو فيه من أسوأ المصيبة . وذلك ليحققوا الجولان للقادة المترفين على

دُسْتُ الحكم : الجالس على القصة تجرى تحت أقدامهم حركة الحياة والناس .. في صمت .

وهكذا رأينا الاستعمار الغربي يندس بين المسلمين باسم التصوف كثيرا من الموسمين بكلمة (مستشرق) فيتظاهرون بأنهم قلة في الزهد : وينشرون هذه الوصايا الخبيثة التي تظاهر بها الحق وباطنها الباطل . وقد يدخل بعضهم في الإسلام صادقا ، ولكنه يظل متأثرا بتراثه الدينية الصليبية الأولى التي تقول :

« لا تدخل في ملكوت الله غنى » وتقول : « أعط ما تهبصر لقيصر » فتشجعه دونه الاستعمارية على الانهكات بدية الحديد مبشرا بمسيحية متلفعة باسم « صوفية إسلامية » .. وهو لا يدري أنه يخدم الفساد الذي أراد الغروب منه . بل وهذا سر تشجيع الاستعمار والحكومات الموالية له أولئك الصوفية بمختلف طرقهم ، وهذه الجمعيات الدينية التي تسلك المسلك الصوفي الداعي إلى نهضة الحياة .. والفرار إلى « الدير النصراني » ، أو « الخلوة الصوفية » .

ولا يقال : إنه ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه فضل العيش بالكفاف . وما قاله الكتاب ليس جديداً . وإنما الذي ورد فيها يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ (اللهم اجعل رزقي آل محمد قولا^(١)) يعني كافياً لوتهم فلا يجوعون .

قال تعالى : ﴿ وَبَارِكْ لَهَا وَلِدَهَا الْكَافَّةُ ﴾ فصلت : ١٠ - أي أرزاقها الكافية تماماً وليست القليلة لأن الله ذكر ذلك في مقام الامتنان على عباده . والله يفيض بالخير والمرأ لا بالقليل الشحيح من العطاء .. جل جلاله .. وبخاصة وأنه يعطف ذكر الأخوات على الفعل (يبارك) والبركة لغة النماء والزيادة .

ثم لأنه غرق بين الكفاف والجفاف : الكفاف أن يجد المرء حاجياته التي يطلبها فلا تُدمر - بلدلاً الحاجة - شخصيته نفسياً ولا بدنياً .

والجفاف هو العيش التكدس ، عيشة الفقر المدقع ، عيشة الخبز والملح ، دون غيرها ، مما لا ينسر للمراء أن يلتقط أنفاسه بين آونة وأخرى ، فيجد لقمة شهية تدفعه لشكر النعم ، ويسر له أن يقدم القيرى لضييف عزيز أو سائل محتاج .. الفقر الذي

استاذته الرسول ﷺ وعلم أصحابه أن يستعذوا منه فيقولوا ثلاثاً في الصباح وفي المساء : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر . لا إله إلا أنت » رواه أبو داود وغيره عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن . فأتانا نجيب أن اسق بسنته .

إنه بمقدار ما يكون للمسلم من ثراء وأسباب للنعمة تكون قدرته على الإسهام في وجود البر والرفع الخاص والعام . الخاص به وبشيعته الأقرين . والعام الذي يتسع لمن وراء هذه الدوائر من عالم البشر والطير والحيوان . وفي الحديث الشريف : « نعم المال الصالح للرجل الصالح^(١) » وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ : « وإن هذا المال خضر حلو . ونعم صاحب المسلم هو . لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل^(٢) » .

والإسلام الذي من تعاليمه المحفوظة في كتابه الكريم هو أنفاسكم من الأثر والتمتعكم فيها به هود - ٦٦ - يدعو إلى بدل أقصى الجهد في عارة الحياة ، وليس لهذا من معنى أو نتيجة إلا التخلص من الفقر المدقع وحياة الجفاف التي يلهث فيها الفقير . كالسائل الذي أجابه الكاتب .

إن كل ما يتطلبه الإسلام .. إزاء المال - ألا يكون المسلم عبداً له ، وأن يسير في تحصيله وفي إنفاقه وفق القوانين التي أنزلها الله بشأن المال .

أما الحديث المشهور (اللهم أحيني مسكيناً ، وأمنى مسكيناً . واحشني في زمرة المساكين) . فقد نبه إلى عدم صحة الإمام ابن حجر في الجزء الأول من شرحه للبخاري . بينما رواه الترمذي في الزهد عن أنس وحسنه أيضاً ولم يحمله في حرجة الصحيح وأخرج ابن ماجه في الزهد والحاكم وصحبه من حديث أبي سعيد ، وعقب الإمام الترمذي على استعادة النبي من الفقر مع ما روى عنه ﷺ من قوله : اللهم أحيني مسكيناً فقال :

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد كما قال العراقي .

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٢ - وفي رواية أخرى : إن هذا المال بخضرة حلوة لمن أجله بمقداره ووضع في حته قسم للموتة هو . الطيبة المصرية ومكتبتها بالقاهرة .

ولا خلاف أن فقر المضطر هو الذي استعاض به - بينا الحق الذي هو الاعتراف بالمسكنة والدالة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأل في دعائه **يَا كَرِيمُ** وعلى الله وعلى كل عبد مضطري من أهل الأرض والسماء - . ويغنى الغزالي بذلك أن المراد من المسكنة هو التخليق بالتواضع ، والتضرع لله ، والشعور بالحاجة إليه ، فهذه صفات المساكين .

■ الجبر في الاختيار :

وبعد نهاية الشوط لجأ الكاتب إلى الإمام الغزالي في القضاء والقدر ، وهو أن المرء مجبر في الاختيار فقال :

والإنسان حر ، وهذا صحيح ولكن حرته مخلوقة ، أي مقدورة عليه ، وهذا تشبيه بأن نقول إنه محكوم عليه بالحربة ، ومضطر للاختيار ، وهذا يوضح في مترلة بين مترلين ، فهو ليس حراً حرية الله المطلقة ، وهو ليس مقهوراً مقهوراً مجبوراً جبر المادة العمياء .

وحينما نقول : إن النار تأكل الحطب فهذه علاقة جبرية حتمية لا يمكن أن تكون معها مسئولية ، والإنسان ليس مسيراً بهذه الدرجة فهو غير بما يعلم مسير بما لا يعلم .

أما كيف يخلق الله واحداً ليظلم كما يخلق آخر ليعدل ، فخصمه أن إرادة الله مطلقة ، فهو يريد المحبوب كما يريد المكروه ، ولكن است عداله بعد ذلك أن يختار من يحب لما يحب ، وأن يختار من يكره لما يكره فاختار الشرير للظلم ، والخير للعدل ، ولو أنه اختار الشرير ليعدل واختير يظلم لانتقلب الميزان . وهذا مستحيل في حقه فهو الكامل في عداله .

■ معطلة العجز :

حسب ثمة العبد يسر الله له ما نوى من غير أو شر **﴿ قُلْنَا مَنْ أَخْضَى وَالْقَى وَصَلَّى بِالْأُخْضَى فَتُسَيِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَدَّلَ وَأَسْتَقَى وَكُتِبَ بِالْحُسْرَى ، فَتُسَيِّرُهُ لِلْيُسْرَى . ﴾** (البقرة : ١٦١) .

وما قاله الكاتب حق ولكن الآية ليست شاهداً له ، فالتفسير لليسرى هو اليسرى جعله الله ثمرة ما في القلب من تقي وتصديق بالآخرة أو كفر بها ، وثمره ما في السلوك

العمل من عطاء أو ينحلي . أي أن الاعتقاد على الشر والتدريب عليه سبيل إلى بناء الشريرين . إذا اصطعب ذلك التدريب فكرة وفلسفة مستقرة تكون دافعاً كامناً وراء السلوك . ولشاهد الكاتب لقوله بالآيات : **﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنبَأَهُمْ أَنَّهَا قُرْبَى ﴾** النحل : ١٨ ، **﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾** الأعراف : ٢٢ ، **﴿ قُلْنَا زَاغُوا زَاغًا ﴾** الله قلوبهم **﴿ الصفا : ٥ ﴾** .

ولا شاهد له بذلك . فأهل الحديبية كانت لهم النية العبادية ، واقفها العمل ، وهو للبيعة على التضحية بأنفسهم في سبيل الله ، والكفار كانوا يقاومون دعوة الإسلام باللسان والشتان^(١) تلبية للشر الكامن في الجنان^(٢) .

وقوله **﴿ قُلْنَا زَاغُوا زَاغًا ﴾** الله قلوبهم **﴿ برهان على أن فساد القلوب نتيجة لفساد الأعمال وليس مجرد العكس الذي يقوله الكاتب .**

وكما تكون الحياة في العمل القاسم باعثاً على تبريره ، ثم اعتياده ، يكون الاعتقاد سبباً في الإجهاد إلى العمل الفاسد كما في الآية الكريمة **﴿ لِي قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ فَرَأَوْهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَرَضًا ﴾** البقرة : ١٠ .

ويرى الغزالي أن المرء مقود بسلطة الأسباب إلى الجنة أو النار ، والأسباب ناشئة بإرادة الله وخلقته ، واختيار المرء وإرادته فالحمة في إطار المشيئة والاختيار الإلهي ، فهو في اختياره الشخصي مجبر على ما يختاره .

● بين علم الله وعمل العبد :

جاء في القرآن الكريم **﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَكُنَّا بِقُلُوبِهِمْ قَدِيرِينَ ﴾** (الأنبياء : ١٣) . وقال سبحانه : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾** (الأنبياء : ١٠١) وقال **﴿ قَرِيبًا مَعَدَى ﴾** وفريقاً حق عليهم الضلالة ، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله **﴿ (الأعراف : ٣٠) ﴾** وقال : **﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْظَرِيهَا فَفْسَدُوا ﴾** فيها حق عليها القول ففسدنا **﴿ (الإسراء : ١٦) ﴾** . وقال **﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُوَ عَدُوٌّ لَهُمْ الْغُلُوبُ ﴾**

(١) الكان : الرمح .
(٢) الجنان : القلب .

(١) القرآن : محاولة لفهم معنى القرآن من ٢٩ .

في أمم قد علمت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿ (الأحزاب : ١٨) ﴾

التفصيل

● من الناحية الشكلية :

ذكر الكاتب هذه الآيات شاهداً على سبق علم الله بأحوال الناس وسلوكهم قاتلاً : إنها هي التي بيني عليها جزأين الأخرى : فكبت الآيات كالاتي :

﴿ حَقُّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ - ﴿ وَمَنْ سَبَقَتْهُمْ مَنَا الْحَقُّ ﴾ - ﴿ وَحَقُّ الْقَوْلُ مَتَى لَاَمَلَانْ جَهَنَّمَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ - ووضعت بين أقواس وأبرزت الحروف بالحظ الأسود المميز لها من كلام الكاتب :

وثنان بين قول الله : ﴿ لَاَمَلَانْ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ وقول الكاتب لأملائن جهنم بالجنة والناس ، لتصوير الكاتب بأنها تملأ بكل الجنة والناس ، بينا الآية توضح - بلا لبس - أنها تملأ ببعض الجنة والناس - فلفظ (من) تقييد ، فله دلائله الخاصة .

وهكذا قال في الفرق بين الآيات الصحيحة الدالة على الجمع بلفظ الإسم الموصول (الذين) وبين ضمير المفرد في كلمة الكاتب (حَقُّ عَلَيْهِ) ، فضلاً عن التقارب البلاغي بين اعتبار الله لفظ (الَّذِينَ سَبَقَتْ) - دون أسم الموصول (مَنْ) الذي في عبارة الكاتب .. لهذه الأسطوانات مظهر للاستنباط بمراجعة النصوص القرآنية ، وهي جيب في كتابنا المحدثين يؤدي - دون سوء نية - فيما أعلن إلى ما نريده إسرائيل من تحريف لبعض كلمات القرآن تحت ستار الخطأ المطبعي ، فالنتيجة واحدة وإن اختلفت المقاصد والنهايات واختلفت العمد والخطأ^(١) .

■ الناحية الموضوعية :

أما من الناحية الموضوعية فقد قال الكاتب : إن علم الله بسلوك العبد ومستقبله قبل الحكم على مصيره لا غشاضة فيه ، ولا يستلزم إكراه العبد على فعل ما علم أنه

سيعمله ، كالرجل مثلاً : يستطيع أن يحكم على ابنه بأنه يكون ذا مستقبل عظيم ، أو سيكون قاتلاً ، وذلك من ملاحظة سلوكه وعاداته ومواهبه ، فيجسّن إلى الأول وسجل الآخر - وفي المثل الأعلى : تعلم الله ليس استنباطاً ولكنه علم من صنع الحياة ورسم كل دقيقة وعظيمة فيها قبل خلقها .

● تعقيب :

وكان على الكاتب أن يبين الفارق بين كنه علم الله بالمستقبل وعلم البشر بذلك ، حيث ينبغي هذا الفارق عن إدراك قراء الآية التي تنشر مقالاته .. فعلم الله انكشاف الموجودات على ما هي عليه ، وهو علم قديم لا يحتاج الحواس .. وعلم العهد حادث وطريقة الحواس .. والاستنباط مما يُتخيل أو يُحس ..

■ دائرة القلب :

ذكر الكاتب أنها مجال المحاسبة والمواظدة^(٢) ، واستشهد بقول الله : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (الأحزاب : ٥) ، ثم قال ما قصد : « إن ما يدور في القلب هو موضوع المحاسبة بالدرجة الأولى ، وليس ما يجري على مسرح العمل » . ﴿ يَوْمَ تَكُنِ السَّوَابِقُ ﴾ (الطارف : ٩) ، إن السريرة هي محل الاجتهاد وعمل المحاسبة ، والسريرة هي السر المتجاوز للظروف والمجتمع والبيئة والزنية .. فهي المبادرة للطفلة والابتداء المطلق الذي أحضره الله من كل القيود : إنها روحك ذاتها ، وهي الكاشفة عن حقيقتك بمثل ما تكشف بصمة إصبعك عن غرديتك . وروحك فيها من حرية الله لأنها نعمة منه . ﴿ لَإِذَا مَثُوتُمْ وَقَعَلْتُمْ لِيَوْمِ رُوحِي فَتَعَوَّذُوا لِيَوْمَ تَكُونُ ﴾^(٣) ، ولأن فلك من روح الله ومن حرمة فأنك محاسب على هذه الحرية .. وهذا انتهى العطاء الإلهي ، ونشأ العدل أيضاً .

ويعتني هذه الحرية جعل الله من ضمير الإنسان ونبته وسريته منطقة محرمة ، وقلمس أقدس ، لا يدخلها غير أو جبر .. وقطع على نفسه عهداً بأن تكون هذه المنطقة

(١) القرآن : سورة لقهم عسرى للقرآن من ٣٩ - ٢٢ .

(٢) في الجنة (ليس) يكون أو ، وهذا خطأ .

(٣) القرآن : سورة لقهم عسرى من ٢٢ .

حراماً لا يدخلها جنة. والمبادرة بالنية حرة تماماً. وقانون الخلق الأول أن تكون الروح محرراً وقدس أقدس لا يدخلها قهر، ولا يكرهها إله على شيء. لا هو ولا جنده ولا أنبيأؤه ولا أوليأؤه.

وفي هذا السر الأعظم يقول حديث نبوي شريف عن أبي بكر: لا يفضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصيام ولكن بسر وقر في قلبه (١). ويقول الله عز وجل في قرآنه ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة: ١٠٩) فعبارة ﴿مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ تنفي التدخل الإلهي. ويقول الله تعالى عذاباً للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَأَشْكِرُ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا إِلَّا مَنِ ابْتِغَىٰ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأنعام: ٤٣).

والشيطان لا يستطيع أن يدخل قلبك إلا إذا فتحت له الباب اختياراً، وكنت من الفاسقين، ولكنه لا يستطيع أن يفتح عليك قلبك جبراً وقسراً (٢).

ما يلزم على الكاتب:

١ - قوله: الحساب على مائتي القلب بالدرجة الأولى: قول يمكن أن يؤكده بالحديث: إنما الأحكام بالنيات. ولكن لوله: وليس ما يجري على مسرح الفعل: على الإطلاق، كلام غير دقيق، وإنما يقبل منه أن يقول: وليس كل ما يجري على مسرح الفعل، لبعض هذا الذي يجري على مسرح الأحداث يكون خطأ لم يقصد إليه الفاعل كمن رمى عصفوراً فأصاب إنساناً لقنله.

وحق هذا فيه لون من المزاخمة لما يصاحبه من عدم استكمال الإكراه والحرص على الناس ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَصَرِيرٌ وَقِيَّةٌ مُّؤْمِنَةٍ، وَفِيهِ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ نَفْسِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ (النساء: ٩٢) وكمن ينظر إلى امرأة أجنبية فيرى ما يحرم منها دون قصد فالعمل المفروض كأعمال المرائين أو الكفار الذين يقصدون بأعمالهم الطيبة رضاء البشر، أو الجاه، أو حسن السمعة، لا رضاء الله، فيحبط الرياء أو الكبر أنهلهم، تضاد نياتهم.. وقد تكون النية طيبة والعمل مرفوضاً.. كالمعاملات التي لا تحرم على حبة

(١) نفس للربيع ص ٣٤.

(٢) القرآن: محاولة لفهم عصري: ص ٣٤.

ما شرع الله لنا.. وإنما فيها ابتداع.. كما في الحديث: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رذء» أي باطل - أما أن يترك الأمر على حاله فخطأ: جسم في التغيير ٢ - التمييز بكلمة (قُدُس أقدس) تقليد للتصاوي في مصطلحاتهم وقد نُفينا عن التثنية باليهود أو التصاوي. ثم جعل الروح هي (قُدُس الأقدس) أو منطقة الضمير النيات، قول شديد الضعف وهو انجاء لم يوفق عليه الفلاسفة: هل النفس هي الروح؟.. وهل القلب غيرها أم هل كل من القلب والنفس والروح شيء واحد؟ أقوال.

٣ - وقد استشهد للدلالة على مكان النية بالحديث المروي عن أبي بكر، وفات الكاتب أن المراد بكلمة: السر: فيه ليس كما يعني، لقوله النبي ﷺ: لا يفضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصيام ولكن بسر وقر في قلبه معناه بإخلاص استقر في قلبه. وهذا الضمير نظري الحديث الذي رواه الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن جبريل عن الله عز وجل وقد سأله عن الإخلاص ما هو فقال سبحانه وتعالى في حديثه القدسي: «الإخلاص سر من أسرار استودعته قلب من أحبته من عبادي». يعني أن نصيف شيئاً إلى ما قاله.

■ كانت النية مناط الجواز؟

إن النية محلها القلب، والقلب بعيد عن تأثير القوى الخارجية ولذا قالها، فهو موضع الاصرار والعمد الذي به تكون المزاخمة - فهو كما قيل: لا يحفل العدل المطلق على ارتباط الحساب بالنية، وهذا قيل: إنما الأحوال بالنيات.

ويراد بالنية صدق التوجه إلى الله بالعمل وإخلاصه له سبحانه.. وإذا حدث هذا كان العمل بالناية أقصى الجهد البشري من الكمال، لأنه يقصد به انرضاء الله، كما أنه بالنية يتصمم المرء من الكفر والشيطان إذ أنه سرعان ما يقف إلى الله إذا خرج من تحت قهر الظالم وتأثير الشيطان.

إن اعتماد ربط الأعمال بالنيات يعني رجعة المرء إلى ربه عند كل نية، بل ذكره فيتأخذ من القصور، وعن التجسس من الشهوات والسيئات، وعن التقصير في العمل

(١) يقال: إنه ضيف.

الذي بعمله... فهذا الاعتقاد لربط الأعمال بالنيات أميراس تفق حتى على غير العمل... أسعدنا المأوية التي يتركها الشيطان إليها.

لماذا لا تكون النية مقدرة من الله؟

عرض الكاتب هذا السؤال وأجاب عنه بما ذكرناه قبل هذا السؤال مباشرة ، ويقول الله ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (محمد : ١٧) وقوله : ﴿ غَاثِرُونَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (الأعراف : ١٤٦) : فيسبب اعتناء القلب أو تمرده كانت الهداية أو الإغواء^(١).

التعليق :

والظاهر أن الإجابة غير وافية... إذ الآياتان يظهران لنا أن الاحتذاء ، وهو سلوك عمل مستقيم ، والتكبر في الأرض بغير الحق ، وهو بطر النصرة ، وهو كذلك سلوك غير سوى ، كلاهما يسليان إلى نتائجها ، فسلوك المهتدي يؤدي إلى ازدياد الهدى ، وسلوك المستكبر نتيجة الانصراف عن الهدى.

ولكن يفهم من كلام الكاتب أن النية عمل قلبي ، والله قد ذكر أنه ترك القلب كامل حريته ، ومن ثم كانت مؤامراته الصمدية ولكن بشكل على الكاتب قول الله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٤) . وقد أجاب عن هذا بقوله : معنى هذا أن الله يدع القلب حراً ، فتكون لكل إنسان سريرة هو حر فيها ، ولكنه يقيم سلطانه بين المرء وقلبه ، فهو يحول بين المرء وقلبه بالتحكيك والإحباط لظلمة ورحمة لئلا أسيء السبب... ولتقدم التسييرات لكل حسب ضميره ونهته ومبادئه : إما لليسرى وإما لليسرى.

وقول الكاتب متناقض ، إذ أن قوله : معنى هذا أن الله يدع القلب حراً ، يناقض قوله : فهو يحول بين المرء وقلبه .

(أ) بالتحكيك.

(ب) والإحباط - بتقديم التسييرات لكل حسب ضميره : إما لليسرى وإما لليسرى.

والقول الأخير مقبول إذا قصد ما جرى عليه السير في ضميره ، فلو بالتحكيك

(١) من المرجع ص ٢٣.

والإحباط المحبولة بين المرء وتحقيق ما يقصده وبنيته ، وهو ظاهر العبارة... فما قاله حقيقة تؤكدنا نصوص أخرى ، ولكنها ليست بما نحتمله ألفاظ الآية المذكورة . فلا استشهاد بما تفسر الآية بغير معناها... ويغير ما نحتمله... ونقول على الله بما لم يؤده من الآية.

قال القرطبي في تفسيره ما نصه : « فإن هذا النص أنه تعالى لحال جميع اكتساب العباد ، خيرها وشرها ، وهذا معنى قوله عليه السلام : (لا ومقلب القلوب) وكان قبل الله تعالى ذلك عدلاً فيمن أهله وعذله ، إذ لم يمنهم حقاً وأجب عليه فتزول حقة العدل ، وإنما منحهم ما كان له أن يفضل به عليهم ، لا ما وجب لهم . وهكذا قال السدي : فالقلب بيد الله متى شاء حال بين العبد وبينه بمرض أو آفة كيلا يعقل .

وقال جاهد : المعنى يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ، وفي الترتيل ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (ق : ٣٧) ، (أي عقل) ثم ذكر الرأي الذي جرى عليه الكاتب بصيغة اليربص فقال :

وقيل يحول بينه وبينه بالموت فلا يمكنه استمراكه ما فلت والآية أولاً : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ أَسْفُودٍ ﴾ (الأنعام : ١٠١) وهو الجهاد... ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ (الأحقاف : ٢٤) . وقد روى أن المسلمين يوم بدر عافوا كثرة العدو فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه : بأن يهد لهم بعد الحرف أمتاً ، ويدل حذوهم من الأمن عوقاً ، مما يدل على أن موضوع المحبولة في دائرة الفكر وداعل القلب - داخل الإنسان وليس خارجه - وفعل : المعنى يقلب الأمور من حال إلى حال ، وهذا جامع .

واختيار الطيرى : أن يكون ذلك إختياراً من الله عز وجل بأنه أمهل لقلوب الجهاد منهم ، ولأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله^(١).

ماذا تخبره ؟

إن ما اختاره الطيرى من قوله الآية لا يتألف القول بأن الصمد إرادة وكسباً ، وأن الله

(١) تفسير القرطبي ص : ٢٨٢٦ ط : الشعب

إذا شاء إيجاب إرادة العبد أحبطها ثم جزاء على نيته إن خيراً فخير وإن شراً شرّاً ، وهذا يتمشى مع عموم قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ دُونِهِمْ مُخِيطٌ ﴾ (البروج : ٧٠) لولا أن يُقْبَضَ بأحاط الذي اشتق منه الوصف « محيط » غالباً بأن في الإهلاك بكفوله تعالى : ﴿ أَحَاطَتْ بِهِمْ عَطَايَاهُمْ ﴾ بينا الفصل الثلاثي « حاكم » في غير الشر ، عالمه يتحرك تحت سمع الله وبصره وفي فلك مشيئة التي يمكن أن يقابلها : « كالطول والمشي » وفي البعد (١) .

ومثل هذا ما ذكره القرآن الكريم في المنافقين ﴿ وَكَرُّواذُوا الصَّوْغَ لِأَهْلُوا لَهُ عَذَابٌ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْقِبَاتِهِمْ فَبَدَّلَهُمْ رَجُلًا مَدِينًا مَعَ الْفَاحِشِينَ - كَرُّوا عَزْرُوا فِيكُمْ مَا زَادَكُمْ إِلَّا شَتَالًا وَلَا وَهْمًا عِلَالِكُمْ يَتُورُنَكُمْ الْفَتَّةَ وَفِيكُمْ سَاعُونَ لَهُمْ وَلَهُ عِلْمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة : ٤٦ - ٤٧) .

إنهم لم يفرجوا واعتصموا التقاعد ، وشاء الله هذا لأن في قعودهم صالح المسلمين ، وفي عكس هذا المآل ما جاء في المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا فَتَبَدَّلْنَاهُمْ مَكِيدًا ﴾ آخر العنكبوت . ﴿ وَمَا رَقِيتْ إِلَّا رَقِيتٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَقَى ﴾ (الأنفال : ١٧) .. إذ أرادوا الجهاد ورموا فيه بهم فهداهم وفقهم إذ علم في هذا مصلحة المسلمين ، وكل من الظالمين مجزى بنيت وحيله ، ولم يستطيع واحد أن يفعل غير ما شاء الله ، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا تَفْعَلُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان : ٣٠) ، أي ما تريدون إنقاذ شيء ويمكنكم أن تحققوا مشيئكم إلا إذا كان الله قد شاء أن يتحقق .

فليس مدلول على المشيئة واحداً ، ولكنه من باب المشاكلة .. فشاء الله بمعنى « يريد » . « شاءون » بمعنى لحظون ما يحبون ، وتكلمون ما تحبون ، وهذه المشاكلة لن بلاهي مثاله كما في كتب البلاغة .

قالوا اقترح شيئاً نُجِدَ لك طبعه فقلت اطبخوا لي جبة وفيما لمعي اطبخوا لي : عيطوا لي ، ولكنه استعار كلمة (اطبخوا) ليشاكل معها فقط « طَبَخَهُ » مع الفارق اللين بين روعة المشاكل في الآية وبين القلق والاضطراب في البيت .

(١) الطول : يكسر الظاء هو الحبل يربط به قدم المنيعة ويثبت طرفه الآخر في روض أو في يد الرعي ، بحيث يسمح للإنيعة أن تتحرك للرعي في دائرة محدودة بطوله الحبل .

حرية الاعتقاد :

ومن يدعي ما قاله الكاتب في حرية الاعتقاد قوله : إن إبليس اختار لنفسه الكبرياء فاعطاه الله ليصنع البتات التي تبعده من رحمته وفاقا لمعصيته وقوله في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ تَشَاءُ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْقَابُهُمْ لَهَا سَاحِجِينَ ﴾ (الشعراء : ٤) . فهو لم يشأ أن يفهروا على إيمان ، لتظل أحراراً في اختيار عقيدتنا ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) .

وقد ذكر الله الملاحاة بين إرادة العبد وسلوكه وبين إرادة الله ورحمته أو عذابه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي عَاقِبَتَهُمْ حَتَّى يَصُوبُوا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) .



الفصل الخامس

لغز آدم وجواء

- نظرية داروين - كيف يتم التكيف مع البيئة ؟
- القرآن ونشأة العالم : أيفرق بين كلام الله والقرآن ؟
- في الآيات الكونية : في السماء - في الأرض .
- نظرية التطور وأطوار آدم .
- كروية الأرض والتطبيب .
- آدم بين المال والواقع - الأكل من الشجرة أهر رمزي ؟
- جنة آدم المصوبة .
- غسر المبرط من الجنة - الرجوع إلى الحق .
- السلوانة السج .
- حقيقة موسى .
- ما الفرق بين الكتاب والباطنية ؟
- الحان وعطية آدم .

أهي قصة الخلق أم لغز آدم وحواء ؟ *

■ نظرية داروين :

رحل داروين على الباخرة « بيجل » ليجمع عينات من البر والبحر في أنحاء شتى من العالم ، ومقارنتها ببعضها ووجد أن جميع الأنواع تربط بينها روابط متشابهة ، فالجهاز العصبي الذي يتكون من مخ وجبل شوكي وأعصاب حس في الإنسان هو الموجود في كل الحيوانات والطيور والحشرات ، وهكذا الجهاز العضلي بمضلاته وعظامه ، والجهاز التناسلي بالخصية والمبيض وقنواتها والرحم في كل حيوان ، وفقرات الرقبة المسبح في الإنسان كغبره من الحيوان ، حتى الزرافة مع طول عنقها ، ولكن تشكل هذه الأجهزة والأعضاء مع المنطقة التي نمش فيها تشكلات لحسية في البر أو البحر ، في المناطق الباردة أو الاستوائية .

ولاحظ أن الجنين يمر في الرحم بمراحل ثلاث :

(أ) يكون لولا أكل عينة سمكة ذات خياشيم .

(ب) ثم ينمو له ذبل بفسر بعد ذلك هو ما نسميه « عجب الدبب » .

(ج) ثم ينمى الجسم بالشعر الذي يأخذ في الانحسار عن جسم الجنين شيئاً فشيئاً

فلا يبقى منه إلا ما يغطي الرأس .

● كيف يتم التكيف مع البيئة :

قال داروين : يتكيف الإنسان أو الحيوان بمواضع ذاتية تنبع من داخله وصراح يكون معه البقاء للأصلح .

وتعد انتقد الكاتب « داروين » في فكرة الخافز الدافئ الداخلي - أو التطور الطبيعي - دون يد تشكل التطوير من الخارج لاثلاً : إذا كان الخافز من الداخل طمعا في

* القرآن : سورة لقهم عصرى للقرآن من ١٦ - ١٧ بعنوان قصة الخلق .

التوصل إلى الأخرى على الحياة . فلماذا يخرج من عائلة الحمارشيء كالحصان مع أن الحمار أكثر جلدًا واحتمالاً؟ وبأي حواجز يتطور من عائلة الوعل شيء كالغزال وهو أرفع وأضعف وأقل جلدًا من الوعل . وبمثل القراش المكون الرقيق لينة وأضعف قدرة من الزبود الطنان الغليظ الشكل ... فتشبه هذه الأنواع لا يمكن أن يفسره قانون بقاء الأصلح ، وإنما قانون آخر هو بقاء الأجل . ولجعل في عين من ؟

قال المادهون : أجل في عين الأثني حين تختار الذكر ، وبالنسبة للأثني فقياس الجمال عين الذكر . وأجاب الدكتور بأنه لماذا يختار الذكر الأثني الأجل ؟

إن القضية مازالت تطرح نفسها ، إن الجناح المتقوس ليس أفضل لل طيران من الجناح السادة ، لا توجد مصلحة مادية هنا . وإنما هنا قيمة جمالية تفرض نفسها على جميع الحواجز . هنا (خلق بديع السموات والأرض) الذي يحمل مخلوقاته ، تلمس آثاره في ورق الشجر وألوان الزهر وأجنحة القراش وريش الطواويس ..

كما نقف مذهولين أمام بعض الأشجار الصحراوية ، إذ نجد أن الطبيعة خصتها بدور محنة لتطور حلقة تقطع أنهار الصحاري الجرد لتجد فرصها الخفية في الماء ، ونأمل بغير البعوض فكشف أنه يملك أكياساً هوائية للطفول ليوم في الماء ولا يفرق . كل هذا لا يفسره إلا (عقل كل يفكر ويهندس مخلوقاته) ، فلا أشجار الصحاري تعطل لتزود بدورها بأجنحة ، ولا البعوض يعرف قوانين أو شيدس في التطور ليزود بيضه بوسيلة للوم^(١) .

لغريب :

والإجابة لاشك جيدة لولا فساد العبارة في جنب الله ، فإن تسميه لفظ (عقل) ووصف الله بأنه (الفنان) وأنه (يفكر ويهندس) وغير ذلك من الصفات التي هي للبشر ، من شأنه أن يرهب في أذهان القراء والبسطاء صورة مجسمة لله ، أو على الأقل يضع أمام النواحي تصورات لله يشركه فيها البشر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقد حرم الله استعمال هذا الأسلوب فقال ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الْبَيْنَ ۚ يَدْعُونَ فِيْ أَسْمَائِهِ ۖ سُبْحَٰنَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٢)﴾ .

(١) القرآن محاولة لنهم عصري للقرآن من ٤٢ - ٤٧ .

(٢) الاعراف ١٨٠ .

وهذه الأسماء الحسنى معروفة ورد النص بها في القرآن والسنة ، وفي الحديث (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) . رواه البخاري ومسلم - حد ١٧ / ٥ - . وأحمد وابن حبان . وقد حكى الإمام الأقفاني في «خاظر الخرومي عن دارون أنه قال : إني أرى أن الأحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة أولية ، تنفع إشتاقي فيها نسمة الحياة .

وفي كتاب «الدين والعلم»^(٢) نقل عن أحد العلماء الأمريكيين في كتاب الله باسم «سر التطور البشري» لاثبات نظرية التطور ، ومع هذا فقد جاء فيه : «حين يقرر المرء أن تطور الإنسان من غير استمداد من قوة معنوية ، ونقدعه في الطريق المرسوم للرفق من الحيوانية إلى الإنسانية ، شيء مستحيل ، فمثل هذه الاستحالة كما يستحيل أن يقال أنه في مطبعة ما ، قد جمع كتاب عن تمثيلات شكسبير بالقاء صناديق حروف الطبع على الأرض فإذا بها تتكون منها كلمات وسطور وصلحات القليلة .. انقالاً ومصادقة من غير أن يكون وراءها قوة أحدثت ذلك الترتيب .

وليس من شك في أن التطور أوجد الإنسان لا من المصادفات البهجة بل هو تطور كانت فيه من أوله إلى آخره يد الله القادر المتعال .

وقد نشرت الأهرام في ١٩٧٦/١١/٨ تحت عنوان «كشفت حمزة (٢٠٥) مليون سنة» بيز نظرية دارون عن التطور ، ما نصه : تم اكتشاف بقايا عظام جمجمة إنسان مع عظام بشرية . وهذا يدل على أن المخلوق الإنساني للتصيب فـ السابقين لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه القرد .

وفي الأخبار (مارس ١٩٧٣) نقل عن مجلة الإيكونوميست البريطانية في ١٠ مارس ١٩٧٣ : إن المجلس التعليمي في ولاية كاليفورنيا قرر أن تشرح جميع الكتب الدراسية الخاصة بالعلوم إلى أن نظرية الارتقاء الداروينية نظرية افتراضية وليست حقيقة علمية . وأن ما قبل عن أصول الحياة لا يبدو على أحسن تقدير أن يكون مجرد افتراض ذكي .

نحو ثلاث المجلة : وهذا انتصار للعلماء الذين قاوموا النظرية سنة ٦٣ .

(٢) حرث ناش : الدين والعلم ص ٢٠٨ .

القرآن ونشأة العالم

■ تعرض الكاتب لعدة نقاط : موجزها لأكيده أن في القرآن مالا يفهمه - وقته يشير إلى النظريات العلمية السائدة في تفسير الآيات الكونية كالمادة الأولى للكون ، وتفسير ظاهرة الليل والنهار ، ونظرية دورة الشمس والقمر ، والحركة الداخلية للجهاد كالجبال ، وأن آدم هو طور خلقت قبله ، وأن شجرة الخيطت التي أكلها آدم هي الجنس ، وأنه يقر بتفسير الملاحدة لظاهرة الوحي .. وستناول فيما يلي هذه النقاط .

١ - ألقوا بين كلام الله والقرآن ؟

قال الكاتب : والقرآن حينما نزل يشير إلى مسائل علمية لا يرضها كما يرضها إنعتين بالمعادلات ، وإنما يقدمها بالإشارة والرمز والجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة والعبارة التي توهم في العقل كبريى خاطف ، إنه يلقي بكلمة قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها ، ولكنه يعلم أن التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمة ويثبتها تفصيلا . ﴿ مَثَرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفْقَانِ وَالْجُودِ حَتَّى يَسْجُدَ لَهُمْ قَوْمُ الْقَوْمِ ﴾ (فصلت : ٥٣) ، والله يقول عن كلامه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٧) . ويقول عن القرآن ﴿ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا خَلْقًا نَبَاتًا ﴾ (القيامة : ١٩) . أى أنه سوف يشرحه ويبيته في مستقبل الأعصر والدعور .^(١)

نقد الكاتب

(أ) حل في القرآن مالا يفهم ؟

قد دعوى الكاتب أن القرآن يأتي بكلمة (قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها) قول غير سليم . وكيف هذا والله يقول في وضوح : ﴿ وَلَقَدْ نَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر : ١٧) ويقول آتيا أن لتدبر القرآن وموعنا من لم يتدبره ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانِ أَمْ عَلَى قُلُوبِ الْغَالِيَةِ ﴾ (الفال : ٢٤) والله لا يكلفنا المستحيل حتى يأمرنا بفهم مالا يمكن فهمه ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُسْعَهَا ﴾ (البقرة : آخر آية) . ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة : ٦) . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الشَّيْءِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (آخر الحج) .

والقرآن كما قال الرسول : « مائدة الله فاقبلوا مآذنه ما استطعتم » رواء الحاكم عن ابن مسعود ، وليس إثباتها مجرد التلاوة وإنما المراد ما ينجم عنها من فهم وسلوك .. ومحال أن نُدعى إلى مالا غالبة منه .. ولها كان القرآن جميعه واضحا سهل المثال من طالبه . وقد جاء بلسان عربي مبين ، وعلى نبح يفهم منه الجميع ما يفهمهم .

وقد فهم آية في عصر فلها مفهبا ، ثم يأتي في عصر آخر من يفهمها فيها نافعا كذلك ، والنقط يوحى بما ينفع الناس في كل زمان ومكان . وكل إنسان على حق فيها فهمه ، لأن اللفظ مادام يحمل المعنى ويمشى في إطار الشريعة المشرقة فإن المعنى المستنبط منه يكون سليبا وصحيحا مادامت القرائن تدل عليه . وهذه ميزة للقرآن الكريم عما عداه .. أن تحضر الحكمة منه دائما .. منها تنوعت حليلات الحكماء من رواده .

(ب) لقد لوحنت عبارة الكاتب أن ثمة قارفا بين القرآن وبين كلام الله ، فكلام الله لا يعلم تأويله ، والقرآن تكفل الله ببيانه فقال :
والله يقول عن كلامه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٧) ويقول عن القرآن ﴿ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا خَلْقًا نَبَاتًا ﴾ (القيامة : ١٩) .

فإن كان كذلك فقد أخطأ ؛ لأن قوله .. ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ جاءت في سياق الحديث عن القرآن الكريم ؛ وهي الآية السابعة من سورة آل عمران ، ونصها : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَبِغْيَةِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، فالذي لا يعلم تأويله إلا الله هو المتشابه من القرآن ، وقد بين الله ما علينا نحوه فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَ بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران : ٧) .

٢ - في الآيات الكونية :

أ) السماء :

(أ) قال الكاتب^(١) : في البدء كان شيء كالدخان جاء منه الكون بنجومه وشمسوه ، وذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْوِىَّ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت : ١) . بشير الكاتب إلى نظرية السديم التي تدع إلى أن المسافات والأرض كانتا شيئاً واحداً ، ولد أثبت العلم بطلانها ، للكل " خلفه المستغل .

(ب) وفي تفسير ظاهرة الليل والنهار قال الله تعالى : ﴿ يَكُونُ الظُّلُمُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ (الزمر : ٥) وهي تشير إلى أن الأرض والنهار كمنصفي الكرة يترقى الواحد على الآخر بفعل دوران هذه الكرة المستمر^(٢) .

(جـ) وفي هيئة القمر^(٣) قال تعالى : ﴿ زَالِقَتِ الْقُرُونُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ يس : والمرجون هو فرع النخل القديم اليابس لا خضرة فيه ولا ماء ، ولا حياة ، وهو تشبيه حرق القمر الذي لا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة .. وذكر القرآن دورة الشمس والقمر في غلبيها فقال ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْتَهِىٰ عَنْ قُدْرَتِهَا الْقَمَرُ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس : ٤٠) .

ملفات الكواكب :

ذكرها القرآن الكريم فقال : ﴿ وَالسَّمَاءَ فَاتَتْ الْكَوْكَبُ ﴾ (الذاريات : ٧) والكواكب هي المسارات^(٤) .

في الأرض :

(أ) الحركة الداعية للحياد :

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ كَمُزْمَرٍ السَّحَابِ ﴾ (الملئ : ٨٨) وتشبيه الجبل بسحابة هو تشبيه يقترح على الذهن فكويئلاً ذروباً فضفاضا مغلغلاً ، وهو ما عليه الجبل بالفعل ، فـ الأشكال الجامدة إلا وهم ، وكل شيء يتألف من ذرات^(٥) .

(ب) المياه الجوفية :

قال تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وهو بذلك يشرح دورة المياه الجوفية من السماء إلى سطح الأرض إلى جوفها ، إلى خزانات جوفية ثم إلى نافذات ويتابع نموه إلى سطح الأرض من جديد^(٦) .

(جـ) خلق الإنسان والسموات :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ مَّاءٍ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء : ٣٠) وقال : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ (النور : ٤٥) وقال ﴿ أَكْفَرْتُم بِالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ؟ (الكهف : ٣٧) ثم قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ خَلْقٍ مَسْنُونٍ ﴾ (الحجر : ٢٨) فالآيات تبين أن الله خلق الحياة من ماء وترباب ، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، وهو الطين المثلث المختلطة بالتراب ، وهو ما اكتشفه العلم بعد ألف وأربعمائة سنة^(٧) .

(١) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس السابق ص ٥١ .

(٤) نفس المرجع ص ٥١ - ٥٢ .

(١) نفس المرجع ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٠ .

قال الكاتب : وكان خلق آدم في أطوار ﴿وَلَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح : ١٤) .

ومعنى هذا أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلق جاء هو ذروة لها .. واستدل على هذه الأطوار بالآية التي ذكرها بقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فكلية (ثم) للترتيب الزمني .. والزمن بالمعنى الإلهي زمن طويل جداً .. ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنَّهُ سَاعَةٌ وَيَمَّا تَهَلِّجُونَ﴾ .. وفي مكان آخر قال : ﴿تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَرُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج : ٤) .

(هـ) كروية الأرض :

واستدل الكاتب من قوله تعالى : ﴿أَنَّا أَنشَأْنَا لَكُمْ لِلْأَرْضِ حَتِيبًا﴾ : ﴿كَأَنَّ لَمْ تَلَقَ بِالْأَرْضِ﴾ (يونس : ٦٤) الاستدلال على كروية الأرض فقال : لا تفسير للآية إلا أن تكون الأرض كروية دوائر نصفها ليل ونصفها نهار - فإذا جاءت المساحة بكونون في ليل وانصفت الآخر في نهار^(١) .

● تعليق :

وهذا غير ما فهمته مدرسة النبوة ، وقد جرى لسان العرب على القول . أتيت ليلاً أو نهاراً ، فلا يلهم منه إلا التوقيت الزمني الذي لا يتعلق بكروية الأرض الدائرة^(٢) واستباط كروية الأرض تفسير ضيق الهدف من الآية ويذهب باللائمة منها وهو الصجيجيل بولت الساعة ، ليستغرق الحدز منها كل وقت الحياة من ليل أو نهار ، وما ذكره الكاتب عن الأرض والسماء لا تسلمه له . بل إنه مما يعاب على الكاتب شدة نفاقه على أحدث المعارف ومحاولة إلصاقها بالقرآن .

وخطأ هذا المسلك يندرج على سبيل المثال فيما قرره من أن القمر خراب بايس ، لا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة ، كشرح النخل القديم اليابس ، بينا أذاع علماء الموقيت - عقب ما نشره الكاتب من تفسيره بشهرين - أن المصور التي التقطتها مركبة الفضاء السوفيتية «لونا» عن القمر تزيهم معالم عمران وآثار حياة قوكة .

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من ١٤٦ .

(٢) القرآن والتفسير لمصرى لبنت الشاطي : من ٩٢ ط أول .

أما دعواه أن آدم طور خلقت جاء في أعلى ذروة لها ، واستشهاده بما ذكره من آيات فباطل :

أولاً : لأن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ إنما هو في خطاب الناس جميعاً ، والتعبير ضمير لجمع في «خَلَقَكُمْ» يدل على أن موضوعه ليس هو «آدم» ولكن هو «بنو آدم» وهذه الأطوار شرحها القرآن وشرحها السنة .

ففي القرآن ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم جعلنا النطفة علقة ، فجعلنا العلقة مضغة . فجعلنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحمًا . ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين (المؤمنون : ١٢-١٤) ، فهي أطوار الخلقة كما لال السهولي في تفسيره كما هي أطوار الضعف والقررة والشيوخوخة في الآية الأخرى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ حُضُوٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ حُضُوٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ حُضُوًا وَشِبَعًا .. يَطْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم : ٥٤) . وكل هذه أطوار في خلق الإنسان .

وفد جمعت بين النوعين من الأطوار تلك الآية الكريمة : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُعْطِجُكُمْ طِفْلًا ، ثُمَّ يُهَبِّلُكُمْ أَطْوَارًا ثُمَّ يَكُونُوا شُجْعًا . وَبَيْنَكُمْ مَنْ يَمُوتُ مِنْ قَبْلُ ، وَبَيْنَكُمْ مَنْ يَحْيَا نَبِيلاً مُسَمًّى ، وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (خاطر : ٦٧) ، وطور التراب هنا يشير إلى المصدر الأول للغذاء الذي تتكون منه الخلايا كما ينطق الله منه النطفة والدم .

ومن الأطوار التي حصها القرآن بالذكر أطوار المرء في الرحم ، قال الله سبحانه : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ عُلُقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ، فِي ظِلَاطٍ ثَلَاثٍ﴾ ، فهذا - كما هو تعبیر الكاتب نفسه - يكشف لنا الخلق داخل الرحم ، فيصفه بأنه يتم على أطوار . ﴿عُلُقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ وأنه يجري داخل ظلمات ثلاث ، هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الغلاف «الأميوس» ، كل غرفة منها داخل الأخرى ، والجنين في قلبها ، وهي حقائق تشرحية لم يكن يعلمها أحد^(١) وقد أكلها العلم الحديث .

● تعليلات :

وقد وهم الكاتب في دعواه جهل العرب بأطوار الجنين جهلاً مطلقاً ، فقد تناول

(١) المرجع السابق من ٥٣ .

وأنه يحكمها ولا تتحكم في أفعاله ، ذلك اليقين والتصديق الذي ينشأ من قوله ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، وفي تعبيره عن خلق السماوات في يومين ، وخلق الأرض في يومين ، وخلق جميع الأكوان الأرضية موزعة من لوجتها تحت الذي في يومين ، ما يدل على سرعة الإنجاز للأمر العظيم الذي يأخذ دهوراً مجرد تصميمه فبإفضال عن إخراجهم إلى حيز التنفيذ - بيان لفكرة .

بينما يبرز هذه الصورة الإيمانية لقهر الله وقدرته أن يجعلها محدودة ومقيدة بالسنن الكونية والتكوينية الجيولوجية التي لا تحدث في لحظة (بين الكلاف والتون) كما قال المؤمنون ، بل تحدث طبقاً للمتغيرات الطبيعية للأشياء التي تتحول إلى أطوار متعددة طوراً بعد طور في مرحلة زمنية بعد الطبيعة .

إن ظاهر النص القرآني يؤدي دوراً تربوياً في بناء حقيقة المسلم في قدرة الله وإن التأملات العلمية في خلق السماوات والأرض وسنن الله الكونية فيها تؤدي دوراً تربوياً آخر في بناء حقيقة المسلم في حكمة الله وإبداع تدبيره سبحانه .

ومن هنا كان من الخطأ تربوياً - كما أنه من الخطأ عقائدياً كما أنه من الخطأ تفسيرياً - مذهب بوكاي ومصطفى محمود وأمثالهم . لتفسير الكاتب للأطوار بالأزمان الجيولوجية لا دليل عليه ، فإن اليوم الذي وصفه الله بأنه خمسين ألف سنة . إنما هو يوم القيامة . يوم العذاب ، كما هو السياق للآيات : ﴿ سَأَلْنَا عَنْ عَذَابٍ وَاحٍ ثَلَاثِينَ لَيْسَ قَدْ ذُلُّعَ . مِنْ اللَّهِ لِيُؤْخَذَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَأَضْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . إِنْهُمْ يَرْجُونَ نَجْدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَافِيٌ حَمِيًا . ﴾ .

فكلمة (إنهم يرونه) أي اليوم الذي (مقداره خمسون ألف سنة) وهو من أيام العذاب . ومن أيام الآخرة ، سواء كان الطول على الحقيقة ، أو الطول كتابة من شدة العذاب الذي لا يخلص منه .

والسلم بظاهر المعنى والبعد عن الغجاز : هو مذهب السلف وجهاب المصلين . وإنه لم يمنع من حمله على المعنى المجازي مانع . فإنه هو اليوم الذي ذكر الله أنه ألف سنة في قوله سبحانه : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة : ٥) . يعني أن الله التدبير لكل ملاقاة الحياة فإذا أنهاها كان الحساب في يوم عصيب يطول على العصاة فهو كآلف سنة مما تصدون .

أرسطو وحكام العرب في الجاهلية ذلك ، ونقل ابن سيدة في المخصص عن العرب أنفسهم اسماً خاصاً لكل حال من أحوال الجنين ، وكل مرحلة ووضع ، فالقرآن يتناولهم بما يفهمونه .

وتفسير الكاتب للأطوار بالأزمان الجيولوجية إنما يتابع فيه المستشرقين وعلماء الغرب عموماً - ومن قالوا بتفسير الأيام بمعنى المرحلة الجيولوجية المستشرق الفرنسي بوكاي في كتاب تناول فيه نظريات العلوم والفلك عند آخر نقطة وصل إليها العلم . . وردّها إلى القرآن باعتباره مفتاحاً لكل هذه المكتشفات العلمية .

والواقع أن تفسير مصطفى محمود لأطوار جيولوجية الإنسان يتناقض القرآن كما بيناه ، أما تفسير بوكاي فيقول : خلق الله الأرض في مرحلتين جيولوجيتين . . والسبب كذلك ، واعتبر الإنسان في طور رابع من مراحل ستة لخلق السماوات والأرض وما فيها من حيوان ونبات وغازات ومعادن فهو استلهاهم للآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت التي حضرت خلق السماوات في يومين - وخلق الأرض والسماوات وما في الأرض في ستة أيام - ثم خلق الأرض وأقواتها في أربعة أيام - وإذا قسم من الأربعة يومان لخلق الأرض في يومان لخلق أقوات الأرض ومن عليها . . وهو قوله سبحانه ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسالمين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً فأتتاها فأسفح السحاب من فوقها . ولها من السماء أنهاراً ، ولها السحاب فيها سحباً وضباباً . ذلك تدبير العزيز العليم .

واكتفى بوكاي بقوله : ظهر الإنسان في المرحلة الرابعة . . ولم يقل بأنه مشطور عن سابق . . ولكن السؤال الذي نعرضه إذا كان الله قد قال : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ كما أنه سبحانه في حياته قبل الزمان والأيام . . سواء الأيام الشمسية أو القمرية أو الأزمنة الضوئية الجيولوجية وهذا يقتضي أنه منفرد في وجوده وحياته وإيمانه بما ليس كمثلته شيء . . وكل هذه الأزمنة هي للأكوان وليس الله كمثلها . ولهذا أغلبت العقول والقبول أن يترك تفسير الأيام لصاحب هذه الأيام علام الغيوب . . وننتفع نحن بهذه الدراسات العلمية للتكوينية الجيولوجية . . بدلاً من أن نربط تصورات المؤمنين والباحثين عن الإيمان بتصور يشجبه اليقين بقهر الله للسنة الكونية

وقال بعض أديباء العلم : إن كلمة ﴿يَمَّا تَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى أن الألف سنة هي ستين ضوئية تجدد المسافة بين الأرض وأقصى نقطة في عالم السماوات . وغلب عن القائل أن الله ليس في جهة . ولا يشغل حيزاً حتى يجعل خروج الأعمال إليه على الحقيقة . وعروج ما تم في الحياة من تدبيرها وعرضه على الله ... وتدبير الله يتناول ما خلقه وما يسر الناس لعمله من خير أو شر . وكل من التفسيرين مقبول ... ولكل مسلم أن يختار ما تطلب إليه نفسه .. دون أن يقع في التجسيم - أي نسبة الله إلى جهة ، ووصفه بشغل حيز من الفراغ أو الانحياز في جهة .

وقد وقع في سحر نظرية التطور كثيرون قالوا ما قاله الكاتب في تفسير خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، بل هي نظرية أفلاطون ، وذكرها العرب في صور شتى في تفسير القرآن بما ليس حصرياً ، وإنما هو يوناني وثني ، ونسب النزاع في بطلان أن آدم كان طورا خلقياً لأحد المخلوقات كالقرد أو غيره وله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ أَحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ثم جعل نسله من سلالته من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم الشج والابصار والأنف والأفئدة قلباً ما تشكرون . (السجدة: ٧ - ٩) .

فهو يقرر أنه خلق قبل آدم خلقاً أحسنه ثم بعد ذلك خلق آدم من طين ، ثم جعل نسله من سلالته من ماء مهين ، ثم بعد خلق آدم من الطين نفخ فيه الروح ، وجعل له السمع والبصر ، هذا فضلاً عن أن نظرية التطور رفضها جمهرة كبيرة من أهل العلم فقالوا : إن كل نوع له أصل خلقته واحترف دارون نفسه بأنه لم يستطع أن يعرف سر الحياة ، وأنه كلما تعمق في بحوثه هذه أدرك أن أصل الحياة هو الله تبارك وتعالى (١) .

ونظرية التطور تفتقر الارتقاء إلى الأعلى والأصلح ، وآخرون قالوا : إلى الأجل ، والشيء لا يسنى حسناً إلا إذا تضمن الملاج والجمال المنع من للتطور . ولهذا فإن أي دعوى للتطور من أجل التحسن باطلة بعد أن قال الله عما خلقه قبل آدم ﴿وَأَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ ، وبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿ وهذا الطين لا شك أنه ليس أحد المخلوقات النامية .. ثم إن الله ذكر نفخ الروح في يده على أنها بعد خلق

الإنسان ، حيث إنه يلفظ : ﴿ثُمَّ﴾ ، فقال على الترتيب الزمني ، ومعنى هذا أن المخلوقات التي سبقتها - وهي ذات أرواح كالقردة - لا يمكن أن يكون التطور منها والمنشعب عنها هو الإنسان الذي كان من طين ، وبلا روح .

● آدم بين المال والواقع :

قال الكاتب ما نصه : إن الآية - ١١ من سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ بَقَاً لِمَلَكِكَةٍ اسْتَجَنُوا لَآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ . نحدد أن خلق الإنسان تم على مراحل زمنية ، ثم خلص إلى أن آدم جاء عبر مراحل من التخيل والتصوير والنسوية استغرقت ملايين السنين ، بزماننا وأيامنا بزمان الله الأبدى (٢) .

ثم قال في قوله تعالى ﴿وَالَّذِي أَطْعَمَهُ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (أي إله هدى سورة الشطور حتى بلغت ذروتها في آدم ، ص ٥٣) .

ثم عال ابتداء آدم من الماء والطين على مراحل تطورية في الأرض بأنه كان ودة واحتكاساً وحقاباً لخطية آدم الذي خلقه في البدء - في أحسن تقويم - وخلق له من نفسه زوجة ، وأسكنه كوكب الجنة . ثم وقع تحت إغراء إبليس فأكل من الشجرة ، وكان العقاب هو الطرد والإجهاط إلى الأرض والنزول إلى التيه المادي - طين المستنقعات - هذه المرة إلى جرثومة في طين الأرض إلى نقطة بدء أولى من النصف .

قادم الذي حبط إلى الأرض - كما يصرح الكاتب - ليس إلا جرثومة من طين الأرض انبثقت في تدرج - عبر خمسة آلاف مليون سنة - كما تقول علوم البيولوجية ، وعبر مراحل وأطوار بدأت بالخطية الأولى ، الأسيا ، شُعداً إلى الإسفينج والزعفرات والقشريات في رحلة قاسية ، وعبر صراعات حامية مع يرثات متعددة تكافح لها الحياة ، وأجاب الله آدم على توبته بأن هداه في رحلته الدامية وأخذ بيده خارجاً بها من رحم الأرض ومن طين المستنقعات حتى وقف مبتصفاً على قدميه ، محاكياً آدم الأول ، آدم الصورة والمثال الذي خلقه في الملاكوت ، ولكنه في هذه المرة آدم جديد ، ص ٥٧ ، ٥٩ من الكتاب .

(١) الإمام حسن البنا في محاضراته بدروس الثلاثاء ١٢/١٢ سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٠/١٢/٣٠ م .

(٢) الفرقان : علوة لعمم عصرى القرآن ص : ٥٢ .

وسياق آيات البقرة من الآية ٣٠ إلى ٣٨ ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَالَمِينَ﴾ في سياق الأرض خليفة ، قالوا أتعجل فيها من يفيد فيها ويسلك للعلماء ونحن نسمع بحكمة ونفقد لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوا بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . ﴿

﴿وَأَذِّنْ لِلْعَالَمِينَ﴾ استجروا لآدم ، فاستجروا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجتهما مما كانتا فيه ﴿وَقُلْنَا : اضْبُطُوا ، تَهْبِطُكُمْ يَتَعَصَى عَدُوُّكُمْ فِي الْأَرْضِ فَسُتَرْ وَمَتَاعٌ فِي حِينٍ﴾ . ﴿فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَاقْبَلْ عَلَيْكَ ، إِنَّهُ هُوَ اقْتَرَابُ الرَّحِيمِ﴾ . ﴿

﴿إِنَّكَ اضْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا إِنَّمَا بِأَيْمَانِكُمْ مِنِّي مُغَيَّرٌ﴾ . ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . ﴿

هذا السياق يدل على أن آدم المملوك هو بعينه وخفيه ودمه وروحه - آدم الأرض - وكيف غاب عن الكاتب قوله تعالى : ﴿الْأَنْزِلُ وَالرِّدَّةُ يَنْزِلُ الْغُرَى﴾ ؟ (النجم : ٣٨) . ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر : ٣٨) .

فتواب الله لآدم الأرض وكيف يتم مكافأة على توبة آدم آخر ، هو الذي كان في المملوك وعالم المال ؟ هذا ما لا يتصوره العقل وقانون العدل .

■ الأكل من الشجر طاهر ومزي ؟

قال تعالى : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف : ١٩) .

وقال الكاتب :

هاتين أولاه أمام مخلوق وهبه الله طبيعة مزدوجة فهو روح مضطحة على المملوك ، يستطيع أن يعيش هو وزوجته منة الروح .. وزواج الروح ، فيكون له المخلوق بدون

حاجة إلى نسل . وهو في الوقت ذاته جسد يمكنه أن يختار منة الجسد وزواج الجسد ، فيتجسد في شجرة النسل مثل أسلافه من الحيوانات (وهذه هي الشجرة) .

تعقيب :

وقد أثبتنا عدم صحة نظرية التطور .. ومن ثم قدعوا أن الشجرة هي شجرة النسل مثل أسلافه من الحيوانات دعوى باطلة ، إن أراد بكلمة أسلافه أصوله .. أما إن أراد بالأسلاف مجرد من سبقوه من خلق الله ممن ليس هو طوراً لهم .. فذلك موضوع له حديث آخر ، ونخلصه أن الشجرة هي شجرة معينة لآدم وقوله سبحانه : ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فيه بيان لشيء واحد من أشياء متعددة ، وهذا يدل على بيان القصد من خصوص النبي ، وقد أثبت العلم أن من الأطعمة والأدوية ماله تأثير على سبيل الشر فلا غرابة في أن يكون النبي من الله من هذه الشجرة لحكمة تتعلق أيضاً بسلامة البدن ، إلى جانب الحكم التبريرية الأخرى ، وفي هذا النبي دعوة إلى ما يؤدي إلى تكريم آدم بالمخاطب على سترته التي تسقط بالأكل من هذه الشجرة ذات الخواص المؤذية ، وفي سترته جلال واحترام ومهابة وصون لاداه ، ولهذا لا عجب إذا قلنا إن الطعام هو طعام على الحقيقة ، والأكل هو الأكل الذي لمرقه ، وقد كان آدم مثلاً رجلاً له زوجته .. بأكلان من مختلف الأطعمة الحلال حتى وقعا في تناول ما حرم الله فكان جزاؤهما الخروج من الجنة إلى شقاء الأرض بعد أن عرفا كيف يسلط الصالحون ، وعاقبة الصلاح والطاعة ، ليكون منها وفيهم يورثانها خصائصها البشرية . حين لا شعوري إلى هذه الجنة .. ظله يورث بينه كل نفس - بما ذاقته من تجارب والطباعات وعادات - فيها يشبه الخلاصة والبلور وتصلها الجينات ..

إن الله لم يترك آدم في الجنة للمنة الروحية فقط لكنه منح جسده المنعة التي يحتاجها ، فأذن له أن يأكل وزوجه من الجنة رَغَدًا حيث شاءا - إلا شجرة واحدة عيَّنهما لحردهما كبح جماح النفس والسيطرة عليها ، والحرص بطاعة الله والتزام أوامره لأنها أوامره ، مع غرض النظر عن حكمة التشريع إذا جهلتها ، وعما يزينه الشيطان من مزايها فيما حرمه الله ، فإن ما حرم الله علينا ليس بخلاً منه ، ولكنه مجرد اختبار للإنسان ، والأشياء عنده متساوية ، لا غال فيها ولا رخيص ، ﴿بل ينادي مبسوطان يلقى كيف يشاء﴾ (المائدة : ٦٤) ومن ثم لم يذكر الله لنا نوع هذه الشجرة ، لأنه لا قيمة لحرمة نوعها ولا صيرتها في ذلك . إنما العبرة في مجرد الامتناع لأوامر الله سبحانه أو

القرء عليه . فما قيل من أنها شجرة الخنطة ، وما قيل من أنها شجرة الكرم^(١) ، لأنها مصدر الإسكار والخمر ، وما قيل من أنها شجرة النخل ، إنما هو حطس^(٢) ويبحث فيها لا طائل تحته^(٣) . فالعصية ههنا كبيرة مها كان ما عُصِيَ فيه من القضية المذمومة . وكما قال الإمام الغزالي : لا تنظر إلى عظمة العصية ولكن إلى قيمة من تعصيه وعظمت .

● جنة آدم للمعصية :

وما ذكره الكاتب من أن الجنة هي جنة الطاعة ، والإسلام للناموس الإلهي ، وأن الأكل من الشجرة يعني مخالطة زوجته بالجلد ، مما أدى إلى شقائه بعد هذه المخالطة ، كلام لا يسلم له .

استدلال الكاتب :

قال : وما يدل على أن الشجرة رمز للجنس ما يروى القرآن عن آدم وسواء بعد نفوق الشجرة ، وكيف بدت لها سواتها والسواة هي العورة - وكيف طلقا بخصفان عليهما من ورق الجنة ، أي يغطيانها بأوراق الشجرة خجلاً ، ولجعل من الأعضاء التناسلية لا يألى إلا بعد تدفوق اللذة منها ، ولهذا لا يجعل الطفل من أعضاء التناسلية ولا يغطيا ، بينما يجعل البالغ حقن من ذكر اسمها .

ثم لرى القرآن يخطبها بعد تدفوق الشجرة على أنها جمع فيقول ﴿ اقْبَلُوا بِغُفْلَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٦) . بينما كان الخطاب من نفس الآيات قبل الخطبة هو خطاب إلى منى ﴿ فَكَلَّا مِنْ حَتَّى تَبْشُرَ نَفْسًا وَلَا تَقْرَأَ عَلَيْهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (الأعراف : ١٩) . ومعنى هذا أن الاثنين أصبحا ثلاثة وأن الأكل من الشجرة قد أدى إلى الحمل .

وفي سورة طه : ١٢٢ ﴿ اقْبَلُوا بِهَا جَمِيعًا يَتَخَفَتُمْ يَتَخَفَتُمْ ﴾ . وهو خطاب إلى منى وجميع في نفس الوقت ، وفي نفس العبارة ، ولا تفسر كذلك إلا أن يكون الإنسان هما في ذات الوقت جمعاً ، وأن الأكل من الشجرة أدى إلى التكاثر وكلمة

(١) الخشب .

(٢) الحطس : التحديق .

(٣) لا طائل تحته : لا فائدة منه .

﴿ اقْبَلُوا ﴾ بكسر الهمزة ، وقراءة ابن حيوة بضمها ، قال الكاتب إنها لا تعني الهبوط من السماء إلى الأرض ، وإنما الهبوط هبوط في الدرجة من رتبة التفضيل والانفتاح على اللذات إلى رتبة الانغلاق على الخواص الأرضية المصودة ... وكلمة الجنة تعبير مجازي عن الرتبة العالية للكونية التي كان فيها آدم قبل المعصية ، أو هي مجرد وصف للحقيقة الفناء .

ملاحظات الدليل :

١ - نوهم الكاتب أن الأكل من الشجرة هو العملية الجنسية حيث يكشف كل من الرجل والمرأة عن سواتهما علناً ثم ذلك خجلاً من منظرهما لسرا العورة .. وهذا الفهم خاطئ ، لأن القرآن جعل كشف العورة أمراً نالاً ومتربهاً على الأكل من الشجرة ، يعني أن الأكل ثم أولاً ، ثم أعقبه انكشاف العورة كما هو نص الآية الكريمة : ﴿ قُلْنَا ذَاكَ الشَّجَرَةُ بَدَتْ لَهَا سَوَاتُهَا وَطَلِفًا يُخْفِيَانِ عَنْهُمَا مِنْ ذَلِكِ الْجَنَّةِ ﴾ (الأعراف : ٢٦) . الجملة شرطية : الشرط إذا ذاقا الشجرة ، والجواب ﴿ بَدَتْ لَهَا سَوَاتُهَا وَطَلِفًا ﴾ . الآية ، وهذا يعني ظهور السواة والارتياح من كشفها ، والمخلف السرج لسرها بأكروب ما يجدان : وهو ورق الشجرة .

والسبب أن الكاتب يقرر أنها خجلاً لسرا العورة بورق الشجر ، فيجعل الشجرة تعبيراً مجازياً عن شيء معنوي ، وهو إشباع غريزة الجنس ، ويجعل ورق الشجر الشيء المعنوي ورقاً حياً حقيقياً يظهران بسرعة إليه ليسترا به ، وهذا منتهى الاضطراب في الفهم . ويذكر الكاتب أن الخجل من العورة لا يكون إلا بعد الإشباع الجنسي .. ومن ثم فإن الأطفال الذين لا يعرفون الإشباع الجنسي لا يخجلون من كشفها .. وهو قول غير علمي . فكم من الرجال يخجلون بعد صلباتهم الجنسية بذلك بين أصحابهم ، وهكذا تبلى بعض النساء ، وإن كنا نسمي هؤلاء بقلة الحياء بحكم التقاليد التي أرساها الإسلام حين تنهى عن ذلك .

وفي الوقت الذي يجادل فيه المرء من ذكر أعضاء الذكر ، الثاني للحياء للوروث ، نرى بعض الصلاحين والأساطدة الجامعين الذين لم يتمكن تقاليد الإسلام منهم ومعايير الأدبية من توسيع وفي قلوبهم ، لا يباؤون بالاستحجام عرايا تماماً أمام زملائهم .

ثم هل نسي الكاتب أندية العراة ؟ بل الشعور العارية لا كل هذا ينتقض حجته .
أما الأطفال فإنما يفعلون ذلك قبل تأديبهم وتعليمهم ، وقبل أن يمسخ عليهم
الجميع بيده وتعاليمه .

٢ - وأما استشهاد الكاتب بقوله : ﴿ أَهْبَطُوا يَنْصُرُكُمْ يُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ ، وروحه أن
الجميع لآدم وحواء والحمل ، فهو خطأ فاحش .

أولاً :

لأنه حين ترورنى امرأة حامل لم تلد غائق لا يصح في اللغة أن أقول مثلاً : ليلى
حضراء ، حتى هي وجنينها ، لتضمير الجميع لا يطلق إلا على ما كان له وجود في عالم
الشهادة ، ولا تقول في امرأتين حليلين أو إحداهما حبل : اذهبرا إلى المدرسة ، أريد
بالجميع المرأتين والجنينين ، لأن الجنين ليس أهلاً للخطاب ، وعجلى أن يخاطب الله
بالتكليف مالا يعمل من الأجنة . ولا يقال إنه تفتح الروح في الجنين ، لأن الروح لا
تدب في الجنين في بعض قول أهل العلم إلا بعد أربعة أشهر ، والآية تقول : ﴿ فَالْزَلْهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرِجْهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ، والفاء في قوله : ﴿ فَأَخْرِجْهُمَا ﴾ تنبئ
التريب ، والتعقيب ، أى أنه حين وقع الزلل تبعه الخروج من الجنة مباشرة .

ثانياً :

المراد بالجميع آدم وحواء وإبليس كما هو مباني الآية التي بترقاً^(١) الكتاب . لأنه
يقول : ﴿ فَالْزَلْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرِجْهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ . وَلَكُلَّا أَهْبَطُوا : يَنْصُرُكُمْ
يُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ (البقرة : ٣٦) وهو قول بين .

وما ذكره من أن الخطاب لآدم وحواء بالثنى قبل ذلك فهو في سورة الأعراف .
وقد تبع ذكر الحديث عن آدم وحواء حديث عن الشيطان ودوره معها . ولذا أيضاً
كان الضمير هائداً على الشيطان وحواء وآدم ، وسياق الآيات - ﴿ وَبَا آدَمُ مَسْكَنَ تَحْتِ
وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْخَالِئِينَ
* فَرَسَوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيْهِمَا ، وَقَالَ : مَا نَهَاكَمَا
رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِئِينَ * وَلَقَسَهُمَا فِي

(١) بترقاً : قطع جزء منها .

لَكُمَا لَمِنَ الْكَاصِحِينَ * فَلَمَّا كَانَا فِي الْغُرُفِ ، فَلَمَّا ذَلَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخُصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ،
وَقُلْتُ لَكُمَا : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ أَهْبَطُوا : يَنْصُرُكُمْ يُخْرِجُ عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * ﴾ (الأعراف : ١٩ - ٢٤) .

وأما ما جاء في سورة طه : فالخطاب لآدم وحواء بالثنى في قوله : ﴿ قَالَ أَهْبَطَا
وَيُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ ، وأما الجميع بعد ذلك في ﴿ يَنْصُرُكُمْ يُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ فهو التفات لبني
الإنسان جميعاً من أمه عهد ، تذكر قصة الصراع بين الحق والباطل ، ووقوف البعض
إلى جانب الحق ومساعدة الآخرين لهم ، ونهي بني الإنسان أن يستجيبوا للهدى ،
وتحذروهم الشقاء إذا لم يستجيبوا لله سبحانه .

ولذا فالقراء يقفون عند قوله سبحانه ﴿ جَمِيعاً ﴾ . ثم يتدبرون القراءة بقوله
﴿ يَنْصُرُكُمْ يُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ ، فلما يأتينكم ينشئ هدى ، فَمَنْ آتَى هَذَا فَلَا يُغَيِّرْ وَلَا
يُخَفِّى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَاعِزِّي فَإِنَّ لَهُ نَصِيحَةً مَسْكَنًا وَنَعْفُورَةً يَوْمَ الْحَافَةِ أَعْمَى * قَالَ
رَبِّ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُخَذِّلَنِي وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا ، وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ تُنسى ، وَكَذَلِكَ نُخَذِّلُ الْمُكَذِبِينَ * وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ
وَأَلَمٌ * ﴾ (طه : ١٢٣ - ١٢٧) .

ونسلوب الالتفات عن الخطاب في الحكاية القاطية ﴿ قَالَ أَهْبَطَا ﴾ إلى الخطاب
للخاسر : ﴿ يَنْصُرُكُمْ يُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ . الآيات ، من الأساليب البلاغية الرقيقة التي
يعلمها علماء البلاغة ، وكان على الكاتب أن يدرس هذا الفن ، كما كان عليه أن
يدرس المنطق وفن أدب البحث والمناظرة ، إلى جانب اطلاعه على المعنى الواسع في
العلوم الحديثة ، لأن دراسة القرآن كما تتطلب ما درسه ، تتطلب التعمق في الدراسات
اللغوية والنطقية .. وفي السنة كذلك .. وفي أسباب التزول : حتى يضمن لنفسه
العناصر من القوام في هذا الطريق الشاق الذي سلكه ، ولبأسه البتار في محاولته التي
سماها « محاولة » لتفسير عصرى للقرآن

وقول الله ﴿ يَنْصُرُكُمْ يُخْرِجُ عَنْكُمْ ﴾ ، فلما يأتينكم ينشئ هدى ، والهدى هو
القرآن ، يدل على أن الخطاب في ﴿ يَنْصُرُكُمْ ﴾ ليس موجهاً إلى آدم .. وبعبارة

أخرى : هو دليل الالتفات ، مع ما تلا ذلك من خطاب صريح وتناء واضح للأمة الحمادية .

ومن الإنصاف أن نقول : إن ما ذكره الكاتب - من تحليل الجمع بوجود الحمل - له أصل في تفسير الجلالين : إذ قال الجلال المحلى : ﴿ أَهْبَطَا ﴾ بما اشتدنا عليه من الذرية ﴿ تَغْشَاكُمْ ﴾ أى بغش الذرية ﴿ لِيَحْمِلَ عَثْرًا ﴾ .. ولكن ما جاء في تفسير الجلالين لا يعنى الحمل ، ولكن يعنى ما أودع الله في الصلب والفرات من خاصية الإنجاب .

ولم يفرق بين هذا القول الذى لا يتناول مع العقل والمنطق وبين كلام الكاتب ، فإن كان له أزام متابعة الجلالين فقد أخطأ الفهم أو خالفها .

لأنه :

لوسلما بأن ضمير الخطاب في ﴿ تَغْشَاكُمْ لِيَحْمِلَ عَثْرًا ﴾ يراد به آدم وحواء لكان على لغة من يجمع الثنى جمع الكثرة من القبائل العربية ، ولا يعنى الجمع إلا آدم وحواء حينئذ .

ومثال ذلك في القرآن قول الله عن سليمان وهابود : ﴿ وَكَانَ لِيَكُونَهُمَا شَاهِدِينَ ﴾ . بعد قوله ﴿ وَقَاوَدَ وَسَلْهَمَانِ إِذْ يَنْتَكِلَانِ إِلَى الْخُرُوتِ ﴾ (الأنبياء : ٧٨) .

أو أن الخطاب لآدم وحواء - باعتبار ما سيكون من وجودهما ووجود نسلهما - فالجمع في ﴿ تَغْشَاكُمْ ﴾ لا لحمل علم وجوده في جوف حواء ، ولكن باعتبار ما سيكون ، وهذا لون من البلاغة معروف . وهو ما ذهب إليه الزمخشري ومطابقة معه .^(١)

وقال البيضاوى : المراد من الخطاب ليس آدم وحواء بل ذريتهما ، والمندوة هي التزاع على الحياة ، وأخرج القرطبي هذا عن مجاهد والحسن^(٢) .

وروى البيضاوى غولا بأن ﴿ أَهْبَطَا ﴾ خطاب لآدم وإبليس ، وعليه التزاع بين بنى آدم وبين بنى إبليس ، وإنما عير عن بنى كل بالبضية ، لأنهم بطن لبيم وجزء

منه . ومن ثم فالصراع بين الحق والباطل . وهذا ما رجحه ابن القيم ، لأن الله حين ذكر المعصية قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ ﴾ ولم يذكر حواء . ثم قال : ﴿ أَهْبَطَا مِنْهَا جَنَّتَا ﴾ . فهذا يدل على أن الخطاب بالإهباط هو آدم ، ومن زين له المعصية ودعت الزوجة تبعا ، وهذا أن المقصود إخبار الله تعالى للمكلفين من الجن والإنس بما جرى على أوبىهما من شؤم المعصية فلا يقتدوا بهما^(٣) .

الشجرة في التوراة :

جاء في سفر التكوين : أن آدم وحواء لم يكونا يرتديان شيئا ، ومجهلان أن عدم لبس الثياب يكشف العورة حتى أكلا من شجرة المعرفة ، ففرقا وجوب الاستئثار . وهذا الذى روى في التوراة ونقله الكاتب يكذبه القرآن بقوله : ﴿ يَتَرَفَّعُ عَنْهُمَا لِيَكُنَّهَا لِيَوْمَئِذٍ مَوَظِعًا ﴾ (الأعراف : ٣٧) ، فالترفع إنما يكون لشيء موجود قبل الأكل كما جاء به .

● تفسير المصطوف من الجنة :

صحیح أن المفسرين اختلفوا في (المهبط) الذى هبط = آدم وحواء ، وفي المكان الذى هبط فيه : فقل عن المنذر بن سعيد البلوطى وأبى مسلم الأصفهاني وأبى محمد عبد الحق بن عطية في تفسيرهم عن جماعة أنها ليست جنة الخلد ، وإن كانت في السماء في رواية الحسن .

وخالف الحسن آخرون : فروى بسند لم يصح أنها كانت جنة في الهند ، وقيل بعدن وقيل بمكة ، وقيل هبط بسريديب من الهند يجبل يقال له (بود) أو (راهون) كما نزلت حواء بمكة وإبليس بالأبلة والحية في سجستان ، فهي لذلك أكثر بلاد الله حيوات . وقيل بل هي جنة الخلد وهو مذهب أهل السنة ، وقالوا : هي التي دخلها النبي ليلة المعراج وقيل بالترقف . والمترلة : على أن جنة آدم بستان باطن ، لأن الجنة لا تكليف فيها ولا خروج منها ، بينا القرآن يحكى تكليف آدم بها . ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ وأجاب أهل السنة بأن التكليف الذى في الجنة ليس إلا التكليف بالمعرفة والتوحيد^(٤) .

(١) المرجع السابق ص ٦ و ١٧ .

(٢) تفسير القرطبي ص ١ : ص ٤٦ .

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ١٦ ط أول مطبعة المطبعة في مصر .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

ولا مانع من أن تكون الشجرة شجرة تؤكل بالفعل فتؤدي إلى إطلاق المرمونات واشتعال الرغبة الجنسية ، ومن ثم تُلقي بآدم إلى الغفلة الجنسية ، وتكون الآية صادقة حرفياً وبجازياً ص ٦٣ .

تعقيب :

وخطأ الكاتب في هذه المرة - يرجع إلى أنه ذكر الحكمة غيباً ورجماً بالغيب ، والغيبيات - كما يعلم - لا يجوز التحدث عنها إلا استناداً إلى نص .
والخطيئة هي مخالفة لأمر الله بالأكل من الشجرة - لأنها كانت هذه الشجرة ، أو كانت قسماً ، أو نوحيتها الغذائية .

ثم إن آدم لم يجره وعرف خطأه بمجرد الأكل ، لا بكليات من الأكل المتكررة تؤدي إلى تمثل هرمونات بدرجة تهبب غريزة الجنس .

وما أحسن ما عظم به الكاتب ما لاله إذ قال : « ولا يمكننا التقطع في هذه المسائل - ويجب أن نقول : إن الشجرة مازالت لقراء ، وإن قصة الخلق مازالت من أمور الغيب ، لا نستطيع أن نقول فيها أكثر من الاجتهاد »^(١) ، غير أننا نقول إنه من المقطوع به أن الشجرة كانت مادة أمّا ما نوحها ؟ وما هي ؟.. فهذا هو الغيب ، ونقول إن الخلق لآدم كان من قراب ، وأما أين هبط وكيف ثم الخلق ؟ فهذا هو الغيب .
السموات السبع :

اعترف الكاتب بأن العلم بباغير متحقق : قالوا إن السبع سبع ، وثم سبع درجات من الأطوار الموجبة ، من الأحمر : إلى البضجى . وبالمثل السلم الموسيقى سبع درجات في جميع حالاته ؟ وأن هناك سلماً يكرر نفسه من أسفل سافلين إلى أهل عِلين ، سبع محاولات وسبع أرضين مثل ما للضوء سبع درجات ، والألوان سبع درجات ، والألغام سبع طبقات ؟

هذا مجرد احتمال .. ولكنه يشير إلى أن حافى القرآن من أسرار لا يمكن المورد بها مروراً هيناً ، وأنها تحمل مدلولات غاية في العمق^(٢) .

تعقيب :

وهنا احترق الكاتب إنسانيتنا ، فاعترف بجهلنا أمام واسع علم الله ، ولكنه أثار

سؤالاً فقال : كيف جاء القرآن بهذه الموافقات التي انفتحت مع نتائج العلوم والبحوث والجهود الفنية عبر مئات السنين ؟

أصيافة ؟

وإذا سلمنا بمصادقة واحدة .. فكيف نسلم بالباقي ؟ وكيف يخطر على ذهن نبى أمى مشكلات وقضايا وحقائق لا يعرفها عصره . ولا تظهر إلا بعد موته بأكثر من ألف وثلاثمائة سنة ؟

« وإذا أخذنا بالتفسير المحدث الذى يرى في ذلك الكلام الذى يحى على لسان محمد ﷺ صورة من نشاط عقل باطن انفتح تماماً على الحقيقة المطلقة . إذا قلنا هذا فقد اعترفنا باعترافاً مهذباً جداً ، وعلمياً ، بالوحى .. فما الحق المطلق سوى الله ، وما الاحتياج على الله والاتصال به إلا الوحى بعينه ، ولكن القصة لم تنته ، لأن القرآن يزودنا بما هو أكثر من كل ما قاله العلم فيطلعنا على بعض الغيب .. كقصة آدم وإبليس واسجاد الملائكة لآدم^(٣) »

● حقيقة الوحى :

ما ذكره الكاتب من تفسير الملائكة ، وإلراهم عليه ، وقوله « إنه اعتراف مهذب جداً ، وعلمى بالوحى ، فيه إنكار لوجود الملائكة الذين ذكر الله أنه اختار منهم جبريل مهلباً للنبي كلام الله ووحى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ . علمه شديد القوى . فوحيه (أى قوة) فاستوى . وهو بالآلى الأهل . ثم ذنا فندلى . فكان قارب قرابين أو أذى . فأوحى إلى عتيدو - أى محمد عليه السلام - ما أوحى . ما كذب القواد ما رأى . فلما رآه على ما يرى . وتلك رآه لآلة أخرى . جلد ستروة المتقى .
(النجم : ٤ : ١٤) .

وقد روى المفسرون عن رسول الله ﷺ تفسير كل ، وعلامته أنه رأى جبريل بالآلى في حجم سد الآقى ، وهو ما نراه في السماء بالعين الجردة حتى نهاية البصر ، ثم نزل جبريل بصورة مصفرة فقابل النبي وأبلغه ما أوحى الله به إليه ، وهكذا ليلة المعراج رأى جبريل مرة أخرى عند شجرة نسمى « ستروة المنهى » جاءت الأحاديث بوصفها .

(١) نفس المرجع .

(١) القرآن محاولة للهم حصري للقرآن ص ٦٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٦٣ : ٦٤ .

وقد جاء في البخاري وغيره أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن يأتيه من ملائكة الوحي فاجبرهم أنه جبريل ، فتكروا لجبريل ، فظهروا بقتلهم له ، وفي هذا نزول الآية ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿ (البقرة ٩٧ : ٩٨) .

وهذه الآيات نص صريح في أن الوحي له ملك كثر به الملاحظة .
وتناول القرآن حديث الوحي والذي يأتي به إلى النبي وأنه ثقة عند الله ذي العرش فقال : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ جُنتُ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ . وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَقَدْ رَأَى بِالْأَفَاقِ الْمِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . ﴿ (التكوير - ١٨ - ٢٥) فنرى هنا أن يكون الوحي حديث نفس أو تخيل شيطان .

حقاً : إن للوحي طرقاً متعددة ، ولكنه في كل الأحوال ليس بقرار القلب ولا حركته ، ولا تابعا من النفس ، ولكنه إضافات علوية إلى قلب النبي وعقله وإيقنة إليه ، كما في الآية الكريمة ﴿ وَمَا كَانَ يَشِيرُ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِلَا إِلَهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴾ (الشورى : ٥١) .

قال السيوطي في تفسيره ﴿ وَخِيًّا ﴾ يعنى مناماً أو إلهاماً - ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ كحديث الله لموسى عند الشجرة المباركة ، ﴿ وَرَسُولًا ﴾ أى ملكاً كجبريل .. ومن أمثلة المنام وحى الله لإبراهيم أن يذبح ولده ، وحى الله للنبي محمد ﷺ أنه سيدخل البيت الحرام .. وفي منام إبراهيم قال القرآن : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ : يَا بَنِي إِدْرِيسُ اتَّبِعُوا مَنِ أَلْفَيْتُمْ فَالظُّرَّ مَاذَا تَأْمُرُ قَالُوا يَا أَبَتَنا نَحْنُ مُسْتَعِذُونَ يَا أَبَتَنا إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (الصافات : ١٠٢) .

ولما كان إسماعيل يعرف أن رؤيا الأنبياء وحى ، وليست حديث نفس قال : ﴿ الْعَقْلُ مَا تُؤْمَرُ بِهِ ﴾ : فهو إذن أمر من الله وليس اختراع قلب .

وفي رؤيا النبي محمد ﷺ قال : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ فَبَدَأَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آتِينَ مَحَلِّينَ وَمُؤْمِرِينَ لَا يَخْفَوْنَ ﴾ (الفتح : ٢٧) .

ولما كانت أمراً من الله خرج النبي إلى مكة للعمرة فيها يسمى عام الحديبية ، وتعد

الناس إلى ذلك ، واعتبر المتخلفين دون عدد آثم ، ولم يقبل عنهم وفضح أمرهم فقال سبحانه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَاكُمْ وَأَهْلُؤَنَا فَامْتَحِرْ لَكُمْ ، يَقُولُونَ بِالَّذِينَ مَا نَكُنْ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (الآيات : ١١ من الفتح وما بعدها) .
وليست كل الرؤى كذلك وحياً أمراً مطاعاً بالرغم من أن النبي ﷺ قال : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة »^(١) - فهذا الجزء يكفي للفت النظر ولكنه ليس الحقيقة المؤكدة التي نجدها عند الأنبياء ، فهي تحصل عند غير الأنبياء أن تكون أختصاصات أحلام .

وأما الإلهام فليس في الحقيقة وحياً بوحى ، وإنما هو رأى تفنى عنه اللسان ، وانكشف للنفس ، وقرأى للقلب أو البصيرة . ومنها يمكن من أمره فإنه من باب « الخيال » في أصلق أحواله ، كقول عمر في المدينة لقائده في بلاد المعجم : يا بنيارة الجبل الجبل ، ومن باب الإلهام الذي كان فيها زعموه لعبد القادر الجيلاني الصوفي .
رأى أنه قال لامرأة : سيكون الجنين الذي في بطنك ذكراً ، فجاء المولود على غير المعتاد من صدق إلهام الشيخ ، لسأله المرأة عن هذا فقال : القادر كذب عبد القادر ، فجرت مثلاً .

أما الإلهام فربما كان مراد السيوطي به هو نكت المعنى عن روح القدس في قلب النبي ، كقول الرسول ﷺ : « إِنْ رُوحُ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَلَهُ لَا مَمُوتَ لِنَفْسِي حَتَّى تَسْتَكِلَ رُوحَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ » ولا يجهلونكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمحبة الله ، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته^(٢) .

وليس هو الإلهام الصوفي ، ولا إلهام الفيلسوف . وربما كان مراد السيوطي بالإلهام هو ما قاله الخازن والبغوي من مثل إلهام أم موسى ﴿ فَأَوْجِئْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ لَنَا خَيْرٌ عَلَيْهِ فَأَقْبَدَ فِي أُمِّهِ ﴾ (القصص : ٧) .

(١) رواد البخاري عن أبي سعيد ، وسلم عن ابن عمر عن أبي هريرة ، ورواه أحمد عن أبي رزين ورواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود - انظر الفتح الكبير بضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطي - ج ١ - ص ١٤٨ .

(٢) باب التوكل في معاني التنزيل للخازن ١٠٧/٦ وماهية معالم التنزيل للبغوي .

أما الإلهام بمعنى الشراخ الصدر الأمر من الأمر فليس هو وحي الأنبياء ، وإن كان لهم منه الكثير صفته البشرية .

ومن أسرار الوحي ما ذكره النبي نفسه قال : إنه كان يأتيه أحيانا في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت . وكان الملك يلجس به في هذه الحال حتى إن جيته ليضعه (١) عرقا في اليوم الشديد البرد ، كما كان يأتيه الوحي في صورة وحية الكلبى أحيانا أخرى ، وكان دحية حكيميا وسيا محيا بين قومه . وربما أتى الوحي في مثل طنين النحل .

وهكذا .. الطنين أو صلصلة الجرس لا يمكن أن يسببا إلهاما أو افتتاح قلب ، بل إن شئت قلت : هي وادعات إلى القلب تأتيه من أعلى ولا تنشق منه . وحديث النبي ﷺ القائل : (ألا وإني لأألم بالأ ما علمني الله) قاض بطلان دعوى الإلهام ، وصريح في أن الوحي يكون بالقلبي .

وفي لغز الموت (٢) قال الكاتب : « إن الوحي كان يأتي الأنبياء بين الناس (وهو مقدمات النوم) وبين الغيبوبة (الاستغراق في النوم) لأن هذه لحظة صيقة يخرج فيها العقل من إطار ظروفه ، ويتحرر من الألفة والعمود والأحكام العادية ، وينظر حوله من جديد ليصدر أحكاما جديدة أكثر تحرراً وإلهاما » .

« ونورتن » اكتشف قانون الجاذبية في هذه اللحظة ، وكل المفكرين والمؤلفين والشعراء والمفكرين تلتفت أذهانهم في هذه اللحظة والفرق بين النبي والمفكر في تلك اللحظة .. هي مساحة الرؤية التي تتكشف لكل واحد ، النبي يشبه جهاز تليفزيون به مليون سهام ، ومساحة الرؤية شاسعة ، وقدرة استقباله كبيرة فهو يستطيع أن يستقبل صوراً من المريح على شاشة (بانورامية) عريضة ، لأنه مزود بوسائل إلهية . والمفكرى هو جهاز ترازستور صغير كاد يستبح إلى محطة القاهرة بصعوبة ، لأنه يعتمد على إجهاد الحائط الذي قد يخطئ ويصيب ، لكن الاثنين سبحانه جنى إلى جنب في بحر الحقائق .

تقريب :

وهذا أيضاً نوع من الخطأ ، ينقضه الروى من أن الوحي قد يأتي مناماً ، وقد يأتي بقطعة كما ذكرنا ، ولا يجوز الإفتاء بالتصديق في أمر بقول ليس عليه دليل مادي ولا ورد به حديث مروى .

وقد روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الوحي كان أحيانا يأتيه وهو نائم على فخذها ، فتشعر بنقل بكاد يرض (٣) فتخذه ، فتعرف أنه الوحي ، وهكذا قال زيد بن ثابت حين نزل الوحي على النبي ﷺ وكان نائما على فخذ زيد .

هذه بعض الصور الثابتة لنزول الوحي في حال الاستغراق في النوم ، نفي أن الوحي يكون فقط بين الناس والنوم . ثم إن ظاهرة النقل تدل على أن الوحي شيء زائد على الذات ، فهو كان مجرد خروج العقل من إطار ظروفه ، كما يقال ، لكان الجسم بالياً على وزنه إن لم ينفض .

وهذه كلها آثار دالة على أن الوحي ليس شيئاً ذاتياً كما فهم الملاحدة ، وأن فهمهم ليس فيها ذكياً ولا زكياً ، بل غاية في الغباء والجهل . فقد حدث أصحاب النبي أنهم كانوا يعرضون نزول الوحي عليه ، إذ تأخذه عليه الصلاة والسلام شدة وناتية الرخضاء : أي حرق ينفضه ، لغزارته . وقد أتى الوحي في صورة رجل يسأل النبي وهو بين أصحابه ، ثم ينصرف وهم يرونه منصرفاً ، ثم يخفي أمامهم دون أن يشيروه عنهم حجاب أو يترك شقة ، كما في حديث مسلم : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم - إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، ولا يعرف منا أحد : حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه .. ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يا محمد : أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنجح البيت ، إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . فصبنا له سناءً وصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره شره . قال : صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه

(١) يضعه : يتصبب - يسيل .

(٢) من : ٩٤ . طبعه دار النهضة العربية .

(٣) يرض : يفتأ : يشطه يهتف .

فإنه يراك قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عن ذلك بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أمارتها . قال : أن تُلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة ^(١) يطاولون في البنيان . ثم انطلق فلبث ملياً ^(٢) . ثم قال يا عمر : أتستري من السائل ؟ قلت لله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . ومعنى أن تلد الأمة ربتها أي سيدتها ، أي تكثر الرأري أي الإماء ، حتى تلد الأمة بنتاً لسيدها .. وبنت السيد تكون حرة ، ولها منزلة السيد على أعباءه ، وللمائة الفقراء .

مع الدكتور محمد حسين هيكل :

ذكر الدكتور محمد حسين هيكل : أن أول الوحي أتى في جبريل النبي بصحيفة معه في المنام فقال اقرأ ، فلما استيقظ وقد نقشت الآيات في صدره صعب ما رآه في منامه ^(٣)

وبالرغم من أن الرواية ليست هي التي جرى عليها المحققون ، وسندها ضعيف فإن هيكل ذكر أن الملك الذي رآه له حقيقة مرئية أنه فيها بعد .

أي قال : الله هو الحق المطلق !

ذكر الكاتب هذه العبارة ، فما الحق المطلق سوى الله ^(٤) والتملذه في المرحلة الثانوية يعرفون أن من أساليب القصر ، الأسلوب الذي يجتمع فيه المثنى ثم الاستثناء ، مثل العبارة التي ذكرها ، فلما إذن : الله هو الحق المطلق وليس شيئاً آخر : يعني أنه سبحانه معنى معين محدود ليس له ذات ولا صفات ولا مدلول غير ما ذكره الكاتب .. وهذه سقطلة أرجو أن يكون الكاتب وقع فيها جهلاً بأساليب اللغة ، وليس قصداً أو جرياً وراء فلسفة خاصة تذكر ذات الله وصفاته ، وترجم ذلك الذي قاله - دون أن يقصد لصدهم لها أرى - « كَثُرَتْ كَلِمَةُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » .

ما الفرق بين الكاتب والباطنية ؟

الباطنية فرقة من الشيعة متفق على كفرها ، يقول الآق من النبي ﷺ وعن الوحي كما نقله عن الغزالي بالنص :

« النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق (العقل عند الفلاسفة) بواسطة الثاني (النفس عند الفلاسفة) : قوة قدسية صافية مهياة لأن تتنقش - عند الاتصال بالنفس الكلية - بما فيها من الجزئيات ، كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حتى تشاهد من يجري الأحوال في المستقبل إما صريحاً بعينه ، أو مُدرَّجاً تحت مثال يناسب مناسبة ما ، فتتفرقه إلى التعبير . إلا أن النبي هو المستعد لذلك في البقعة ، فذلك يدرك النبي الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية » ^(١) .

هل يختلف هذا عما قاله الكاتب (ما الحق المطلق سوى الله وما الانفتاح على الله والاتصال به (إلا الوحي بعينه) ؟

الحق وخطينة آدم :

قال الكاتب : « ويقال إن شريعة الطهارة وقطع الفلفة الزائدة من العصور التناسل كانت الكفارة التي قضى بها آدم على نفسه بعد الخطيئة كمشاهدة للخصاء - لقرؤا مما فعل ، ثم أصبحت قلباً دينياً من يومها ^(٢) » .

ولا أدري : أجهل الكاتب ما روى عن رسول الله ﷺ في تاريخ الحفان ، وأن أول من طعمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان الخليل قد اختن بمكان اسمه القدوم « قادم » ؟ ففتح القاف أو فتحها مع ضم الدال مشددة أو مخففة أو بزيادة ألف بعد القاف . أو أنه يرجع الأساطير التي لا أصل لها على ما ورد به الحديث الشريف ، ثم يملأ هذه الأساطير منطق علم النفس ؟

روى البخاري ومسلم في صحيحهما : اختن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدم « وكذا رواه أحمد » وروى مالك بن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب : كان إبراهيم ﷺ يقول الناس ضيف الضيف ، وأول الناس اختن ، وأول الناس قصر الشارب ^(٣) .

(١) فضائح الباطنية للإمام الغزالي ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن ص : ٦٣ .

(٣) ما رواه البخاري في فضل الأنبياء ٨ - والاستاذان ٥١ ورواه مسلم على تحريف القدم - أما البخاري فبغير التحريف وتشديد الضال ، وبالتشديد هو مكان بالشام اختن فيه ، وبمعناه الروايات الأخرى . وهذا ما يستوجب وجوب الجمع بين الروايات ، فلا عبرة بمن قالوا إن إبراهيم اختن نفسه بألة التجارين المعروفة بالقدم لأن القدم بالتحريف يطلق على المكان وحمل الألة .. وذلك لأن الحمل على الألة مستغرب .

وهل يحل المكاتب - وهو الطبيب - عملية الخصاء ، والفرق بينها وبين عملية الجب . فالخصاء قطع الخصيتين وعملية الجب هي قطع الذكر فلنقص ثقافته المنوية أطلق لفظ الخصاء وهو يريد الجب .

وكيف يتصور من آدم أنه يقدم على الخصاء أو الجب فيقتضى على سبب التامس ، وهم يعلم أنه إنما رُج به إلى الأرض من أجل ذلك .

وكيف يعالج آدم الخطيئة بخطيئة أخرى - وهم العدوان على النفس - نفسه هو عليه السلام ؟

وكيف يقال إنها عملية للتخلص من داعي العملية الجنسية - والمعروف أن الحثان إنما هو من أسباب استكمال العملية الجنسية في أحسن أحوالها ؟

وكيف يقدم آدم على إنفاء نفسه دون أن يستفيق . . وقد كانت خطيئته التي يستنفر منها أنه ألقى نفسه ؟ والرجل الإلهي المطيع لا يتحرك أي حركة إلا بقانون إلهي . . وقد لنا أنه لا يصح أن تُنسب الخطيئة الأولى التي عاش آدم نادما عليها طول حياته . ثم إن الكفار من العبادات ، والعبادات لا تكون إلا بنص شرعي ، وبلا كانت بدعة مرفوضة ، وإن كل بدعة ضلالة ، ولا تعالج الخطيئة بخطيئة أخرى .

الفصل السادس

الغيبيات

● عالم الملائكة والشياطين والجن والمردة

- حديث الفل مع سليمان

- السحر

- عجل السامري

- الضالقات في العقد

- البرذخ

- ن ، والفلم وما يَسْطَرُونَ

- المور والإثبات

- يوم عند ربك

● يوم القيامة

- ما هي القيامة

- علامات الساعة

- الدخان - يأجوج ومأجوج

- كيف تأتي الساعة ؟

- مأخذ بيت الشاطئ

● البحث

- اللمة في اختبار لفظ ميت في ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾

- منكرو الروح - ﴿وَسْأَلُوكَ عَبْدَ الرَّوحِ﴾

- كمال القرآن - في كتاب لغز الموت

عالم الملائكة والشياطين والجن والمردة

تناول الكاتب عدة أمور غريبة له فيها أخطاء ، وله فيها نظرات جميلة - وأهمها ما يلي بعبارة الكاتب :

١ - القرين :

من الشياطين قرين ﴿ وَمَنْ يَقْسُ ﴾ (بصرف) ^(١) عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَلْيَنْصَرِفْ عَنْهُ شَيْطَانًا هُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿ (الزخرف : ٣٦) هي في حواشيها كثرة الآية ﴿ هَلْ يَأْتِيَنَّكَ نَجِيُّ رَبِّكَ - بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْقَاكَ فَيُخَوِّدُكَ ﴾ (الزخرف : ٣٨) لا تدرك على كنهه ومكان القرين .

ومن الملائكة قرين : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ : هَذَا مَا لَدَيْهِ قَهْدٌ ﴾ (ق : ٢٣) - لا التسليم واجب وإن لم يكن لنا إدراك لجوهر القرين . ^(٢)

٢ - الملائكة :

قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِينَ ﴾ لا أحد يعلم المراد بالثانية ، أمى ثمانية فواتين فيزيئية أو مئائتين فيزيئية ؟ أم ثمانية ملائكة ، أم ثمانية صفوف من الملائكة ؟ ^(٣)

نفس الدعوى :

أقول : الإطلاقي في القرآن ينحى لنا التشكيك في هؤلاء الحملة ، مع السجادة تفسير الملائكة بالثلاثين الفيزيائية أو غيرها ، لأن قوله ﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ تنفسه جميع العلماء ، والقوانين لا لا يحفل ، وكل تفسير يخالف قواعد اللغة العربية فهو مرفوض . ﴿ وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا قَرْنًا مَعْرِبًا ﴾ (طه : ١١٣) - ﴿ يَلْسَنُو عَذَابَ ﴾ (الشعراء : ١٩٥) .

(١) انظر ما ذكرناه في جهنم لهذا الكتاب .

(٢) القرآن : محاولة فهم حصى : ١٢٦ : ١١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٨ .

ثم قال : كتب تحمل مخلوقات ، عرش الله ، وكوسى الله ٢ : الله ، الذى يقسم عرشه كما قال القرآن - ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (البقرة : ٢٥٥) لعل ذلك قوى كهر مغناطيسية هائلة .. ألا تلك قوانين الجاذبية بالشمس والنجوم فى فضاء الكون ؟

ومع أن التفسير بأن الله قوى كهر مغناطيسية هائلة خلقها شاهدة على عطية - كلام يزيد الإيمان ، فهو لا يصح أن يقال فى تفسير حكمة العرش . لأن الله ذكرهم وذكر ضميرهم بالصيغة الدالة على أن صاحبها ممن يعقل . ثم إن تفسير الكتاب - ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَنِيَّ فَهَيِّئْ لِي بِهِ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ تفسير خاطئ .. وإنما هذا القرين الكافر من أصحابه الكفار .

كما يدل عليه سياق الآية ﴿ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَلَابَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ : هَذَا مَا لَنِيَّ فَهَيِّئْ لِي بِهِ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ . ﴿ مَتَاعٌ بِالْغَيْبِ مُغْتَبًى قَرِيبٌ ﴾ . ﴿ إِنْ قَوْلُهُ : ﴿ لَأَنْ لَقَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْلَيْتُهُ وَلَكِنْ كُنْتُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (ق : ٢٢ - ٢٥) .

ليلة الملائكة :

لأن الكاتب : ولا تعدد لياقات الملك وكفائاته ووظائفه ، كما تصده وظائف الإنسان ومواهبه . ولا أدري من أين أتى الكاتب بهذه الدعوى التى يتقضاها الواقع .. فجبريل أمين الله على الوحي .. وهو نفسه الذى نزل على النبي بقول : لو شئت أن أطبق عليهم (على كفار قريش) الأخشاب (جبل مكة) لفعلت : فقال له النبي : لا ، غشى أن يخرج الله بين أصلابهم من يؤمن بالله ورسوله . وفى إحدى الفروقات نزل جبريل مدداً مع الملائكة ، وقال للنبي كيف تضع سلاحك ونحن لم نضعها : كما فى كتب السيرة .

الشك فى الحديث :

ذكر الكاتب حديث رؤية النبي جبريل فى صورته الحقيقية مرتين إحداهما فى ليلة مقمرة ، وقد سد جبريل الأفق . ثم قال وهو حديث يمكن أن يشك فى صحته .

ومع أن اليوم الذى رأى فيه النبي جبريل عملاً الأفق روى أنه كان بقار حراء وليس فى البقيع ، كما روى الكاتب (١١) . ومع أن الكاتب ذكر بعد ذلك أن جبريل قد ينزل إلى الأرض فى أى صورة ، فإن الذى يعتنى أنه سقط فى زعمه إمكان الشك فى صحة الحديث بسهولة ، وهو حديث رواه البخارى ومسلم .

والذى يدعى أن تذكره أن الطريق إلى رفض الحديث له منهج علمى معروف ، وله من يسمى علم مصطلح الحديث ، وعلم الرجال - أو رجال الآثار .. فلكنى يباح له إنكار حديث ما - فى البخارى أو غيره لا بد له من سلوك منهج المحدثين .. وأن يقدم الأدلة على دعواه ، وإلا كان ساقط المقالة .

زلة :

قالت بنت الشاطلي فى نقدها الكتاب : « بل أظن التأمل فى قوله - تأويلات آيات النجم : ٤ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ . غلبته شهيد القوى » . والنكوير : ١٩ : ٢٠ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ . وفى قوله « وفى القوس متكين » .

وحينا يصنف الله أحد مخلوقاته بأنه شهيد القوى .. وبأنه ذو القوة والمكانة ، لا بد أنه حائل عظيم فى قوته ، وفى إمكانياته ، وفهم من القرآن أن جبريل يمكن أن ينزل إلى الأرض فى أية صورة ، ويحمل الوحي إلى أى نبي من أى عصر وبأى لغة .. ثم لا أمك إلا أن أتو الآية الحكمة : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحِجَّتُ النَّاسِ . وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٤٠) وأستغفر الله لى وله (١٢) . وهكذا زل الكاتب حين قال : وفى هذه البشرية من رأى الجن والملائكة والشياطين شهوداً (ص : ١٢٣ من كتابه الطبعة الأولى) ، بينما قال الله فى الشيطان : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف : ٢٧) .

ويستنى من هذا ما روى من أن النبي ربط شيطاناً فى سارية المسجد لهذه خصوصية مروية رواية ثقة ، دون ما نسمعه من غرافات غير موثوق بروايتها ، أما الملائكة والجن فقد يرون فى أشكال شتى ، وهذا مروي فى السنة (١٣)

(١) القرآن عمولة لنهم عصرى للقرآن : ص ١٢٨ .

(٢) بنت الشاطلي : القرآن والتفسير المعاصر ص ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥ .

(٣) تفسير البقرى الآية ص ١٠٠ قال وبه اظهرى وهب فى ملك لا يتخى لأحد من بعلى فى عن أى حريرة ص ٧٥ ص ٢١٠ يندش خسر لى كبر ، طبعة التار سنة ١٣٤٧ هـ . وكلها أخرجه ابن كثير عن مسلم يستلذه إل فى اليهود ، وأخرجه عن أحمد عن أن سيد الخنرى . (ابن كثير فى تفسيره ج ٧ ص ٢٠٩) .

قال الكاتب : إنهم لا يتأسلون ولا يموتون (ص ١٣٠) . ونقول : أما عدم تأسلهم فقال بذلك المتكلمون : مستدين إلى نصوص واردة في ذلك ، وأما أنهم لا يموتون ، فهذا أمر لا ندري من أين أتى به ، وهو يتناقض مع عموم قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ آخر القصص .

ولا شك أن الملائكة شيء ، بل ورد أن إسرافيل عندما ينفخ النخلة الأولى لا يبقى ملك ولا إنسان ولا ذو روح إلا مات ، ثم يقبض الله إسرافيل ، ثم إذا كان الموعد الذي شاهد للبعث أحيا إسرافيل فنفخ النخلة الثانية ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَقَامَ هَمَّ مِنْ الْأَجْدَاسِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْبُتُونَ ﴾ . (يس : ٥١)

حديث الثقل مع سليمان :

لأن الكاتب : العلم يقول الآن - بناء على الشواهد والملاحظات - إن الثقل له كفة وكذلك الثقل . وكل فصائل الحشرات التي تنهى مجتمعات وغلايا وتنظفات ، فيدون لغة متبادلة كان يستحيل على تلك الألوف المولفة من الحشرات أن تنظم في حياة ، وتنوزع بينا الوظائف .

تعليق :

وهو قول جيد لغيره قال حسب ذلك : وإدراكه لخلو سليمان أمر ممكن مثل إدراك سليمان لله (١) .

ولا أعرف للشبه ملزى ، أريد أن اقول ألهمت سليمان معرفته كما عرف سليمان ربه ؟ أم يريد أنها أدركت مقال سليمان : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ (النمل : ١٩) . كما أدرك سليمان الرسي ؟ الاحتمالان لا دليل عليهما .

السحرة :

قارن الكاتب بما أدخل على التفسير من خرافات فقال : إن أساليب السحر جاءت إلى الأرض لأول مرة في بابل ، نزل بها ملكان عاروت وماروت .. جانا إلى الأرض في شكل بشر (٢) ، وقد ذكر علماء التصير بطلان الحديث الذي يروى أنها ملكان ،

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ .

ولذا قالوا : إنما أطلق لفظ « ملكان » على رجلين كانا يتظاهران بالصلاح : خداعا للنج ، ولقد سيطرته يرسل المرسل للهداية وليس للتضليل ، وحسب الناس من الابتلاء وافق إبليس .

عجل السامري :

قال الكاتب : إن السامري صنع بالسحر عجلا من الذهب له خوار (١)

وجه الحق :

لم يذكر القرآن أن السامري استطاع ذلك بالسحر ، وغاية ما جاء في الكتاب الكريم ﴿ وَلَكِنْ حَمَلَكُمُ ثَوْرًا مِنْ بَيْنَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهُ ، فَكَذَلِكَ آلَقَى السَّامِرِيُّ قَاسِحَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا : هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى : قَسَى . أَلَّا يَرَوْا أَنَّ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَنْتَفِعَ لَهُمْ حَرًّا وَلَا نَفْعًا ؟ ﴾ (طه : ٨٧ - ٨٩)

لقد احتال ساء بنى إسرائيل على المصريين فاستمروا منهم الخلق ، كما حمل اليهود ذهبهم ، ودخل المسيح مع موسى .. ومن مجموع الذهب سبك السامري لهم عجلا .. جلد ثور لونه اليهود فهدوه .. لهذا تصوير لما في نفوس اليهود من عبادة للثال . ووثنية كوثنيهم الرافضة في الآية الأخرى .. ﴿ وَجَاوِزًا يَبْنِي إِسْرَافِيلُ الْبَحْرَ فَأَقَامَ عَلَى قَوْمٍ يَصْكُرُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ، قَالُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَبْغُونَ ﴾ . (الأعراف : ٣٨)

وقد ذكر القرآن أن عجليات السحر لا تؤثر في طبائع الأشياء ، فهي خداع للرائين ليس غير وكما قال القرآن ﴿ قَدْ جَاءَ حَيْلُهُمْ وَعِيَهُمْ يُعْطِلُ إِلَهُ مِنْ مِغْرِبِهِمْ أَلَيْهَا تَسْتَعِي ﴾ (طه : ٦٦) فغاية السحر الخيل والخياع .. ﴿ يُعْطِلُ إِلَهُ ﴾ أما في الواقع فهي لا تسمى .. والمسحور باق على طبيعته ، ولذا قال القرآن ... ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (طه : ٦٩) .

النفثات في القيد :

قال مصطفى محمود : ثم حكاية الساحرات النفثات في القيد . هذا السحر الذي ورد في القرآن هو علم قديم قد اندثر (٢) .

(١) نفس المرجع ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ .

الجواب : ما جاء في سورة الفلق كناية عن يفتلن في الغارب والندوة كما يقول المثل : لا يفتلج بين الناس بما يشبه السحر : فكذلك أن السحري يفتل في العقد ليؤم الناس أنه يؤكد سحره فإن النمام يؤكد النيمة .. مما يجعل الحق يصدق بما يسمع من أكاذيب .. وقد جاءت في سورة الفلق الامتناع من الكلمات ومن شر الغفلات في العقد .. كما ورد في سورة الهمم الآية : لا تكلمن عن الكلمات بحالة الخطب ﴿ وَأَمَّا هَذِهِ حَمَلَةُ الْخَطْبِ ﴾ أي السامة .

وقد أنكر محمد عبده القصة التي تروي أن النبي سحره ليد من الأفعى اليهودي ، وأنكر أن تكون كلمة الغفلات في العقد قد نزلت بشأن ليد ، إذ لو صح وقوع الانبعاث تحت تأثير السحر لجاز أن يثبتوا بالنفلة في بعض الأوقات وأن يكون المروي عنهم مما جاء في ساعة فقدان عقولهم وغيبوتهم تحت تأثير السحر . وهذا طعن يوجه إلى إثبات النبوة ، وسلامة ما بلغنا من الوحي .

وحكي اليهودي عن بعض المفسرين قول من قال : المراد بالنفلة في العقد إبطال عزائم الرجال بالخيال .. مستعار من تلهين العقدة بنفث الرين ليسهل حلها . وصحيح المحققون حديث البخاري ومسلم أن لبيد بن الأحصم سحر أثنين وأن النبي أخبر أصحابه بما أخفاه اليهودي إثباتا لنبوته وأنه يوحى إليه بما يشاء الله من أمور الغيب .. وأما ما يروى من أنه وقع تحت تأثير السحر فكان ينبغي إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله ، فهو حديث موضوع أقبح على الحديث الصحيح ونبه إليه العلماء وصحيح القاضى عباس الحديث جمعه قال : إن ما أصيب به النبي من السحر كان في الجوارح والجمادى لال القلب والعقل ، وهو درجة للأفلاك كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم يتجلى عنه كما حصل ^(١) كالأوهام التي تطوف بذهن المغموم ثم تروى .

● البرزخ :

قال الكاتب : فإذا جازا للبرزخ ﴿ وَمِنْ قَدَالِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) . ذلك البرزخ الذي يفصل أرواح الموق عن دنا الأحياء ، فإن

(١) شرح الشفا للقاضى عباس ٢٧٨/٢ ٢٧٩ وشرح التورى حل سلم ١٧٤/١٢ وقته السيرة للسيوطى ص ٥١١ - ١١٦ الطبعة الخامسة .

القرآن يعود فليكن الضوء على معناه في آيتين منفصلتين ، ﴿ وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ : هَذَا عَالِمٌ لَّغَيًّا ، وَهَذَا يَلْبَحُ لُجَجًا ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِهْرًا مَخْبُورًا ﴾ (الفرقان : ٥٣) والحجر المحجور هو المنع الممنوع المحظور .

وقال تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِصَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ (الرحمن : ١٩ - ٢٠) .

ومن الواضح هنا أن البرزخ ليس مجرد الأرض الفاصلة ، فالأرض الفاصلة لم تمنع من سبيل الأنهار لتصب في المحيطات . وإنما في القوانين التي جعلت المحيطات في الجفص من الأرض ، والأنهار تنزل إليها من حوالى الجبال ، ولو حدث العكس لتولت كل المياه العذبة .

ثم إن الله جعل مياه المحيطات ترتفع في المد - بفعل جاذبية القمر - ولكن بمقدار .. ولو كان القمر أقرب إلى الأرض بما هو .. لكان المد العال الذي يحدث كفيلا بأن يجعل المحيطات تصب في الأنهار فتلوثها ، ولما وجدنا قطرة ماء تشربها ..

إن البرزخ إشارة إلى القوانين الفيزيائية التي تمنع وتضبط وتحتفظ لكل شيء حدوده ومكانه .. وهذا بقدر ما قاله القرآن الكريم عن الموق : ﴿ وَمِنْ قَدَالِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) فليس معنى البرزخ هنا فاصلا مكانيا يفصل أرواح الموق عن دنا الأحياء ، وإنما معناه القوانين المانعة .. فالأرواح بعد الموت تبدأ حياة ذات قوانين مختلفة حالت دون مخاطبة معها ، لأن بيتنا وبينها برزخا ، هو اختلاف القوانين بين حالنا وعالم الأرواح .

تفسير :

والفسرون ذكروا أن البرزخ هو الحائل الذي يحول بين الموق والحياة الأولى .. قاله الكاتب من أن الحيلة هي طبقاً للقوانين ، لا يمنع منها مانع .. كما أن البرزخ الذي بين البحرين : كونه ذا قوانين - لا يمنع من صحة قول القسرين قديما ، إنه الفواصل الأرضية بين الأنهار العذبة والبحار الملوحة ، فما قالوه ، برزخ فعلا تصام إليه قوانين إلهية أخرى أودعها الله الكون رحمة بين وبعث خلقه ، سبحانه وتعالى .

ن . وَلَقَدْ رَمَوْا مَا يُسْطَرُونَ :

قال الكاتب ... وأغلب الظن أنه ليس قلمنا الذي نكتب به المقالات وتلهمنا فيه

الشياطين ، وإثبات المقصود به هذا القلم الإلهي الذي يكتب به الله أقذارنا في القروح المحفوظة ، أو القلم الذي تسيطر به الملائكة (١) .

أقول : وأغلب الظن أن الكاتب عز عليه أن يقسم الله بهذا القلم الذي قد نعرسه لتبرير القول فقال : إن المقصود بالقلم القلم الإلهي - إلى آخر ما قال .. وهو صفة منسوبة إليه .. وفي التعبير هذه العبارة أقوال كثيرة .. والذي أريد أن أقوله : إن الله حين قسم بالقلم أراد تعجيد العلم في ظل تعجيد أودانه الأولى وهي القلم : وكما تلهم الشياطين بالضلالة فكذلك يلهمنا الرحمن عظات بالغة تحفظنا أفلامنا ، بل نكتب به القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والسيرة العطرة ، والعلم النافع ، وكل ذلك مما يجعل العلم منزلة رفيعة في الحياة .. فكما من الله علينا بالمخيل والأعصاب ، ومنها شراب نافع ومنها مسكر يحبس حرام .. كذلك من الله علينا بالقلم إذ أقسم به - وهو سلاح ذو حدين - لينبها إلى وجوب الترفع به عن أن نخوض به أوصاف الفكر ، بل إن ما يرجح أن المراد هو القلم الذي نكتب به المقالات أن الله عطف عليه الكتابة التي يسطرها الناس ، مشركهم وكافرهم ﴿ وَمَا يُنْظَرُونَ ﴾ . ولو أنه أراد بالقلم الإلهي الذي يكتب به الله أقذارنا لقال : والقلم وما أسطر ، أو وما يسطر وبك .

كما ينبغي أن يكون المراد للملائكة أنه لم يرد لهم ذكر في الآية ولا الآيات التالية لها . وما يرجح أنه قلنا الذي نكتب به أيضا ، أن الآية نزلت بالقلم والكتابة عقب الآية التي نزلت بالقراءة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا نزلت بالقراءة ﴾ .. وهذا يدل على أن القراءة والقلم والكتابة هي قراءتنا وقلنا وكتابنا .

وقد ذكر البيضاوي أن القلم إما قلم الله الذي كتب به في اللوح المحفوظ ، وإما القلم الذي نكتب به لعظم فوائده . وقد ذكرنا وجه الترجيح .

■ اظهر والإيالات :

قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَيَعْنَدُ أَمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد : ٤١) . وقال الكاتب : والتفسير الأصح أن الآية للدلالة على سعة المنفرة والرحمة بتدريج تصل إلى اللامعقول ، إلى محول القدر المقدور ، والله حَرُّ فَعَالٍ مَا يَشَاءُ ﴿ لَا يَسْتَلِ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ .. وبذلك أفصح الله الأمل للتائبين ، وجعل التوبة تسخطي القدر المقدور

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ .

قوله .. وهذا دليل على مطلق حريته الله ومشيئته رحمته . وتلهم هذه الخيرية العظيمة مرة أخرى بما يروى القرآن عن أيام الله فهو يقول في إحدى الآيات : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عَلَّمَ رَبُّكَ عَلَى سَنَةٍ مِمَّا تَعْثَبُونَ ﴾ .. وفي آية أخرى يقول عن الملائكة : ﴿ نَعْرِجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بَيْنَ أَلْفِ سَنَةٍ ﴾ (المارج : ٤) .

ومعنى هذا أن أيام الله هي كما يشاء الله ، فإذا شاء أن يكون اليوم بألف سنة ، وإذا شاء أن يكون اليوم بخمسين ألف سنة ، فهو ليس خاضعا لزمته مثلا .. وإنما هو يخضع لزمته .. وهذا شرح علمي رفيع لمعنى الأبدية ، أو زمن من لا زمن له (١) .

■ جواب القول :

واللهي الذي قلناه في فتح باب الأمل للتائبين قول من الأقوال التي جاءت في تفسير الآية ، ولكن عبارة (محو القدر المقدور) هي العبارة التي يجب أن يحورها الكاتب ، فالحق المقدور شيء ثابت لا بد من الإيمان بتفاديه ، كما في الحديث ، « وأن تؤمن بالقدر غيره شره » .

في تخصيص البيضاوي للآية قيل في المعنى :

- ١ - محو السمات ونبذ الحسنات مكانها .
- ٢ - وقيل يحو من كتاب الحفظه مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره لها . أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه .
- ٣ - وقيل : يحو (قرأ) أي جيلا من الناس .. ويثبت (آخر) .
- ٤ - وقيل « يحو » الفاسدات « ويثبت » الكائنات .

وقرأ نافع وابن عامر وحذرة والكناني ﴿ وَثُبَّتْ ﴾ بتشديد الباء ، وحينئذ ﴿ أَمُ الْكِتَابِ ﴾ - اللوح المحفوظ . إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه .

أقول : وحذف القول الذي يظلمه كل من الفعلين (يَمْحُو) و (يَثْبُت) يحصل كل الوجوه التي قلناها عن البيضاوي ، ولا يحصل ما قاله الكاتب من محو القدر . فالحق لا يسمى قدراً إلا بعد وقوع القضاء الذي قضى الله به في علمه .

(١) غنى المرجع ص ١٢٧ : ١٢٨ .

إنما الذي يتصور بعد وقوع ما قدره الله هو نحو الآثار الناشئة عنه من سبئة ، أو إزالة الآثار الموجودة ، وبكوت الحى ، وهلاك المادى وهكذا .

كما لا يتحمل قولاً آخر نقله البيضاوى ، وهو أن اشرو والآيات يراد بها النسخ والنسخ ، لأن النسخ والنسخ مظهر للتعارض أو التضاد في نصوص الوحي .. والتعارض مظهر يدل على عدم صحة دعوى أن القرآن مصدره واحد وهو الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ٨٢)

ولقد تضمن كتاب (النسخ في الشريعة الإسلامية) ^(١) بيان بطلان دعوى النسخ في كل آية قال مفسر إنها منسوخة .. حتى لم يعد مجال لذكر هذه القضية بعد ذلك .

● يوماً عند ربك :

وما ذكره الكاتب عن تفسير الزمن بالنسبة لله فهو جاز ومفهوم ، ولكنه ليس للمنى الذى تحمله الآيات : فتره تعالى : ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الحج : ٤٧) ليست في معرض أيام الآخرة ، ولكنها وردت فيها بحمل أحد معنيين : أن الله يهمل بالعذاب العصاة مدة طويلة « لو أخصيت بالأهلي المعروفة فكان - يمكن الحساب - أن يكون اليوم كالرمز الرياضى الدال على ألف سنة .. وفى الأدب القسوى للعامة ، وهى متشعبة من العربية : « يوم الحكومة سنة » يعنى فى التل والنصر .. وسباق الآية يدل على هذا قال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَلَنْ يُخَفَّفَهُ وَهْنُهُ ، وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الحج : ٤٧) .

فهو سبحانه صبور لا يعجل بالعقوبة .

والاحتمال الثانى : أن تكون بيانا لأمد العذاب وطول أيامه من حيث أن أيام الشدائد مستطالة .

وقال البيضاوى : إنه لا مانع من أن تكون الآية على الحقيقة ، بمعنى أن العذاب فى الآخرة يكون اليوم فيه ألف سنة مما تعد من سنى الدنيا .

وهذه الأوجه الثلاثة قيلت فى آية المعارج : ﴿وَفِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَرُهُ عِشْرِينَ أَلْفًا﴾

(١) بقلم المؤلف - نشره دار العربية بمصر . وانظر أيضا للمؤلف : لا نسخ فى القرآن ... لماذا ؟ مكتبة ودية بمصر .

سنة ﴿إذ يحرم من أيام العذاب﴾ «سأل مكيل» «بعذاب واقع» «للكافرين ليس له دافع» «الآيات

ولفظ (ق يوم) يطرأ ويجوز متعلق : إما بالفعل «سأل» ^(١) . أو باسم الفاعل .. «واقع» ^(٢) .

وإذا علم أن الزمن نشأ عن حورة كواكب فى الفلك .. وأن عالم الآخرة لا يتغير فيه مقياس الزمن لدورة فلكية معلومة لنا ، فإننا يمكن أن نتصور كيف يتعتم أن يكون اليوم ، وهو وحدة زمنية ، أن يكون له وجود حين لا تكون أسبابه ، وهو دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس .

(١) ولتقدير سأل فى يوم كان مقداره عشرين ألف سنة - «سأل»

(٢) والتقدير : بعذاب واقع فى يوم كان مقداره عشرين ألف سنة .

يوم القيامة .

■ ماهي القيامة :

قال الكاتب^(١) : والقيامة باختصار هي تجلّي الله بجلاله .. وخلق بين وجود الله وبين تجليه بجلاله ، فالتجلّي بالذات يحدث الفهر التام لكل شيء .. ولقاء الصور المادية بأسرها ، فلا صورة بالمادة يمكن أن تقوم أمام ذات الله في توحده وكمالته ولجلله ، الجبال تذوب ، وكل صنوف الحياة تصحق ، لا صوت ، لا حياة . لقد رفع الله الحجاب عن سبحات وجهه ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾^(٢) . ويقول يوحنا اللاهوتي عن هذا النور ، والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئها ، لأن مجد الله قد أثارها . رؤية يوحنا : ص ٢٦ .

وهو النور الذي لم تحمله الفلوات أول الأمر ، لصفت ، ثم يمتلئ بها في نشأة أخرى ليكون الحساب ﴿ وَلَنُثَبِّتْكُمْ لِيَمَّا لَا تُحْسِنُونَ ﴾ (الواقعة : ٦١) نحي في صورة مظاهرة لا تعلمها .. فالقيامة صورة مبكرة لما حدث لموسى حين تجلّي له ربه ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَهْلَةً دُخَانًا ، وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾^(٣) .

أما تفسير القيامة بنظريات علمية عن اصطدام القمر بالأرض ، أو ذناء الشمس ، أو تقلص الكون وانحراله ، أو تمدده ، أو نشته في الفضاء ، أو اصطدام المادة بالمادة المضادة ، فكل هذا فضول لا مبرر له ، فالإنسان يموت بأسباب وبدون أسباب .. وكذلك تموت الأمة ، وتموت الحضارة وتموت أجناس الحيوان بأسرها وتموت النجوم في أفلاكها .

أقول : وهذا اتجاه لا يفر منه المؤمنون ، بل إيمان بالغيب كرم .

١ - القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن ص ١٤١ - ١٥٢ .

(١) الزمر : ٦٩ .

(٢) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن ص ١٤٩ - ١٥١ .

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

ولكن اختيار الكاتب لفظ [تجلّي الله بجلاله] - وهي كلمة لم ترد في الشرع بخصوص وصف القيامة - اختيار غير موفق فهو تدلّل في معرفة كيفية وقوعها ، لما أنكره الكاتب على ذوى التفسير العلمى للقيامة وقع فيه بالتفسير الخيالى الذى لم يرد به نص إلا نص التوراة الذى اعتمد عليه : والتوراة عرق لا يمكن أن تصليح مصدراً للمعتقد ولا غيرها ، وحسبنا ما صوره الله من صفاتها وأعراضها وما ورد من دلائلها .

■ علامات الساعة :

لا يعلم أحد وقتها . ولكن قد جاءت النصوص بعلامات اقترابها ، فيها الدخان وظهور بأجوج وأجواج واجتيازها السد ، وغروج الدابة من الأرض تكلم الناس ، وانتشاق القمر ، وإن تلخ الأرض زيتها ، وقد وردت النصوص بذلك كله ولكن لنا مع الكتاب وثقات .

■ حول الدخان :

قال الكاتب : قال تعالى : ﴿ فَارْكَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ فَمَا عَلَيْكَ قَلِمٌ * رِيًا أَكَلِيفَ هَذَا الْقَذَابِ إِلَّا مَكْرُومُونَ * ﴾ (الدخان : ١٠ : ١٢) .

وفى الإنجيل : رؤية يوحنا : الإصحاح : ٨ : (فتفتح بئر الهاوية فصعد دخان من البئر كدخان أثون عظيم ، فأظلمت الشمس والجو من دخان البئر) ، وذكر يوحنا أنه يشعر خمسة أشهر فقال : « وفى تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه ، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم »^(١) .

تطيق :

وما قاله الكاتب : قول فى الآية من عدة أقوال أخرى : إذ لال البيضاء فى يوم الدخان للبين :

١ - بأنه شدة جماعه ، فإن الجائع يرى بين السماء كهيئة الدخان ، من ضعف بصره ، أو لأن الهواء يظلم عام القحط ■ الأمطار وكثرة الغبار ، أو لأن العرب تسمى الشر الثالب دخاناً . وقد ضطروا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها واستنشقوا بالني حين كان بمكة ، وإيصاد الإتيان إلى السماء ﴿ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ﴾ لأن ذلك يكتفها عن الأمطار .

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٢ .

٢ - أو يوم ظهور الدخان المقصود من أشرط الساعة ، لا روى أنه عليه السلام قال : « أول الآيات الدخان » وتزول عيتي ، وتخرج من قعر عدن أثنى » تسوق الناس إلى المعشر . قيل وما الدخان ؟ خلا رسول الله ﷺ الآية . وقال : « يملأ ما بين المشرق والمغرب بنبكت أربعين يوماً وليلة : أما المؤمن فيصيه كثرة الزكام ، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من متخذه وأذنيه وديره » .

٣ - أو يوم القيامة . أي انتظر يوم القيامة .

والقول الأول يرجعه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ (الدخان : ١٤) - لقد كشف الله عن قريش حين استجارت بالنبي فاستسقى ماء . وكذا قوله تعالى بعدها ترضعاً لذلك اليوم : ﴿ يَوْمَ نُبْرِئُ الْبَاطِلَ الْكَبِيرَ إِنَّا مُنْظِمُونَ ﴾ (الدخان : ١٥) وكان ذلك يوم بدر ..

والقائلون بأنه يوم القيامة قالوا : هي الباطلة يوم القيامة ولكن يمنع من ذلك أنه سبحانه وتعالى قال ﴿ إِنَّا نَكْشِفُ الْعَذَابَ إِلَى الْكَفَرِ ، والعودة لا تكون بعد الموت .. ولكننا قبل الموت ، وهو ما حدث في مكة بعد استفتاء النبي لها ، أو ما يحدث قبل قيام الساعة .. وقد رجعت القول الأول لما ذكرناه .

ورؤية يومنا لهذا تبشر بالنبي ، فتحكي قصة الدخان الذي جاء قريشا بمكة بسبب الفحط .. كما أن الرؤية تحصل أن يكون الدخان علامة تقرب قيام الساعة .. أما الخلاف في المدة : فالحديث أصدق ، لأن له سندا ، والسند ولو كان ضعيفا - خير من الإنجيل الذي لا سند له .

● حول يأجوج ومأجوج :

لأن الكاتب : يشير القرآن إلى أن يأجوج هم الجنس الأصغر ، (الصين وبنو درويش) عاشوا في آجال وأحقاب من الجهالة والتخلف ، والشعوب المتقدمة من حولهم تبني أسواراً من العلم والنصح . وذو القرنين وصهر الحديد والنحاس ، كلها رموز للعلم والصناعة التي كانت دائماً تعجزهم وزاء حاجز من الجهل والتخلف ، وتقع حولهم ضداً .. حتى إذا جاء اليوم الموعود ، وتغلبوا عن أنفسهم هذا التخلف وأخطوا بفساد الصناعة ، وصنعوا الحديد والصلب والقنبلة الحديثة وجبنه وتكاثروا إلى آلاف الملايين وهدموا السد (رمز الجهل الذي يعزهم عن العلم) ساحوا في الأرض وكانت الحرب التي تصنع ختام الحياة ، كما في سفر الرؤيا الإصحاح العشرين :

(متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض ، يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب ، عددتهم مثل رمل البحر) (وتلعب الألف هي الألف الثانية التي بقي على نهايتها ثلاثون عاماً) (١)

تقريب :

وهذا الذي استوى الكاتب عقب عليه بقوله : إنها تدعى الواحدة كنز يد الأخرى ، ولا غلظ إلا الصمت : فكل هذه التأويلات لا يحق لنا أن نؤولها ﴿ وَمَا يَكْمُرُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، والساعة لا يعلمها إلا الله ..

وهذا اتجاه قوم من الكتاب ضل عنه الكثيرون بالرغم من أن قوله ﴿ وَمَا يَكْمُرُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ليس في موضوع يوم القيامة ، وإنما هو في شأن التشابه من القرآن . ولكن بنى الرزية التي رواها أن القرآن ذكر القصة وليس فيها إشارات تدل على أن الألفاظ خارجة عن حقيقتها إلى الجاز .

بل كثرة التفاصيل في الحاديث يؤكد أن المقصد هو الدلالة الحقيقية ، وليست الجازية أو الرمزية قال تعالى : ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ قالوا يا أيها القرين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً (أجر) على أن نجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال ما مكني (جعلني) فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم زمناً (ساجداً) . أنوف زبر الحديد . (كسل الحديد الكبيرة) حتى إذا ساوى بين الصدفين (جاني الجبل) قال انفطروا ، حتى إذا جعلنا نارا قال : أنفوا فرغوا فطروا ، (نحاس مذاب) فما استطاعوا أن يظهروا وما استطاعوا أن يلقوا . قال : هذا رحمة من ربي . فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقيقاً . وقرنكم بنحسهم يومئذ يفرجون في أنفسهم ، وتلج في الصور لجمعهم جميعاً ﴿ (الكهف : ٩٣ - ٩٩) .

وقد يقال كيف يمكن الاغتراب من هذه الكتل النارية الملتبة في بناء السد ؟ كانت هناك نيفضة عظيمة تتحكم في الحرارة بالعلم كما فعل في مصر الحديث ، ثم بادت كما بادت حضارة المصريين القدماء يعلمهم الواسع في التحنيط والكيمياء . أم دخلت العجزة في ذلك ؟

يَهَيِّطُ مِنْ عَشِيَةِ اللَّهِ فِي (١) وذلك أن سياق الآية إنما هو في قوم موسى عليه السلام (٢).
 ﴿كَمْ قَسَمْتَ لَكُمْ مِنْ بُعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَكُنَّ جَارَةً أَوْ أُشْدَ قَسْوَةً. وَإِنْ مِنَ الْحِجَابَةِ لَمَا
 يَتَخَفَتُهُ الْأُنْهَارُ. وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَتَخَفَّى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَلَوْ أَنَّ مِنْهَا لَمَا يَهَيِّطُ مِنْ عَشِيَةِ
 اللَّهِ فِي (البقرة : ٧٤)

وما قالته حتى .

البحث

يقول الكاتب : « ق قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ تَبْتُغِي وَاللَّهُمَّ مَتَّعْنِي﴾ (الزمر : ٣١)
 ولا يقول : إِنَّكَ سَمِعْت ، بل يقول ، إِنَّكَ تَبْتُغِي . إذ تبتغي لي وتسمع لي وتقرئ
 وتخطي لي ، وهكذا شأن كل بشري لا حياة له بذاته ، وإنما الكل معتمد في وجوده
 على الواحد الذي خلقه . »

تهذيب :

فهل يعني الكاتب بالاعتماد - اعتماد المعلوم إلى علته في وجوده ، كما يقول الكفرة
 من الفلاسفة ؟ وهذا جهل لأنه يقتضي بقاء المعلوم بقاء العلة أو لئلا يناء العلة -
 وهي الله الخالق وهذا محال .
 لا أظن قوله إلا غيال واحظ أديب ، فهو ليس لغة علمية ولا إسلامية . حقاً ..
 الإنسان في حياته ملين بجاهه ، ولكن الله الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، ونفخ
 فيه من روحه فأصبحت له حياة ثانية . بالروح التي فيه فإذا شاء أن يتوفاه فبفض روحه
 وانزعها من جسده ففارق الحياة ومات .

■ العلة في اختيار لفظ « تَبْتُغِي »

قال الكاتب : (٣) « في كلمة - إِنَّكَ تَبْتُغِي - عطفٌ يوقظ الإحساس .. إنها تضحك
 أمام واقع مفزع ، وأمام حالة في الحاضر لا حالة متوقعة في المستقبل .. إن الواحد منا
 ليحمل جثته على كتفيه بالفضل ، وفي كل قطرة عرق أو لعابٍ يطرح بُسْعةً ماتت من
 جبهه . »

وما قاله الكاتب هو الظلال التي تجعل اختيار اللفظة من الجودة البلاغية يمكن
 عظيم . ولكنه كلام غير علمي ، لأن كلمة « تَبْتُغِي » بتشديد الباء تأتي للدلالة على من

١ - القرآن : محاولة لفهم عصري للقرآن من ١٤٩ .

(١) نفس المرجع من ١٥٣ .

(١) القرآن : محاولة لفهم عصري للقرآن من ١٤٩ .

(٢) القرآن والتفسير عصري من ١٥٣ : ١٥٤ سلسلة اقرأ .

سبأته الموت ، أما من فارق الحياة فعلا فيطلق عليه لفظ « مَيِّت » بسكون الياء كما قال الشاعر العربي :

ليس من مات فاستراح يميت

إنما الميت منيت الأحياء

وقرىء ﴿ إِنَّكَ مَكَلِّتٌ وَأَنْتُمْ مَأْكُونٌ ﴾ بصيغة اسم الفاعل الثلاثة على الاستقبال أو المضارعة ، والمضارعة قد تستعمل للاستقبال لقرينة الحال أو قرينة في المثال ، وهي هنا قرينة الحال ، لأن النبي ومن معه كانوا موجودين عند الخطاب دون موت فلم أن يكون المراد هو الفعل في المستقبل .

■ صورة البعث :

صور الله هذا في قوله : ﴿ اللهُ يَهْدِي الْأَنْفُسَ حِينَ تَمُوتُ وَيَهْدِي لِمَا تَمُوتُ فِي مَتَابِهَا فَهَبْنِكُ أَلَمْ يَهْدِ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَتَوْبِيلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَدَّدٍ ﴾ (الزمر : ٤٢) - فالنوم ثم اليقظة هو النموذج المصغر للموت ثم البعث .. فالروح بالية عائدة فلا أعادها الله إلى الجسم المتعاقب بالنوم - كالنور المتعاقب - صفا لبقاء كونه نيرة - أو هنر - أو - كالتجولا ، وإن الفرق طائل أكبر من أن يُلحَر بتغيير مادي يتم في لحظات (١٦)

● منكر الروح :

ينكر الماديون البعث ، لأنهم لا يؤمنون بوجود الروح فضلا عن خلودها ، ويقولون : « الإنسان ليس إلا الجسد ومجموعة ردود أفعال أو حوافز كحافز الجوع والجنس والحلوف تحركه لإشباعها . فإذا مات أصبح نراباً . وعاد إلى الأصل الذي منه نشأ (١٧) »

والجواب :

١ - أنه لو كانت النفس أو الروح المحركة للجسم هي الحوافز ١ وأنها الآلاف من الناس يفسحون بلقنة العيش ويسكنهم الزوجى في سبل المثل العليا التي يؤمنون بها . والشواهد معروفة .

(١٦) القرآن : عارضة لهم عصى القرآن من ١٦٢ .

(١٧) المرجع السابق من ١٥٩ .

٢ - وإذا كان المرء هو الجسد فكيف يتحكم الجسد في الجسد ويخضعه ؟ وإذا

كانت النفس هي دافع الجوع أو الشهوة فكيف تخضع غريزة الجوع الجوع . وتنيطر الشهوة على الشهوة ؟ إنه لا يمكن تصور ذلك إلا بأن يكون المسيطر على الجسم أو الجوع أو الشهوة شيئا داخل الإنسان غير كل هذه الأشياء المحكومة . يسود عليها وسيطر . وهو الذي نسميه الروح (١٨)

٣ - إن الحركة لا يمكن رعبها إلا من خارجها فراكب القطار أو المصعد لا يدرك أحدهما أنه يتحرك وهو في داخل القطار أو المصعد إذا أغلق عليه ولا يدرك حركتها ، وإنما يستطيع إدراك ذلك لو نظر من نافذة .. ونحن ندرك أشياء .. وهذا الإدراك إثبات أكيد بأن هناك شيئين : الشيء المدرك ، والنفس المدركة خارجة (١٩) . فالذي يدرك في نفس جوعها وجعلها وألها وحاجتها للجنس والأمن وطولها وعرضها .. هو الروح التي تسيطر على الجسم فتدبره متعلقة به ومهيمنة عليه وقادرة على الانبعاث عنه .. ولكن كيف هي وماكنها ؟ ذلك هو السر الذي يعجز عنه البشر

٤ - الله خالق الإنسان ومخر الكون له : لا يمكن أن تكون نهاية عبادة الموت فلا بد من البعث والجزاء وتحقيق العدل . ﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ ﴾ (القیامة : ٣٦)

٥ - وأضيف إل ما قاله أن الطبيب الأمريكي [دنكاف مكدوجل] يقول : أنه وزن عدداً من المرضى في لحظات موتهم . وذلك بأن يلمع المريض على سرير حاسب - غاية في الدقة والحساسية ، ويمنعزل عن المؤثرات الخارجية ، فيوجد أنه عند لحظة الوفاة يرتفع قبة الميزان ، عارفاً الدعامة العلوية ويسجل فور حدوث الوفاة بمقدار ما خفده الجسم ، فوجدته يتراوح بين ٥٠٠ ، ٦٠٠ جرام وليس هنالك تفسير لهذا غير أن الجسم خفف وزنه بعد خروج شيء منه هو ما نسميه الروح .

ويقول علماء الطبيعة : الكائن البشرى مكون من جسمين مختلفين في طبيعة تكوينها ، ومتداخلين في الوقت ذاته في بعضها ومغايرة هذين الجسمين لبعضهما تابعة من اختلاف تردد الذبذبات الاهتزازية في الثانية الواحدة لكلية .

(١٨) نفس مرجع من ١٦١ .

(١٩) نفس المرجع من ١٦٥ .

(٢٠) مجلة ٣٦ .

ويؤكد العلماء أن التردد الذبذبي الاهتزازي للجسم الروحي هو أضعاف مائة على الحال بالنسبة للتردد الذبذبي الاهتزازي للجسم المادي .

ويقصر بعض العلماء عدم مقدومتنا على رؤية هذا الجسم الروحي - بتردده المثل الجاذب عن طاقته إدراكنا الطبيعية ، وعلى سرعته الفائقة التي ينطلق بها ، حيث تقدرها العلماء بسرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠) كيلومتراً في الثانية الواحدة . ومن هنا كانت حياة الإنسان متوقفة على علاقة هذين الجارين الموقفة - والحوت ماهر إلا مقارفة النفس أو الروح للجسد لتعيش في عالم التبرخ ﴿ ومن ذرائعهم يمزج إلى يوم يحشون ﴾ . وهناك يكون لقاء الأرواح وتعارفها ..

عن يحيى بن عبد الرحمن عن جده قال : لما مات بشر بن البراء وجدت عليه نم بشر وجداً شديداً وقالت : يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلة ، فهل يتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم . والذي نفسى بيده يأثم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رموس الشجر

■ وسألتك عن الروح :

﴿ وسألتك عن الروح : قل الروح من أمر ربي ، وما أنتم من الخلق إلا ليلاء ﴾ (الإسراء : ٨٥) .

استشهد الكاتب وغيره من المفسرين القدماء والمحدثين بهذه الآية " على أن الروح سر مجهول لا يعلمه إلا الله . ودوت كتب أسباب النزول ما يزكي هذا الذي زعموه . بهذا هناك لرائد يدل على أن المراد بالروح في الآية إنما هو القرآن والوحى ، كما في الآية الأخرى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ نَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى : ٥٢) .

■ كمال القرآن :

قال الكاتب : لا يحفل القرآن بالأمور الوهمية المتغيرة ، ويتركها لأصحابها يحتمدون فيها ^(١) . وهي عبارة تتردد كثيراً تخالف الحق ، ومطمئن خفى في القرآن .. لقد وضع القرآن الأصول الجامعة التي توفر لكل أمر من الأمور في نبي وقت من

(١) حاتم محمد عبد القادر الأهرام - الجمعة ٢٦ فبراير سنة ١٤٢٩ .

(٢) محاولة لفهم حضري للقرآن ص ١٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٨ .

الأوقات الحرة للنسب ، والإطار الثلاثي ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا ﴾ (مريم : ٦٤) .
﴿ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى الْكِتَابِ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
(النحل : آية ٨٩) .

في كتاب « لغز الموت »

لقد بسط الكاتب الحديث عن الموت والبعث والزمن والحساب والقضاء والافتراق كتابه « لغز الموت » :

وأرى - فائدة للقراء - أن أخلص فكرته في الكتاب ثم أعود إليها مرة أخرى بالتفصيل على ما أرى أن فيه إضافة إلى ما سبق ذكره . وه « لغز الموت » حرق الأصل بسط لما كتبه ، ول « هيرانت » تحت عنوان « الموت » في كتابه « مباحث الفلسفة »^(١) .

أما الأفكار التي ذكرها في الموضوعات الأخرى فقد استوحى الكثير منها من كتاب « فلسفة من الصين » للفيلسوف الصيني « لين يونانغ » ، وبخاصة ما ذكره بعنوان « في كوننا ذو معدة » ص : ٥٦ - الترجمة العربية طبعة ١٩٥٣ . وليس في كتاب « الله والإنسان » أية إشارة إلى أحد الكتابين^(٢) .

١ - في الفصل الأول : قال :

يحدث الموت في داخلنا كل لحظة حتى ونحن أحياء ، كل نقطة لعاب . وكل دمة وكل قطرة عرق فيها خلايا ميتة نشيعها إلى الخارج بدون احتفال . ص ٥ . حتى الأفكار تولد وتورث وتزهر في رؤنا ، ثم تذبل وتسقط .. حتى المراتب تتحمل وتوهج في قلبنا ثم تبرد .. إننا - معنوا - نموت ، ومادياً نموت ، وأدبياً نموت في كل لحظة . ص ٩ .

ولماذا نتعجب من الرعب حين نفكر في الموت ؟

السبب أنه الحوادث الوحيد المصحوب برؤية مباشرة . فما يحدث داخلنا من موت لا نراه . ص : ١٠ .

أما (أنا) هذه الـ « أنا » لا توجد مابقة واحدة عن موتها . « أنا » من مادة أخرى غير كل هذه الموضوعات . ولهذا أمسك بها وأتاولها وأفهمها ، ولا أستطيع أن أمسك

(١) الله والمثل ص : ١٩٧ .

(٢) الجزء الثاني ص ٣٠٣ ترجمة أحمد زواد الأملق . ط ١ : ١٩٥٦ .

بقي وأتاولها . « أنا » فوق متناول الجميع . وفوق متناولي أنا أيضاً ، وفوق متناول القوانين والظواهر ، هناك حلقة مفقودة وهي تفتح باباً تدخل منه الفلسفة ، ويتسلل منه الفكر ولكنه باب ضيق جداً يؤدي إلى سراديب أغلبيها مغلق ... ورحلة الفكر في هذه السراديب مخيفة مزعجة ولكنها تنير الاهتمام وأي شيء يبعث الاهتمام أكثر من الحياة والصبر ... ومن أين .. وإلى أين ... وكيف ؟

٢ - وفي الفصل الثاني :

عسر الكاتب حكمة الموت بالنظرية الفلسفية المشهورة القائلة : الهباء للأصلح ، وبالنظرية الشيوعية التي تقول بوجود تناقضات تؤدي إلى هدم القوى للضعيف حتى يظل الوجود في أقوى وأصلح وأفضل صورة ..

ثم عسر الحب فقال : (نحن نمش في مأساتنا الشخصية ، ونرى الموت كخجوة تضر^(١)) كما نحت أقدامنا ، فتثبت بأي شيء نجده حولنا : نثبت بأمهاتنا ويزوجاتنا ، بأطفالنا .. بأصدقائنا .. نمر بالحب والشوق والحنين إلى يد نمسك بها ونحس من الجوف^(٢) الذي ينهار نحننا ، ونبصر بالمرأة تمد لنا يديها ولقيا وجسدها .. وتتناقص مثل كبري حاتم على غير الفناء فنبزع إليها محاولين النجاة ، ونشر يحنون اللذة والسرور والفرح ونحن بين ذراعها نشر بأننا نولد من جديد ولبعث ونهرب من المصير .. « إن الحب كله قصة جميلة مؤلفها هو الموت نفسه ، وليس الحب فقط ، بل كل المراتب والتزوات والخافوف والآمال وشطحات الخيال والفكرة والفن والأخلاقي .. كل هذه القيم العظيمة تدب في الموت بوجودها ..

« فالحسن يحاول أن يجد سبيلاً إلى الخلود ، يحاول أن يترك مولوداً غير شرعي على الباب بملك اسمه أو تمثال أو قصة قصيرة . ص : ٢٣ .

« لو لم تكن نموت لما شعرنا بالحب لما الحب إلا هستيريا التثبيت والتعلق بالحياة ومحاولة تهريبها .. كالتحدرات - في بطون الأمهات .

« لا يوجد شيء في وجودي أو وجودك أفضل من هذه الكلمة الصغيرة « أنا » ص :

(١) عسر لها : تفتح لها .

(٢) للكان الذي أكل الله ما كتبه فهو إلى الشوط قريب .

تحدث عن « أنا » فقال :

« أنا » من الخارج إلى حدود : ينتهي طولي عند ١٧٠ سم مستقيماً ، في سقف ينتهي جسدي عنده ، ولكن من الداخل بلا سقف ، وبلا قعر (أعناق) وتتكور وأحاسيس ورغبات لا تنهى إلا لبدأ من جديد ، كأنها متصلة ينبوع لا نهائي - وهي أعماق في تغير دائم . بعضها يطفو على السطح فيكون شخصي وبعضها يستقر دونه في الظلام » . (ص : ٢٦)

وكان الكاتب - بما يقوله بترج مترج علماء النفس الفاضلين بأن اللا شعور والشعور يسكنان في بؤرة للنفس هي الدوافع للسلوك الذي يبرز شخصية الإنسان ولكن هذا السلوك تقيده البيئة والعادات والحاجات الشخصية .. ذلك « أنا » هو الروح داخل ذاتنا ، والروح إرادة لا نهائية لا حد لها إلا نفسها أحس بها ولا أعرفها .. أكابدها ولا أفهمها ، وربما كان السبب أنها أصيلة أكثر أصالة من العقل والتفكير ولا يمكن أن تكون موضوعاً للعقل والتفكير بل العقل موضوعها وعادتها وسيلها إلى بلوغ أهدافها .. أنا أريد والعقل يبرر لي ما أريد وليس العكس أبداً . ص : ٣١ . ولكن ماهي الإرادة ؟ أنا كالمشوق لا يوصف ، وإنما يكابد ، إنها تطبق عليها كلمة المتصوف الصالح أبي البركات البغدادي « أظهر من كل ظاهر وأخفى من كل خفي » ولكن هل الإرادة موجودة في الزمان ؟ وهل تنبض مثل القلب ، وهل تنمو مثل الجسد ، وهل تتعاقب مثل اللحظات . ولنقتضي مثل الحالات النفسية ؟ ثم ماهو الزمان ؟

وفي الفصل الرابع : قال :

قال إنشئين : المادة في حالة انتشار وفي ذبذبة وحركة ، ولهذا فإن لها بُعداً زائداً هو الزمن ، أو الزمن المتعلق بالمكان ، ويسميه « الزمكان » .. المادة مثل حيوان له طول وعرض وسماك وعمر ، والعمر يدخل في تركيبها كما يدخل في تركيب الحيوان . الزمن إحدى الفئات التي يتألف منها نسيج المادة ، وهو أيضاً إحدى الفئات التي يتألف منها نسيج الكائن الحي .. (ص : ٣٦) ولكن ماهو الزمن ؟

٥- وفي الفصل الخامس : أجاب عن الزمن ماهو فقال :

إنه ليست دقائق ساعة الحائط بمقدمة لك إلا زمناً مريضاً ، وضواظاً وأهتباتاً هي

الساعة الحقيقية التي تضبط الزمن وتطيله أو تقصره .. أفراسنا نجعل ساعتنا لحظات .. وآلامنا نجعل لحظاتها طويلة مريوة ثقيلة مثل الستين ص ٣٨ - فالزمن في داخلنا تعلق يصنف بالذوام والاستمرار والاتصال . (ص : ٤٢)

وتمكننا التمايل والعرف ، فإذا بنا نقيس الزمن بالساعة وبشروق وغروب الشمس . فنحن لنا ذات داخلية ، وذات جامدة خارجية تحكمها الفرائز والضرورات الاجتماعية ، والخارجية ، تشبه المرحاض النفسي نغرز فيه كسكنا وضيقنا ومطنا ونقتل فيه وقتنا بانشغالات رخيصة مثل قرقرة اللب ولعب الطاولة . (ص : ٤٤)

٦- وفي الفصل السادس : تحدث عن الحب وأنه غير الشهوة . فقال :

إن الحب لا يفجره في القلب إلا التصوف والشعور الديني ، لأن الدين هو الذي يعيد الإنسان إلى النبع الذي صدر منه . وبأخذ الإنسان السالط في الزمان والمكان ليرفضه إلى سلوات الأجيال ، ولا يرقى إلى هذه السماوات إلا الحب ، متى الحب الذي يضيئ العابد عن ظم وعين الدنيا شوقاً إلى خالقه .

وما حب الإنسان للمرأة أو الفن أو الجمال إلا خطوات الحق الذي يقوده إلى الله المحبوب الوحيد الذي يستحق الحب ، حين تكشف أن موضوعات الحب للمرأة والجمال والفن لا تملك لها وجوداً حقيقياً ، فالوردة تذبل ، والشمس تغرب ، والمرأة تشيخ ، والمجد يد في الفن يبل . (ص : ٥١) .

٧- وفي الفصل السابع والثامن :

تناول موضوع الإنسان هو مسير أم مخير وذكر مشكلة القضاء والقدر وروده المعاني التي نشرها (١) وغلاصتها أن للمرأة إرادة في داخله تضغط عليها ظروف البيئة وحاجات الجسد وطاقاته ، وعليه لكي يسلم ألا يقاوم التيار ، بل يجاري السنين الطبيعية للكون . فيربح يستريح .

...

(١) القرآن : محاولة لتفسير عصري . ص ٩٠ الطبعة الأولى .

عناؤه .. تصور غير عظمى ؟ بدليل أن المرء يخرج لملابسة الأحوال والموت ، من أجل حياة امرأته وأطفاله .

وتمن لا ننسى أننا في عام ١٩٦٤ م شاهدنا المصرية تنازلت عن كليتها لابتها حتى تخلصها من الآلام التي تعانيها ومن الموت الذي يرتقها ، فكرمتها الدولة بمنحها لقب الأم المثالية وغيرها كثير ..

وما الإيتار الذي ذكره القرآن ، ودوى التاريخ الإسلامى له صوراً حية كثيرة ، إلا الدليل على أن المرء لا يحكمه في سيرته الموت الذي نسب إليه الكاتب عمليات الحب والزواج والتقن الرضيع بخلاف به اسمه .

ولا تدري لماذا يضطرب في حديثه عن الحب والقتل يسمى الحب « هتريا » والفصل البدع « مولودا غير شرعى » في الفصل الثالث ثم يجعلها في الفصل الثالث غاية ما يصل إليه المتن « .

٤ - ثم تحدث في الفصل الثالث عن الشعور بالذات أو « الأنا » وجعل العقل والقلب خادمين لا معاد ، أنا الذي له الإرادة التي يعمل في خدمتها العقل والقلب ، وهو حديث خيالي لأنه حديث عن الأمر المجهول للبشر الذي نحس به ولا نستطيع معرفة كنهه ، وما دمت لا أعرف كنهه فمن العبث أن نقول إن العقل والقلب مسخران له . ولماذا لا يكون ما يسميه « أنا » كياناً ، وأجزاء العقل والقلب والجوارح والأعصاب المتفاوتة والسمبالية ، أو أن « الأنا » هو التجميع ، أو النتيجة لكل هذه العناصر مجتمعة في صورة حية ، فليس هنالك خادم ولا مقدم كما زعم الكاتب .

٥ - وما ذكره إنشئين من غريب أحلوكي للكاتب إنها هو تردد لما لم يقم على صحته دليل بين ، فإن الزمن عنصر - كالمكان - ينمو فيها للوجود ، وتشكل المادة . هذا معروف بالشاعرة .

٦ - وتصور الكاتب الزمن تصوير غريب . فإمعان « ذاتاً خارجية » هي كالمحاض تضع فيه الآنا ، « ذاتاً داخلية » فيها تنشق الزمن قديمه وحاضره ومستقبله خيال لا صلة له بالحقيقة ، وهو سرقة شعرية أو كالسرقة الشعرية من قول الشاعر في صفة للكان :

لمعرك ماضيات جلاد يأملها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

« مناقشة الكاتب »

١ - إن تفسير الكاتب للموت في صورة (علمية) بأنه أمر طبيعي فيحدث في داخلنا كل لحظة عملية موت للخلايا ، وتنتهى بموت كل الجسم .. تفسير ليس علمياً ، لأن الخلايا التي تموت ليست إلا أنسجة ما تكون بالمرزقات الجسم التي يتخلل عنها الجسم فيندو أقوى وأصبح .. بخروجها ، فهي عملية حياة لا موت إذن ، وسيبقى الموت مظهراً للمعجز البشرى وللقدرة الإلهية المفردة بالحيطة على الإنسان والكون معاً . يصنعه سبحانه بأسباب تنوعها ، أو بأسباب لم يكن يتوهمها الإنسان .

ولو كان الأمر كما قال الكاتب ، لأمكن تحديد الآجال بعد كشف دقيق على أجهزة الجسم ، وبعد تحليله تحليلات كاملاً .. وهذا من المستحيلات ﴿ وَمَا قَدَرُوا نَفْسَ يَأْتِي أَوْفَرُ كَمُوتٍ ﴾ (آخر لقمان) .

٢ - وأما ما ذكره في الفصل الثاني من نظرية « البقاء للأصلح » فهو تبرير لمشروعية الاصطراع بين القوى والضعيف ، وتبرير لصراع القوى للضعيف .. وهو مالا يفهمه العلم . فالحياة الفاضلة والمستقيمة تتطلب كل لبنة في الوجود فلا يعرف مقياس مضبوط للضعيف الذي يجب التخلص منه ، ولا للقوى التي يجب أن يفسح أمامها الطريق . لقد يكون المرء ضعيف البنية عبقري الذهن ، وعبقري واحد في أمة أجدى عليها من ملايين الثيران .

إن قصة الحياة والموت في حياتنا المعاصرة ليست إلا كما قال القرآن ﴿ فَيُتَوَكَّمُ عَلَيْكُمْ خَشِيتُ خَمَلًا ﴾ (الملك : ٢) .

٣ - إنها للتنافس المتعارف ، لا للصراع المتحارب ، والأول فيه عمران ورعاية .. والأخير فيه دمار وقتل .

ثم إن تصوير الكاتب للحب بأنه « دافع الحرب من الموت » والتثبت بالحياة ، فيستعين المرء بالمرأة يحيا ، أو بأطفاله يحيم ، لأنه يستعين بهم على البقاء ، وقيم يدفن

فهل نقول بمقتضى منطلق الكاتب - إن للمرء مكاناً خارجياً يفتق بالآلام ،
ومكاناً آخر يتسع بالآمال نسيبه أيضاً ذاتاً داخلية ؟
إن حقيقة الأمر أن ما سماه تنطقاً إنما هو عمل الروح في الضل ، في تصور قيسى به
تدريك صورة ما ، في وقت مضى أو سيأتي ، فالإنسان بذاته واحد لا يتقسم إلى داخل
وخارج ، والزمن هو الزمن ، فليسقاط آلامنا عليه عث .

نعيباً زماننا والسيف فينا
وما لزماننا عيب سوانا

الفصل السابع

الجنة والجحيم

- فكرة الكاتب
- بطلان دعوى الكاتب
- وجهة الفكرة - جواب القرآن - الجهل بالمثل .
- أساليب التوكيد للجزاء الآتي .
- فكرة « الناس مقامات »
- الضل والنم والغيرة
- ما حكم تأويل النعم والعلاب ؟
- عودة إلى جنة آدم .
- أدلة الكاتب على عدم وجود نار وجنة حشيين .
- ١ - حوار الكفار وبطلان الشبهة
- ٢ - الذي يخوف الله به عباده .
- وفي الحساب .
- المعنى العلمي في الآية ﴿ تَكْفَى يَتَفَلَّتْ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾
- الذكر والصلاة - وجه المغالطة
- حديث الثر - إشكال على الكاتب
- نوبة الكاتب .

• الجنة والجحيم •

● فكرة الكاتب :

قال الكاتب : وكل ما جاء في الجنة والجحيم ألوان من ضرب المثال واللوان من التقريب ، واللوان من الرمز ، وقد ذكر الكاتب أنها أمثال في هذه الآية ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ - فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ .

وليس إيحاءً لأوصاف حرفية .. فهذا أمر مستحيل لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا ، لا يمكن تصويرها في كلمات من قاموسنا ، تماماً : كما يسألك الطفل عن اللذة الجنسية فتقول : إنها شيء مثل السكر لقد اعتدت له شيئاً من خيراتي اليومية ، ومع ذلك ، فما أبعد الفارق بين اللذة الجنسية وبين طعم السكر العادي المبتذل . وبالمثل كان موقف القرآن في غلاظة الهدوى البسيط .. وكل أمنية الهدوى في هجر الصحراء أن يمتزج على منبع ماء عذب ، لأن كل ما يبعد من مياه هي نتائج مألوفة آتية ، وكذلك الذين لما أسرع ما يجتسر ويشترط طعمه في حر الصحارى ليضرب له القرآن للكل من أمر ما يتسنى ﴿ إِنْ لَمْ يَنْتَهِى أَنْ يَضْرِبْ مَثَلًا ، مَا يَغْفِرُهُ لَهَا قَوْلُهَا ﴾ (البقرة : ٢٧) ، فكل الغاية هي تقريب تلك ألعافى للمستحيلة ، وهكذا قل فيما جاء بالبرودة والإنجيل .

وفصل القول قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُعطِيَ نَهْمٌ مِنْ فَرَّةٍ أَهْنٍ ، جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة : ١٧) .

أما جهنم :

فهى شيء فتطبع ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ تَحْتِ كُلِّ مَكَانٍ . وَمِمَّا هُوَ بِمَشِيرَةٍ ، وَمِنْ ذَوَائِهِ

• القرآن محاولة تفهم عصرى للقرآن من (٦٥ : ٨٤)

(١) المرجع السابق من ٦٦ : ٧٦ .

عَذَابُ غُلَظٍ ﴿١٧﴾ (إبراهيم : ١٧) . ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (البقرة : ٢٤) . ﴿ لَهُمْ مِنْ قَرِهِمْ ظِلٌّ مِنْ الثَّوِيَّاتِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ أَنْهَارٌ مِنْ عَذَابٍ لَا يَجْفَى ﴾ (الزمر : ١٦) .

فإنه يقول إنه يورد الألفاظ للتخويف ، فالعصم والعذاب حق لأن العقول لا يتصور أن يخلق الله هذا العالم بهذا النظام الرائع الشامل ثم لا تكون العدالة متوافقة فيه ، إذ يحال أن يكون الموت - وفي الحياة ظالم ومظلوم - فلا بد من امتداد للحياة ، بحيث يجد المستحقون جزاء غيرهم والأشياء جزاء غيرهم ولكن كيف ذلك ؟ قال الكاتب ، الذي سوف يحدث لنا بعد البحث أن كل واحد متلازمه ورتبه ودرجته التي حصلها في الدنيا لا أكثر ﴿ فَقَدْ كُذِّبَتْكُمْ قَسْرَتٌ يَكُونُ لِرَأْسِهَا ﴾ (آخر الفرقان) - فن عاش لا يسع ولا يعقل ولا يصبر الحق لسوف يحشره الله أمسي ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْفَى . قُلْ : رَبِّ إِنِّي حَقَرْتُ أَنْفُسِي وَكُنْتُ بَعِيدًا قُلْ : كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُ رَبِّكِ فَاحْتَسِبْ الْيَوْمَ نُنْفِسُ فِي يَوْمٍ نَفْثُ فِيهِ الْخَيْلُ وَالِبَاقِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَمْعَرُونَ أَوْحَادًا وَتَرَكَ الْمَوْتَى حَلَالًا ﴾ (طه : ١٢٤ - ١٢٦) - إنها مجرد صفتك بتلازمك . إن الله لا يعذبك ولكن تعذب نفسك بجهلك ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل : ١٨) وفي الآخرة تتزايد الفروق وتتضاعف فابعد بين الذين سوف يكون أكثر بمراسل من طرف الدرجة بين حيوان وإنسان . ﴿ لَنُظَرِّقَنَّهُمْ أَصْنَافًا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (التغوى : ١٦) والآخرة أكثر فَرَاجَاتٍ وَأَكْثَرُ تَغْيِيرًا ﴿ (الإسراء : ٢١ : ٢٧) - ﴿ سَيُجِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ ﴾ (الأنعام : ١٢٤) .

• إن هذا الصغار الذي سيُعَذَّبُ وعرف لأنه سيكون حسرة على صاحبه حينما يرى مكانه ومكانة الآخرين ومقدار ما حُسر ومقدار ما كسبوا وفي الجنة يقول الله : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ بِمَا كُنْتُمْ يَفْعَلُونَ ، غَسَّى أَنْ يَتَحَكَّ رِجْلُكَ مَلَكًا مَحْمُودًا ﴾ (الإسراء : ٧٩) - إنها إذن مسألة مقامات . كل واحد يبحث على رتبته ومقامه .

• الله لا يعذب للعذاب وإنما يأتي العذاب واستحقاق الصدور من إحساس من هم في أسافل الدرجات بالغيرة الحسد والحوان والخسران الأبدي الذي لا يخرج منه وسوف يكون هذا التكامل والتكبير ، بكل الواحد منا بنفسه وبالفرجة التي وضع نفسه فيها .. والتي انحدر إليها بأعماله في الدنيا .

بطلان دعوى الكاتب

وجبة الحكمة :

هذا الاتجاه ليس مبتكراً ولا جديداً ، بل إنه فكر صليبي ويهودي معروف وقديم الباطنية ، حيث لا يتصور التصاري ولا اليهود حشراً ، وبالتالي لا يتصور أن يكون الجزاء مادياً .. فالبحث عنهم روحى وكذلك الجزاء ، وقد سار في هذا الفلك كليل الكاتب الدكتور خلف الله في كتابه الذي أنكر عليه العلماء وهو المسمى « الفن القصصى في القرآن » وتابعه في هذا الدكتور عبد المنعم ماجة^(١) . وقد ذهب الوثنيون المقاتلون بتناسخ الأرواح إلى هذا المذهب أيضاً فقالوا : إنما يكون عذاب المرء بأن توضع روحه في جسم حيوان خسيس شقي بينا الأتقياء تكون أرواحها في خلق أرق وأسهل .

جواب القرآن :

وإنكار التصور المادى للجنة والنار أمر قديم ظهر في الأيام الأولى للدعوة الإسلامية فعين نزلت أوصاف جهنم ، وأن عليها ملائكة غلاظاً شداداً قال الكفار : لو كان هذا حقاً لطلبنا عليهم بكفرتنا ، ونزلت الآية الكريمة نرد عليهم في سورة المدثر .

والقضية كما صورها القرآن ، وكما جاء الوحي في الرد على الكفار بصدد موقف العناد الذى وقفه الوليد بن المغيرة .. نقرأها في هذه الآيات ﴿ سَأَصْلِيه سَعْرًا وَمَا أَفْرَأَكُ مَا سَعْرًا لَا يَبْقَى وَلَا يَلْزَمُ . كَوَاحِلَ النَّاسِ . هَلْ يَكُنْ بِسَعْرٍ وَمَا يَجْعَلُكَ أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةٌ . وَمَا يَجْعَلُكَ جِدْنَهُمْ إِلَّا جِنَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَوِينَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ . وَرَدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا . وَلَا يَرْقَابُ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الْفَاسِقِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ : مَا كُنَّا لِرَأْدِ اللَّهِ هَذَا مَثَلًا . كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ . وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جَنَّاتُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر : ٢٦ : ٣٦) .

(١) ماجة : تاريخ السياسى للفرون العربية ح ١ ص ١٢٨ طبعة ١٩٥٦ - والفن القصصى في القرآن ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥٧ طبعة القاهرة ٢٠٠٠ - ١٩٥١ .

أولاً: ترى في المثال أن المشبه هو ثلث الوثنيين بالأصنام واحتشامهم بها - رغم ضعفها - والمشبه به هو بيت العنكبوت الضعيف ، فكأن أن الاحشاء بيت العنكبوت صحت .. فكذلك الاحشاء بالأوثان ، ووجه التشبه هو الضعف في كل من المشبه والمشبه به ، واستعراض آيات الجنة والنار يرينا أنها على سبيل الحقيقة وليس من باب ضرب الأمثال.

■ أساليب التوكيد للجزء المادي :

يل إن العالم بأساليب اللغة يرى فيها التأكيد للصورة المادية وعدم إحمال إرادة المثال أو الجاز أو التشبه . ومن أمثلة ذلك ما يأتي :-

١ - الآية التي ذكرها الكاتب في محله : ﴿ عَلَى الْجَنَّةِ ﴾ يؤكد أنها على الحقيقة عدة مؤكدات ، منها :

(أ) التكرار للجملة بالخال : أي ذكر الجملة التي تكون عليها الجنة بعد ذكر الجنة ، وطول الصورة ، وتفصيلها . ثم ذكر الإجمال بعد التفصيل : فالتفصيل أنهار من ماء .. وأنهار من لبن .. ثم قال في إجمال ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ . فهذا التفصيل تفصيلاً - حل أشياء ، مع إعادتها بالنسب الإجمالي - تأكيد لها .

(ب) ذكر الله الشعة النفسية ، أو صفته بالأمن والسلام ، والطمأنينة الروحية . في قوله بالآية ﴿ وَمَعْلُوفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ بعد ذكر الجانب المادي - يؤكد حقيقة الجانب المادي .. فلعلماء الشعر والبلاغة يقولون : العطف للجمل أو الكلمات على بعضها يقتضي المغايرة بين مدلول المعطوف والمعطوف عليه . فبعد ذكر الأنهار وذكر الثمرات - ذكر الله سبحانه : ﴿ وَمَعْلُوفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ومن هذا في القرآن آيات الواقعة (٦٥) - إلى (٦٦) . وآيات الزخرف ٧٢ ، ٧٣ . وعليها أن نفهم الذين حين تنقاه من مصادره الأصلية ، وهي الكتاب والسنة - طبقاً لقواعد لغتها العربية القصص .

٢ - آيات المدثر التي ذكرناها : .. مما يؤكد إرادة الحقيقة منها - لا الجاز - ما يأتي :-

(أ) تنوع الأسلوب بين الأسلوب الخبري ﴿ مَا صَاحِبُهُ سَقَرٌ ﴾ والإنشائي ﴿ وَمَا

أَفْزَاكُ مَا سَقَرٌ ﴾ ؟ وهو بطاب يكرر تأكيداً لحقيقة ، وقد بين حالها بأنها : ﴿ لَا تَقِي وَلَا تَقَرُّ ﴾ الواقعة في خبر أي تغير ألوان الناس بسبب إحراقها لهم .. (ب) أسلوب القصص : بلقي والامتناء (١) ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ .

(ج) النص على أن من يشك في أن ملائكة جهنم « وهم خزنها ، تسعة عشرة كافر لو متاق ، حتى لو آمن بوجودهم - قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عَنْهُمْ إِلَّا ذِيئَةً لِلنِّسِ كَفَرُوا ﴾ . بل قوله تعالى : ﴿ وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي لُؤْلُؤِهِمْ تَرَى الْكَافِرِينَ مَا كُنَّا نَرَاهُ اللَّهُ بِهَذَا مَلَأَ ﴾ .

٢ - ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا مَن حُطَّتْ ثَوَالِيقُهُ فَاثْمَةً هَارِيَةً ، وَمَا أَفْزَاكُ مَا هِيَّة ؟ قَرَّ حَكِيمَةٍ ﴾ (أواخر سورة القارعة) .

بعد تقرير أن « الله ، أي مصوره هَارِيَةً » يعني جهنم : وهو أسلوب تعبيري ، أثار سؤالا من ماهيتها وذكر جوابه ليؤكد المراد منها وهو ﴿ قَرَّ حَكِيمَةٍ ﴾ . على الحقيقة يريد أن نرى نوعهم لإرادة الجاز .

٣ - وفال سبحانه : ﴿ قَالَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمَّا لَطَمَتْ لَهُمْ ثَابُ مِنْ نَارٍ يُقَبُّ مِنْ لَوْلُ دَعْوَاهُمْ الْحَمِيمُ ﴾ . يُصْهَرُ ماق بطونهم والجلود « وهم مقامع من حديد » كلما لَوَاهُوا أن يخرجوا منها من هم أعينها فيها وطوقوا عذاب الخريق ﴿ (الحج : ١٩ - ٢٢) وهي تؤكد العذاب الحسي في أول النص - ثم الحسي والمعنوي في الآية الأخيرة .

٤ - آيات النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً ، كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بِذَلِكَهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا يَلْدُوهُوا الْعَذَابُ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هَالِينَ فِيهَا أَبَدُ ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدِينَ ﴿ (النساء : ٥٦ - ٥٧) .

(أ) تأكيد العذاب بالنار الحسية واضح في ابتداء الجملة بأن التي تدل على التأكيد ، ثم في صيغة التكرار والثبوت - ﴿ كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ ثم إن التعليل

(١) التي مثل (ما) في الآية والامتناء (إلا) في الآية ، والنصر فريد زيادة التفصيل والتأكيد ، فكانت قال : أمسحط القدر مقصورة وظيفتهم حل جنس الملائكة .

(١) الأسلوب الخبري يراد به الإخبار أما الإنشائي فله حجة لإستخدام قر السبب قر الأمر أو الشيء .

لتجديد الجلود بأنه ذوق العذاب ، يدل على أن العذاب حسي ، لأنه من أجله تتغير
الجلود بأعصاب الحس - ثم إن كلمة ﴿يَذُوقُوا﴾ تشير إلى أن الأمر حسي .

(ب) وفي الحديث عن جنة المؤمنين ذكر أنواع النعمة : قالوا بالإنشاء والخلق
ينعم ، أما الوجدان أو العاطفة فأعطى لها السكن والزوجات الطاهرات ، أما الاستراوح
الذي يكون وراء الطعام والجنس : فأشار إليه بقوله ﴿وَنُدَّجِلُهُمْ غِلَا ظِلًّا﴾ . وتنوع
المنفعة - يجعلنا نقول : إنه لا بد من تباين جنسها ، وذلك معناه تأكيد أن في الجنة كل
نعم مادية ، حسي ، وروحي . ونفسى .

٦ - وفي سورة المؤمنون : ١٠٣ - ١٠٥ ﴿وَمَنْ عَفَتْ ذُنُوبَهُ فَأُوتِيَتْهَا أَهْلًا بِهَا فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . ثم تكرر
أعلى تكرر ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا تَشَاءُونَ﴾ .

ولفح الوجه حركة مادية حسية بحتة - والتفريق بالكذب إنما هو تفريق للكذب
بأمر حسي يصور ملموساً بالآخرة .

٧ - وفي سورة التلك : تصوير لصورة النار وحيلة طرد حسي في أمانيها ﴿إِنَّا
أَلْقَيْنَا فِيهَا سُجُوتًا لَهَا ظَهْرًا وَهِيَ تَنْقَرُ﴾ . تكاد تبرز من التبدد كلما أتى فيها قرع
سألهم عزوتها ألم بأيكم تليق ؟ (الملك : ٧ - ٨) .

٨ - وفي سورة النجم : الآية ٦ : ذكر وفودها المادي ، وذكر زياتها والفاين
عليها :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : لَوْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودًا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا
مَلَائِكَةٌ خِلَافٌ يُشَاكِدُونَ : لَا يَضُرُّونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ : وَيَتَذَكَّرُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

يقول الإمام حسن البنا : في الجنة النعيم المعنوي والنعيم الحسي وفي النار أيضاً
العذاب المعنوي والعذاب الحسي والنفسى ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين ، الذين اتفقوا
دينهم لمواً ولعياً ، وغرهم الحياة الدنيا ، فالיום نساها كما نسوا لقاء يومهم هذا وما
كانوا بآياتنا يحدرون﴾ (١) ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما

وعندنا وثماً حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا : نعم ...﴾ (الأعراف : ٤٤)
ولو لم يكن الجزاء مادياً وروحياً معاً ... لكان جزاء أجمع . فالقرآن الكريم يعلن أن
الإنسان روح وجسم ، وأن - ومطالبه المادية هي التي تسوقه إلى الشر ، وأنه حين
يتكف بتكف عن المطالب المادية ، فلا بد هنا من تعويض ، فإذا قيل إن الجزاء وروحي
قطر : فحين تعويض الجسم الذي هو متسلط على الروح ؟ فكان لابد إذن من تعويض
مادى .. والمعادلة في الجزاء تقتضي هذا المعنى .

● فكرة الناس مقامات :

قال الكاتب : « الذي سوف يحدث لنا بعد البحث هو أن كل واحد ستلازمه رتبة
ودرجته التي حصلها في الدنيا لا أكثر ، مع فارق الدرجة والنسبة .

هذه المقالة بين أن قاطا الكفار في عهد النبي نفسه ، ورد الله عليها وبكتهم
فقالوا : ﴿لو كان عتراً ما سبقونا إليه ، وإذ لم يهتدوا به ليهتدوا : هَذَا إِلَهُنا
فهم﴾ (الأحزاب : ١٦) ، وحكى هذا عن كفار الأمم السابقة : ففي قصة صاحبي
الجنة بسورة الكهف قال الله عن الكفار : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُخَاوِفُهُ :
يَا أَكْثَرُ بَيْنَكَ مَا لَمْ أَفْقَرُ . وَفَعَلَ جَنَّةٌ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، قَالَ مَا أَهْلُ أَنْ يُبَدَّ هَذَا
لَهُمَا . وَمَا أَهْلُ السَّاعَةِ فَلَيْسَ مِنْهُمْ رُجُوتُ إِلَى رَبِّي لِأَجْدُنَ خَيْرًا مِنْهَا مُثْقَلًا﴾
(الكهف : ٣٦ - ٣٨) فأمل قوله في الربط بين حاضره ومستقبله الأبدى على أساس
من فكرة الاستعداد الطبيعي لحياة الشخص حسب منزلته . وفي سورة فصلت (الآية :
٥٠) ﴿وَلَيْنَ أَفْئَكَاةٌ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ خِزْيِهِمْ مَسْكَةٌ يُقَالُونَ : هَذَا لِي ، وَمَا أَهْلُ السَّاعَةِ
فَلَيْسَ مِنْهُمْ رُجُوتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي مِنَّةً لِلنَّاسِ﴾ .

تعقيب :

كما إن الكاتب ، عني بالمقامات والاستعداد : أن الصالح يمتد به أنس الطاعة
وجنتها ، فيعيش في الآخرة حياة مطمئنة - وحسب مجهوده في الصالحات يكون مقامه
عند ربه ودرجته ... وهكذا تكون مقامات الكافر والفاجر عكسية ... ولكن جنة
الطائفة النفسية ، أو كما قال الكاتب في وصفها عند ذكر المتخلص من الخطيئة « بجنة
الطاعة والإسلام للتواضع الإلهية » ، ذكر الله أن أصحابها الذين نالوها يدخلون
الجنة . وليس من المحفول أن الذي يعيش في الجنة يخرج الله منها ، أو يدخلها فيها
ليكافه بدخله فيها أخرجه منه ، أو فيها هو فيه .

﴿ يَا عِبَادِ لَا حَافَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ • ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ ثم ذكر الجانب المادي ﴿ يُطَاعُونَ
عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
عَالِمُونَ ﴾ (الزمر : ٦٨ : ٧١).

وأعاد ذكر الأنس العاقل مرة أخرى مع الأمن فقال ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَأَنْتُمْ
صَالِحٌ مِنْ آلِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَفُراتُهُمْ • وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ •
سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقْصِي الْدَّارِ ﴾ (الرعد : ٢٣ - ٢٤) وقال تعالى في آخر
الفجر : ﴿ بَاقِيَةُ النَّفْسِ الْمَعْمُودَةِ • الرُّجُوعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً • لَا تَسْأَلُ فِي
عِيَادِي وَادْعَلِي جَنِّي ﴾.

فالنفس الراضية المرضية المطلقة هي النفس التي في جنة الكاتب ، أي أنهم
وصلوا إلى منتهى النعم الذي يتخيل الكاتب أنه الموهود الذي وعد به الصالحون .
فكيف يقول الله لهم بعد ذلك ﴿ وادْعَلِي جَنِّي ﴾ إلا أن تكون جنة أخرى غير الخاصة
بالنفسية ؟ فلا بد إذن أن تكون الجنة التي يدخلها ذوو النفوس المطلقة بالتمام المرضية
الراضية ، شيء آخر غير الطمأنينة والرضا والسكينة .

● العذاب بالصغار والتدم والغيرة

ما زعمه الكاتب من العذاب بالصغار والتدم إن هو إلا جزء من العذاب فقط ،
فقد ذكر الله لدم الكفار والعصاة يوم الحشر والحساب فقال في الظالمين ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُ
الظَّالِمِينَ عَلَى بَنِيهِمْ يَقُولُ : بَالَيْتِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾ (الفرقان : ٢٧)
وقال : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ • يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَقِيلُهُمْ وَلَهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ سَوْءُ
الْدَّارِ ﴾ (الحشر : ٥١ - ٥٢).

والجانب ذكر الله هنا العذاب النفسي لهم ذكر العذاب المادي والحشر فقال :
﴿ إِنَّا اجْتَمَعْنَا لِلظَّالِمِينَ لَأَرَأَى أَحَدٌ بِهِمْ مَرَادَفَهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَفُتُّوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
يَسْأَلُ الْوَجْهَ ، بِسَبِّ الشُّرَابِ وَمَاءَاتٍ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف : ٢٩).

وهذا التفصيل للصورة التي يعدها الظالمون بنى أنها على الحقيقة . وإن من المعلوم
أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال : والذين ترك عليهم القرآن بما أن يقال : إنهم
يدركون المعنويات ، أو لا يدركونها .

فإن قيل : نعم يدركون ، قلنا : ولهذا ترك خطاب الله وذكر لهم ما يدركونه ،
فجعل من العذاب عقاباً نفسياً ، وجعل منه حسياً . وما تاتوا على مستوى يفهمون فيه
المعنويات : فقد ذكر النفس لهم لا يكون إلا على حقيقته ، دون تأويل أو تعطيل .
فإن قيل : لا يدركون إلا الحسي قلنا : فلم ذكر الله ما كان معنويًا ؟ أيعاظمهم بما لا
يستطيعون إدراكه ؟

وقد قال الله : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرَوْنَ الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هُمْ مِنْ مُذْكَرٍ ﴾ هل نهم القرآن
بعدم البلاغة لعدم توافقه مع مستوى المخاطبين ؟ إن هذا مستحيل ، ولذا كان الواجب
التصديق بأن العذاب منه حسي ومنه مادي . وقد تحدث الله عن العذاب الروحي ،
وكان العرب يتصورون ما قاله سبحانه ألا تسمع قوله في ذلك ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ
خَيْرٌ مُنْكَرًا وَأَخْصَرُ مَكِيلًا ﴾ (الفرقان : ٢٤) .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَافِقُونَ ﴾ ﴿ يَا عِبَادِ لَا حَافَ عَلَيْكُمُ
الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ • ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ . ثم ذكر الجانب المادي ﴿ يُطَاعُونَ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ • وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا عَالِمُونَ ﴾ (الزمر :
٦٨ - ٧١)

وأعاد ذكر الأنس العاقل مرة أخرى مع الأمن فقال : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَأَنْتُمْ صَالِحٌ مِنْ آلِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَفُراتُهُمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ •
سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقْصِي الْدَّارِ ﴾ (الرعد : ٢٧) .
وقال سبحانه : ﴿ مَنْ يُضْرَبْ عَنْهُ يُؤْتِ بِمِثْلِهِ لَقَدْ وَجَّهْتُ ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ الْمُبِينُ ﴾
(الأنعام : ١٦) .

﴿ ثَمَّانِ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ، وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾
(الأنعام : ٨٢) .

﴿ وَجُودَ يُؤْتِ بِمِثْلِهِ مُنْكَرًا • حَاجِكَةَ مُتَبَرِّئَةً ﴾ (عبس : ٢٨/٢٩) ومن ثم
الاجابة لا ادعاء الكاتب .

ثم إننا لا نقبل من الكتاب دعواه أن الله نزل فهبط بفصاحة القرآن وبلاغته معنى
ومعنى من أجل سبيلة البادية ؟ لأن القرآن نزل للناس كافة ، من أعلى القمم العقلية
الرائدة إلى من هم لها تبع .. وهم الناس كافة إذن كما قال سبحانه : ﴿ تَكْوِيلَ الْكِتَابِ ﴾
نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَصِيرًا ﴿١﴾ . وليس كتابا منزلا لبدو خاصة حتى
ينزل القرآن إلى مغافير بيته هزيلة .

ما حكم تأويل النعيم والعذاب ؟

قال الإمام الفراء : من اعتقد بوجود الجنة والنار ولكن قال : إن السعادة عبارة
عن لغة روحية ترتد لذاتها على اللغة الجسدية الحاصلة من الطعام والتمتع اللذين تشترك
فيهما اليانم ، وتعالى عنها رتبة الملائكة ، وإنما تلك السعادة اتصال بالجواهر العقلية
للملكة ، وابتهاج نيل ذلك الكمال .

واللذات الجسدية محفوفة بالإضافة إليها ، وإن الشفاوة عبارة عن كون الشخص
محبوباً من ذلك الكمال العظيم كله ، الرفيع شأنه ، مع الشوق إليه والشفقة به ، وإن
فلم ذلك يستحضر معه فلم النار الجسدية ، وإن ما ورد في القرآن مثل لعوام الخلق لما
قصر لهم عن ذلك تلك اللذات ، فإنه لو تعدى النبي في تربيته وتربيته إلى غير
ما ألقوه وتشوقوا إليه ، وفرحوا منه ، لم تبعث دواعيهم للطلب والحرب ، فذكر من
أشرفها عندهم ، وهي المديركات بالخواص من الخور والقصور ، إذ تحظى بها
حاسة البصر ، ومن المطاعم والمناكح إذ تحظى بها القوة الشهوانية ، وما عند الله لعباده
الصالحين غير من جميع ما أعربت^(١) عنه العبارات ونهت عليه . ولذلك قال تعالى فيما
حكى عنه النبي ﷺ : «أَعَزَّدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ،
وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» مصداق ذلك في كتاب الله ﴿ فَلَا تَطْمَئِنُّ نَفْسٌ مَا أُهِنَ لِمَنْ مِنْ
قَرَّةٍ أَوْ هِنٍ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) . وكل ما يدرك من الجسديات فقد خطر على
قلب بشر لو يمكن إخطاره بالقلب . فالنبي نطق به أنه لا يجوز التوقف في تكبير من
يحتقد شيئاً من ذلك ، لأنه تكذيب صريح لصاحب الشرع ، ولجميع كلمات القرآن
من أولها وآخرها .

(١) أعربت : فانت .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة حديث عن أبي هريرة وسدث ٤٢٣ ورواه الطبراني في
الكبير عن الحسين بن جعفر بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده كما في الجامع الكبير ٢٢٤٩/٢٧٣٠ .

فوصف الجنة والنار لم يفتن ذكره مرة واحدة أو مرتين ، ولا جرى بطريق كتابة أو توسع أو تجوز ، بل بالفاظ صريحة لا يتأذى فيها ولا يستأرب ، وإن صاحب الشرح أراد بها المفهوم من ظاهرها ، فالمصير إلى ما أشار إليه هذا القائل تكذيب وليس بتأويل ، وهو كفر صريح لا يتوقف فيه أصلاً .

إشارة اعتراض :

ثم قال الغزالي : « وبذلك تعلم على القطع أنه لو صرح مصرحاً بتكثير الجنة والنار والجنود والقصور - فيها بين الصحابة - لبادروا إلى كفه ، واعتقدوا ذلك منه تكذيباً لله ولرسوله فإن قيل : لهم كانوا يقولون ذلك ويبالغون فيه حسماً لئلا يتصرح به إذ ومصلحة العباد تقتضي ألا يجري الخطاب معهم إلا بما يليق بأنفُسهم ويؤثر في نفوسهم ، وإلا دواهم . وإذا رُفعت عن نفوسهم هذه الظواهر وتُصغرت عقولهم من ذلك اللذات العظيمة أنكروا الأصل وجعلوا الثواب والعقاب .. وسقط عنهم تمييز الطاعة عن العصيان ، والكفر عن الإيمان .

لنا فقد اعترض بإجماع الصحابة على تكثير هذا الرجل وقوله لأنه مُصرّح به ، ونحن لم نزد على أن المصريح به كالتبريح فله ولد وله الاتفاق عليه .

وبلى قولكم إن سبب تكفيرهم مراعاة مصلحة العوام . وهذا وهم وظن محض لا يفتى عن الحق شيئاً ، بل نعلم قطعاً أنهم كانوا يعتقدون ذلك تكذيباً لله تعالى ولرسوله ورداً لما ورد به الشرع ولم يطفئه العقل . فإن قيل : فلم أولم آيات الصفات واحداً منها مثل ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، وإن الله خلق آدم على صورته .. ولم تجزوا على الظواهر ؟ قلنا : لأن القرآن صرح بنفي إرادة ظاهر اللفظ فقال : ﴿ كَيْسَ كَذِبِي ﴾ .

ومعنى « على صورته » أى خلق آدم على هيئة التى نزلت عليها الآن ولم يجر بطوار من أطوار الخلق والتكوين .. فالحديث معجزة دالة على صدق نبوة النبي ، لأنه به يمكن الرد على نظرية التطور قبل مجيئ « داروين » بما ينحو ثلاثة عشر قرناً .

عود إلى جنة آدم

ذكر الكاتب في الحلقة الثالثة عن الجنة التي كان فيها آدم ، والتي تنتظر التائب ما نصه ، يشرح لنا القرآن أن الخلاص على الأرض ممكن ، وذلك بأن يفلح الإنسان إلى الحق . ويعود إلى الجنة التي ضياعها أبوه . جنة الطاعة والإسلام للتوأميس الإلهية وعنده هي الإثابة والرجعة التي تكرر في كل صفحة من القرآن . يفلح الإنسان إنه لا يهلك إلا ضميعة (غدر الأعداس) الذي تركه إله حراً بالفضل ، فيسلمه خالصاً لله وينجيه به مختاراً طائعاً . وقد وكل أمر نفسه إلى حاله ولخص لتوأميسه ، بفعل هذا وقد أدرك أن مشيئة الله واحدة إن طوعا وإن كرها ، وإن الله هو الخالق المهيمن على جميع الأسباب وأنه هو الوحيد الذي يملك الهداية والعلم والقدرة (١) .

تعقيب :

ونحن نوافقه على طريق الخلاص من العذاب فذلك هو الذي يسمى .. « التوبة » النصوح ولكن هذه العودة إلى طاعة الله والإسلام إلى التوأميس الإلهية التي أودعها كتابه للطور في القرآن ، وكتابه المنشور في الكون ، هي السبيل إلى جنة أخرى مادية فيها اللذات المادية والروحي مما .. كما في سورة الواقعة مثلاً .

قد قال تعالى في النجم المسمى من الرزق والطعام والشراب : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى . وَلِلْأُولَى الْآخِرِينَ . عَلَى سُرُرٍ مَوْجُوَّةٍ . أَى مَسْجُودَةٍ بِقَضبان الذهب والجواهر . مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ . يَتَلَوَّنَ عَلَيْهِمْ وَقَدَّارٌ مُعَلَّلُونَ . يَا كُتَّابَ أَتَّيَّبِقُونَ . وَكَأَنَّمِنْ صَعِينٍ . (خمر جارية من منيع لا يتقطع) لَا يُعَذِّبُونَ عَنْهَا وَلَا يُؤْذَوْنَ . (لا يذهب عقابهم) . وَلَا كَيْفَ يَمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَشْتَهُونَ .

(١) رواية البطولي في الإستدلال : ١ - وسلم : (بر : ١١٥) ولجنة ٢٨ - وقصد : ١٦٣ - ٣٤٤ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(١) القرآن محولة فهم مصري للقرآن ص ٩٠ .

- ثم ذكر الجنس فقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَانُوا مِنَ الْمُنْكَرِ الْمَتِينِ ۖ جُزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

- ثم قال عن الراحة النفسية وعواملها ومظاهرها .. ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَغْوًا وَلَا نَأْثِيمًا ﴾ - أى قولاً قاحلاً أو مؤثماً - ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ (المائدة : ١٠-٢٦) .

- ثم عاد القرآن إلى ذكر فئة أخرى من أهل الجنة ، وذكر جزائرها للآدمي قائلا : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ - سيق غصن أى أنزل شوكه ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْقُودٍ ﴾ - أى مرز منظم بعصه فوق بعض - ﴿ وَجِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ - أى دائم - ﴿ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٍ ﴾ - أى جار دائم ﴿ وَلَا تَكْهَى كَبِيرُهُ وَلَا صَغِيرُهُ وَلَا يَصْنَعُونَ فِيهَا مِنْ ذَرَّعَةٍ الْخَشَعَةِ ﴾ وقال ﴿ وَفَوْشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾ - كنى عن السر العالية بالنساء . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۖ فَجَنَّتْ لَهُنَّ أَنْبَارٌ ۖ هَرَّاءٌ ﴾ (أى مصحبات إلى أزواجهن - أزواجهن متساويات في السن ..) .

والتنوع بين ما هو حسي وما هو نفسي ، دليل على إرادتها معا .. وحصل إحداها على الآخر ترجيح لأحد الطرفين بدون مرجع ، بل ترجيح للمرجوح ، لأن المألوف أن يحصل المعنوي على الحسي ، وليس العكس ، فيشبه ذو الجاهل المعنوي بالقمر ، ولا يشبه القمر بالجميل .

وقد اختلف الأئمة في جنة آدم : أهي الجنة التي وعدنا بها في الآخرة ؟ أم أنها الجنة بالحق اللغوي وهو الحقيقة ؟ .. ولكل أدلة أما تفسير الجنة بأمر معنوي لم يرد في اللغة ... ونخالف به فهم العرب الذين حملوا إلينا اللغة ومن بعدهم طوائف زهاد أربعة عشر قرناً ، فذلك مالا يمكن أن ينجح إليه هائل أريب .

وقد اختلف المفسرون في بيان الشجرة : أهي الخنطة ، أم الكرم ، أم غيرها من الأشجار المعروفة حسياً ؟ . أما قول الكاتب أنها ، رمز الاتصال الجنسي ، فنقول غريب ومردود . فنقول الكاتب : (إن دليل كون الشجرة هو الجماع ، هو أن آدم وحواء نجلا من أصلها كما نجبل نحن من العملية الجنسية) قول لا يقبله العقل ..

فقد كانت حواء زوجة ، قال تعالى ﴿ عَطَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وجماع الزوجة حلال ولا نجعل منه وكفى إله عن الجماع بالفسس والرقص

وإتيان الحوت .. ولم يعرف في اللغة الكتابة عن الجماع بالشجرة ، وكل تفسير خالف اللغة فهو باطل .

هذا فضلاً عما روته من أن إله إنما ألقي الشهوة في آدم بعد هبوطه من الجنة .

الحق : إننا خلقنا في حياتنا الدنيا طبقاً لناموس الموت المجهول سره كجهل سر الحياة ، وقانون الخلايا المتجددة التي تنتهي بالضعف والموت حين يشاء الله للإنسان أن يموت بذلك القانون : لأننا في دار القضاء : أما هناك ، في دار الخلود ، فسنبأد ، بخلقنا بطريقة تقبل الخلود .. في النار والجنة ، وكما خلق الله الروح لآبلة للخلود رغم قتله البدن ، فهو قادر على أن يحصل بمش أجسامنا بحيث تكون خالدة كالروح ..

والدليل على أن بدناً سيكون بطبيعة أخرى أننا رأينا أن النبي ﷺ بصفته مزمع الكافر بأنه كالجيل ، وكان تصور هذه الضخامة يقابل من الرغيل الأول بالتصديق التام ، دون استطلاع رأي العلم ، أما في عصر العلم فإننا حين نستطلع يؤكد لنا هذه الحقيقة .. إذ أن جسم الإنسان مكون من خلايا متنوعة ..

والحقيقة الحية من أنواع هذه الخلايا .. ثبت علمياً أنها تتحرك في نموها وكيفية خلوها داخل الجسم بطريقة غير التي تتحرك بها لو عزلت عن باقي الخلايا ..

وفي ١٧ من يناير ١٩١٢ بدأ العلماء أول تجربة لذرية قطعة من نسيج حي بعد مطاوعتها لجسد صاحبها ، فرأوا أن قطعة صغيرة تحتوي على بضعة خلايا فردية لو استمرت نريتها خارج الجسم الإنساني لوصلت هذه القطعة التي لا يزيد حجمها على مليتر مربع - في غضون سنة واحدة - قدر وزن الشمس ١٣ ألف مليون مرة .. ولهذا لم يكن حرياً أن تكون أحجام الناس يوم القيامة بطريقة أخرى ، وفي الضخامة التي جاءت في السنة ، لأن الله حين ينسج هذه الخلايا الحية ويهيئها قد يحيطها بما يحيطها تنمو نمواً مثبداً بالنسبة لما رأت في تجربة (د : الكسيس كاريل) التي ذكرناها ، ونموها زائداً عن نموها في جسم الإنسان القائل في هذه الدنيا ^(١) .

وهكذا القول في ضخامة أشجار الجنة ، وسعة المدرجات ، بينها سعة تتفق مع طبيعة نمو الخلايا الحية في شتى المخلوقات من إنسان ولبات ، ولهذا قال الله سبحانه ﴿ وَصَوَّرْنَا إِلَىٰ خَلْقِهِ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَعَلْنَا عَرُوشَهُمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْدِلَتِ إِلَهُكُمُ ﴾ لأنها لا يمكن تخشياً مع المنطق العلمي ، إلا أن تكون بهذه الصورة من السعة . وبما أن عوامل الحر والبرد تنهي قبل يوم القيامة بطي السوات وشموسها المحرقة

أدلة الكاتب على علم وجود نار وجنة

١ - حوار الكفار :

قال الكاتب ^(١) : وما يدل على أن النار في الآخرة هي غير ما نعرف من نارنا - هذه الآيات من سورة الأعراف : ٣٧ - ٣٨ ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ . قالوا ادخلوا في أقم قد خلقت من قُلُوبِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ . كُلَّمَا دُعِيتُمْ لَهَا فَهْتُمْ أَحْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا أَذَارَكُمْ فِيهَا جَمِيعاً ﴿ - حتى إذا أدرك بعضهم بعضاً - ﴿ فَالْتُمِ الْأَعْرَافَ لِأُولَاهُمْ : وَبَيْنَا هَؤُلَاءِ أَهْلُوا قَاتِهِمْ ، عَذَاباً جِثاً مِنَ النَّارِ . قال : بئس جعش ولكن لا تعلمون ﴿ .

« إنه حوار ومكالمة في النار يجري بين المعذبين ، وفي مثل نارنا لا يمكن أن يجري حوار بين اثنين يحترقان . »

والعنى الثاني المبني في الآية : ﴿ وَلِكُلٍّ جِثٌّ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ - إن أمامنا الذين يتعذب الواحد منهم ضعف الآخر مع أنها في نفس المكان . ومعنى هذا أن العذاب في القلب وليس في المكان ذاته ، كل هذه الآيات كواشف ذات دلالة تدل على أن النار ليست هي النار ولا الجنة هي الجنة ، ولا الله هو الباطن المعذب . وإنما سوف يتألف العذاب من تفاوت الرتب تفاوتاً عظيماً . ثم بالسقوط في جهنم أبهى لا يخرج منه يلزم صاحبه كما تلزم الاصح بصحتها .

بطلان الشبهة ^(٢) :

خلف الكاتب عن طبيعة خلقنا الذي سنبعث عليه يوم القيامة فغلب عنه وجه

(١) المرجع السابق ص ٧٢ : ٧٣ .

(٢) أثبتنا المناقشة بالرغم من عدول الكاتب عن رأيه فقال : يحدث أن يتعرض لشئ غير فيضاب آسدها بالصناعات بينما يحتمل الآخر ، والصداق ألم حتى ومعنى .

(١) يوم القيامة بعد الرزق تقول ص ١١٢ : ١١٤ - وحديث الذر وسألي آخر هذا الفصل .

وكواكبها القارة (١) ﴿يَوْمَ تَطْوى السَّمَاءُ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكَتِيبِ﴾ (الأنبياء : ١٠٤)
 لأن الجو في الجنة يغابر الجو في الدنيا . ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا - وَفَتَاتِهِ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا - وَذَلَّلَتْ أَعْيُنُهُمْ أَزْدَانُهَا﴾ (الإنسان : ١٣ - ١٤) .

ولا بد أن تكون النار بدوجة غير التي نعرفها في الدنيا ، قلت أجسام أخرى ، لما طاقات احتمال غير طاقاتها المعروفة ، ولذا قال سبحانه : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا مِمَّا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة : ٨١) وتلك نار قادرة على الاشتعال بما لا يشعل في الدنيا من التراب والحجارة ﴿فَأَرَأَيْتُمْ إِنْ فَتَنَّا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ﴾ (التحریم : ٦) .

ولما كان الناس درجات في معاصيهم كان من العدل أن تكون جهنم درجات عرفت بالدرجات ، ولذا قال سبحانه : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ فِي الشَّجَرِ الْأَشْطَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء : ١٤٥) - وقال : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر : ٤٤) - وقال في مقارعتهم ، وأنها تتناسب مع عقوبتهم الجديده ﴿وَلَهُمْ مَقَالِيقٌ مِنْ حديدٍ﴾ (الحجج : ٢١) - وفي لباسهم ﴿سَرَابِيقُهُمْ مِنْ لَظْزَرٍ﴾ (إبراهيم : ٥٠) .

وكما قرر العلم أن الطاقة الحية تتضاعف غذاؤها خارج الجسم مئات ، بل آلاف المرات فإننا نتصور كثرة اللذات ، للدرجة أن الله يسميه إسداداً ﴿وَأَمَّا مَا نُنَادِيهِمْ بِهِ فَاسْتَحْضِرْ مِنْهُمْ حَكِيمٌ وَلَنُضْمِرَ لَهُمْ مِمَّا يُشْتَهُونَ﴾ (الطور : ٢٢) .

بل وينص على الكثرة ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا يَشْتَهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف : ٧٣) ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الزخرفة : ٣٢ - ٣٣) .

إن كل شيء في الجنة أو النار يحمل اسم نظيره في الدنيا ، ولكنه يختلف في حقيقة وإن كان مادياً ، وهذا هو الحقيقة التي قال الرسول فيها : مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشره .

ونعنيقة أن يكون في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، لما نظير في حالكه .. فعالم الفواكه به من الفواكه عالم نسطع بمذاقه ، وما سينضج عمرنا ولا نطوقه ومالا

(١) يوم القيامة لعبد الرزاق توفى من ١١٢ - ١١٤ .
 (٢) القارة : البرادة .

نسمع عنه - فتلا فأكتمه التي يقرر العلم أنها تبلغ (٢٥٠٠) نوع .. فهل يمكن استيعاب هذه الأنواع لواحد أو مجموعة من البشر ، والعناكب فبائل تبلغ نحو خمسين ألف قبيلة ، والجراريم كذلك فحقن لم نخط يعلم الكثير .. والإحاطة أمر غير ممكن لل فرد .. وإذا كان في الدنيا مالا عين رأت بالنسبة لمجموعات كثيرة لما يأتها بعالم الآخرة ؟ وكل امرئ دخل الجنة يجد ألوان الناع يختار منها ما يشاء ، فمن لم يحب العسل عيطر غيره ، فليس ذكر لفة العسل أو اللين اللذين يكرهها الكتاب معناه إلزام ناططها .. وإنما حويان للأصناف المعروفة ، تنفق في التسمية مع نظيرها في الدنيا ، وتختلف في جوهرها ، كما في الآية الأخرى : ﴿كُلًّا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُورَ بِهِ مِثْلَهَا﴾ ، ولهم فيها أزواج مطهرة ﴿٢ : ٢٥﴾ لا يفتريهن الخبيص والنفس .

وأنه يكره امرأة عجوز تسأله أن يدعو الله لها بالجنة فيأزجها قالوا : الجنة لا يدخلها عجوز ، فلما رأى فرعها قال لها : ألم تسمى لوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنَافًا فَجَعَلْنَاهُنَّ إِنَافًا﴾ عَرِيًّا أَزْوَاجًا﴾ (الزخرفة : ٣٥ - ٣٧) أنه يعني أنها تدخلها ، وقد أعاد الله إليها شبابها فلا تدخلها يزورها من الشيوخة كبناتها ، ويتنفس جبينها ، وقد صح الحديث بأنها بُعثت عُرُلًا .. يعني غير متزوجين .

وهذا التبدل ليس لخلق الناس فقط ، وإنما سوف يكون لكل شيء ، ﴿يَوْمَ تَبْطُلُ الْأَرْضُ عَنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم : ٤٨) . ﴿لَبَدًا نَظِيعٌ فِي الْأَرْضِ نَفْثَةٌ وَاحِدَةٌ - وَحِيلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ قَدْ كُنَّا أَكْثَرًا وَاحِدَةً - فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الزُّلْفَةُ - وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاحِدَةٌ﴾ (الحالة : ١٣ - ١٦) .

سوف تبدل طبيعة السيطرة الروحية ، وتصبح طاقات الجسم بما لم يكن موجودا في هذه الحياة ، حتى إنه ليرى المنفيات ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق : ٢٣) . ثم ألا ترى أن من طبيعة المرأة أن تحبس وكان الله أخبر عن المرأة أنها في الجنة لا تحبس ، ﴿لَهَا فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ . وهذا مما يدل أن البعث خلق جديد لا يخضع في الحكم على شؤنه لمقاييسنا الدنيوية .

ولما قركه كيف يتطورون ؟ فالجواب : لأنها يخلق جديد يمكن معه ذلك وكالحوار الذي أخبرنا الله أنه يقع بين أهل الجنة والنار : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا نعم . (الأعراف : ٤٤)

وكما نادى أصحاب الأعراف أهل الجنة من مواقعهم في وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم . ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم . (١) - كما يتدون أصحاب النار كذلك في ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفهم بسيماهم قالوا : ما ألقى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . (٢) وكما نادى أصحاب النار أصحاب الجنة في ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن فوضوا علينا من قلاء نوامى رؤسكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين .

وأما قوله : كيف لا يدرك كل أن الآخر يجد شيئاً (٣) من العذاب وعرمه في جهنم ؟

الجواب : أن كلاً يشغله عذابه ، كما حدث في مصبرات النارى والمصهبة والسجن الحرق في التحديق مع بعض الأرواح يجمعهم اتهام واحد .. فلا يدري الأسير بم يعامل زميله ، وقد يحسن إلى زميله في الظاهر ليشد به الأسي ، بينما زميله يلقي المويلات بعيداً عنه .. وربما لا يدري به إلا عندما يريد المحقق أن يولجه أحدهما بالآخر .

وقد يكون لوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جِزْءٍ ﴾ وعيدا من الله أن يضاعف هذا مستظلاً ، وليس إعتباراً عن الماضي والحاضر ، أو غيراً عن الخيال لهم ، وكأنه قال قد جعلنا لكل حسفاً ولكن لا تعلمون ما قردناه .

وقد سقط الكاتب في إنكار الخروج من النار بزعمه أن الخلود أبدي ، بينما صح عن النبي ﷺ أن العصاة يدخلون جهنم ما شاء الله لهم ، على قدر مصيبتهم ، ثم يخرجهم منها بعد أن نالوا جزاءهم ويدخلون الجنة . وفي الحديث : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان . قال أبو سعيد : قرن شك ظيئراً : إن الله لا يظلم مثقال ذرة . (٤)

(١) الأعراف : ٤٦ - ٥٠ .

(٢) الصف : التشديد من العقاب .

(٣) رواه الترمذي في صفة جهنم وقال حديث حسن صحيح . وروى عن أنس عن النبي ﷺ يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرى يوم أو خلق في مقام . قال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

● مالا عين رأت :

ولا تاتي بين أن يكون في الجنة والنار ما ذكر صريحاً في القرآن والسنة وما لم يذكر مالا عين رأت ، فليس حتماً أن يكون كل ما في الآخرة مما لا يدرك ، ثم إننا لو أجزأنا أن يحمل كل لفظ صريح على التأويل دون قرينة تدل على امتناع إرادة المعنى الأصلي للفظ ، لاستحال أن يفهم عن الله أو عن الناس شيء ، إذ لكل قائل أن يقول : أنا فهمت أنك تقصد بكلامك شيئاً آخر غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ ، فيخل العمران والتفكير والتدبر في الحياة ، كما أن في إنكارنا ظاهر اللفظ ادعاء عملياً على أن الله عاجز عن أن يبين لنا مراده ... والبلع النصيح لا يعجز عن بيان المراد .

٢ - الذي يخوف الله به عباده :

في مطلع هذا الفصل : ذكرنا استشهاد الكاتب بقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ هُلْكٌ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ يُخِمْ هُلْكُ ، ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ (الزمر : ١٦) وقوله ذلك اسم إشارة راجع إلى لفظ الجملة لا إلى معناها .. أو أنه سبحانه يريد التخويف فقط لأنه الظهور الرحيم ..

والجواب أن اسم الإشارة راجع إلى حقيقة المعنى .. وأن الله يخوف بذلك عباده المؤمنين ليتقوا عذاب النار فيقبلوا مستقيمين على الطاعات . فهو تخويف للمستقيمين من عباد الله كما قال سبحانه : ﴿ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ، يَا حَيُّ فَاتَّقُونِ ﴾ (الزمر : ١٦) .

والتخويف يكون بالأمر الذي يدخل تحت سلطان الفاعل وقدرته .. بالأمر الذي له وجود مطروح .. فأتت يمكن أن تخوف آخر بالضرب أو بالسجن أو الموت ، ولكن لا تخوف بمجهول غير موجود كالاتلاصم ، مثلاً تخوف بما له تصور ولو ذهنياً كأم القول .. أما مالا صورة له ولا وجود ولو في الذهن .. لهذا مالا يكون .. ومن ثم فإن ما عوف الله به عباده يجب أن يكون له وجود وما تصوره عباد الله المتقون .

هذا إلى أنه من صفات الذم أن يقول للمرء شيئاً لا يفذه ويهدد بما لا يقع ، وقد قال سبحانه : ﴿ لَمْ تَقُولُوا مَالاً تَفْعَلُونَ - كَبِيرٌ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاً تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢ - ٣) .

وحال أن يلزم الله شيئاً ثم يفذه : عدا ما اختص به نفسه كالكبرياء وطلب الحمد

والثناء . فالإقرار له سبحانه بها له منزلة خاصة هي تنزيهه عن المشابهة لخلقها ، وصنهر
من عداها في وحدة العبودية لوحدانية المعبود ، بينما هما في البشر سبب للفرقة وشنح
القلوب بالأحقاد ، قصصة الكبرياء وطلب الحمد وطلب الثناء .

بما أنه من الإثم أن نقصم الله بعبادته المعبودين وهو فينا ، جلي جلال الله وتوارة
عن كل نقص .

ثم إن مقتضى الإيمان بالحشر أن يكون للحشر والجزاء مكان ، وللمكان صفة ، وهذه الصفة هي التي ذكرها القرآن ثم ﴿ مِنْ قَوْلِهِمْ هَٰؤُلَاءِ مِنْ أَشْيَارِنَا ﴾ .

في الحساب

قال تعالى : ﴿لَمَّا مَكَانَكُمْ ، كَفَىٰ بِشَيْءِ الْيَوْمِ عَلَيْكُمْ حَيًّا﴾ ..

وقال الكاتب ..

حتى العذاب هنا يبدو أنه حجاب النفس للنفس ، تعالى ذو الجلال أن يحاسب
أمتان . ولن يعذب أمتان ، إنما قد لزم كل واحد عمله كظلمه ، ولا خلاص .. لما لم
أن الله رحيم حتى من لم يبلبه العذاب في الآخرة فإنه يرحمه بعدم إعادته إليها . وقال
سبحانه في علة هذا ﴿ وَكَوْرُدُّوْا لِعَذَابِنَا لِمَا كُفَرْتُمْ بِهِ ﴾ . والألفاظ
الرهيبة التي وصف الله بها القيامة كالقارعة والصاعقة .. لتولط القائلين ^(١) .

التحليل المبدئي :

إنكار حساب الله للناس خطأ ، أفحش منه الجهل بمدلول الآية : فإنها ذكرت أن لكل امرئ يوم القيامة كتاباً فيه أعماله ، وبسبب هذا الكتاب الذى هو بمثابة الإعلان الوجود له بالنعم لينكر ما ينكر ويعترف بما يعترف ، وحين تكون النعم حقائق ثابتة تسمى على الإنكار يقال للنعم : إنها نعم تُدِينُكَ ولا تستطيع إنكارها .. لهذا المقال تركب كلمة الحساب .. ومهابة وجديته ، وليس تخلياً عنه وتركاً للأمر لوضي ، واسمع سياق الآية تدلّك على هذا المعنى .

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ . اَلْقُرْآنُ كِتَابُكَ : كَتَبَ بِطَبْعِكَ الْقُرْآنَ
عَلَيْكَ حَيًّا . ثُمَّ اِنْ كَلِمَةً (وَنُخْرِجُ لَهُ) تدل على اَن الحساب ليس ذاتيا ، وانما
آتٍ من الخارج : اى من لاه سبحانه وتعالى ، ويؤكد اَن الله هو المحاسب قوله تعالى
﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (المائدة : ٣) ﴿ لِّلّٰهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (النساء : ٦٤) ﴿ اِنَّ رَيْكَ يَقْبِضُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِئْمًا
كَانُوا فِيْهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس : ٩٣) .

وقال النبي ﷺ : إنكم تُحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً^(١) ، وفهمت عائشة بفصاحتها العربية الأصيلة أن هذا الحشر للحساب والعرض على الله أمر واقع كما يدل عليه ظاهر اللفظ ، فمجيبت كيف يقع هذا وتنكشف العورات التي أمر الله بسترها .. وكان جواب النبي أن شدة الحول تصرف الناس عن أن يذكر ذلك أو يلتفتوا إليه .. وهذا حديث صحيح صريح لا يحتمل التأويل : ﴿ وَمَا كُنَّا كُفْرًا فَهَظُّوا ﴾ وما نهَّاكم عنه فأنهوا^(٢) (الحشر : ٧) .

وقد ذكر الله عز وجل جدال المرء عن نفسه في الحساب بين يدي الله . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ لِحَاجَتِهَا ﴾ (النحل : ١١١) .

ولقد ذكر الله الحشر من أجل الحساب صريحاً وصورة الاعتراف في موقع الحساب ، واستنكار المذنب شهادة أعضائه عليه بعد الفراغ من الحساب وإدائه وقضه في النار قالوا : ﴿ يَوْمَ يُخْفَرُ أَهْلُهُ ﴾ إلى النار فهُمْ يُؤْذَرُونَ . حتى إذا ما جاكوا فهدى عليهم سمعهم وأبصارهم رجسؤهم يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَلَقَدْ أَتَوْا لِجَنُودِهِمْ : لِمَ هُنَا نَحْنُ عَلَيْهِمْ ؟ لَأَتُوا : أَلَعَلَّنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون^(٣) (نصرت : ١٩ : ٢١) .

والجبرس الرهب لأسماء القيامة : مع إقاداته إيقاف التفاضل - فإنه لا دلائل حل صفة من صفات يوم القيامة وأحوالها ، ومحال أن يكون له لفظ خالو من معنى ، أو مجرد عن الحقيقة .

ثم إذا كان الحساب ذاتياً - أي من المرء لنفسه - فليم أعلن الله عن حشد الخلق للحساب ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْزُومٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ وما نُوعِرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ هَهُودٍ^(٤) (هود : ١٠٣ : ١٠٤) ﴿ يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ ﴾ (الإسراء : ٧١) - ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾ فينبئهم بما عملوا ، انحصار الله ونسوة^(٥) (المجادلة : ٦) ﴿ وَاسْتَجِبْ يَوْمَ تَدْعِي الْمُتَكَاةَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق : ٤١) -

(١) غرلاً : تعود إليكم القافلة التي أزيلت عن الحشمة (رأس القصب) عند الختان . وقد رواه البهظري (الأنبياء : ٨-١٨) - تفسير سورة : ١٤ : ٥ - وأخرجه مسلم (النجاة : ٥٦-٥٩) (الترغيب : ٣٠) - تفسير سورة : ٨-٢ - والشمس (جنازة : ١١٩-١٢٠) وابن ماجه - الزهد : ٣٣ - والهمزي : رفاق : ٨ و ٨٢ وأحمد ط : ٢٢٠ - ٢٢٣ - ٢٢٩ - ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٣٩ و ٢٤٠ : ٥٣ : ٩٠ .

﴿ يَوْمَ يَتَخَبَّحُ فِي الصُّورِ فَتُؤْتَى الْأَرْجَاءُ ﴾ (النبا : ١٨) - فلم هذه الحشود ؟ والله يقول : ﴿ وَتَشْفُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ مَلَأْتُمُوهُ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٢٢٣) ويقول : ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ ﴾ (القيامة : ٣٠) - ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ (الواقعة : ٤٩-٥٠) ﴿ بَلْ لَسَاعَةً مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَهْوَى وَأَمَرٌ ﴾ (القمر : ٤٦) .

● الفيزي العلمي في الآية :

إن في قوله تعالى : ﴿ كَفَى بِتَفْسِيفِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (الإسراء : ١٤) مغزى عظيماً كبيراً ، فكيف يتذكر الإنسان بعد آلاف السنين الأحداث المدونة في كتابه ، والقرآن يؤكد أن بالإنسان ما يذكره كل ما حدث ؟

لقد أجرى فيليكس أشرد^(١) في معهد التكنولوجيا بكاليفورنيا تجربة حل جزء من حصب فوقية أثبتت أن الأعصاب من الأجسام لا تملك وأنها مهما قطعت برباً - تحفظ بالطومات التي تمر بها وتذكرها بعد فناء بأى أجهزة الجسم الدموية والمخسية والنسية . وليس هذا بغير ، فإن بعض حبات من الفصح مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت مع قدماء المصريين حين زرعت تحت ، لأن المنصر الجيزي بها لم يم . ولذا فإن الجهاز العصبي بالبر والبحر أو الجو يظل له قدرته الواحة كاملة ، وإن كنا لا نعلم أن هذه الأعصاب لا تفنى مطلقاً ، إذ ﴿ كل من عليها فان ﴾ ولو بعد آلاف السنين ، عندما يتلخ في الصور .

ولذا فإن سؤال القبر لا يحتاج إحياء الجسم الميت ، ولا عودة الروح إليه في صورة حودنها قلنا بل يكفي بانصاف ضعيف للروح بقدر ما يتيسر سؤال القبر ، لاختلاها المعصية فافرة على التذكر ، وعلى التوافق المطلوب للمواقف المتغيرة . وهذا هو التفسير العلمي الذي يقترب بنا إلى تصديق الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه نادى للكفار الذين دفنهم المسلمون يوم بدر : قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ رواه مسلم عن أنس^(٢) . فليل يا رسول الله أنخطب جيقاً ؟ فقال : ما أتم بأسمع لي منهم ، فإذا أمكن فيليكس أشرد بأجهزة العلم تحريك الخلابا

(١) إحياء علوم الدين ط ٤ ص ٣٠٤ ط المطبي .

التيلة بأخبارها الماضية فإن هذا يجعل الحساب والقياس والثبات من الأمور الممكنة علمياً ولا يتكر إيمانها إلا بجهول. كما أثبت العلم أن جسم الإنسان يقوم بتوليد القوة اللازمة لنقل الأفكار عبر آلاف الأميال عن غير طريق الحواس.

وفي ندوة عقدها العلماء الأمريكيون والسوفييت في لوس أنجلوس (يونيو ١٩٦٩)، حول الإدراك خارج الحواس قال العالم السوفيتي « كوجان بمحمد يريف للاتصالات الألكترونية في موسكو. في بحث نل في الندوة: (إن الحسابات القائمة على التجارب تشير إلى أن جسم الإنسان يؤكد أربعة أو خمسة أمثال التيار الكهربائي الذي يخطئ أنه ضروري للتخاطب أي نقل الأفكار من شخص إلى آخر عبر مسافات طويلة). ومحدث عن تجارب أجريت على آسمين علموا كأجهزة إرسال. وآخرين كأجهزة استقبال، ونهذلت الأفكار على بعد وصل مسافة تقرب من ثلاثمائة آلاف كيلو متر.

فاستقبال فكر الآخرين في لحظة زمنية عبر آلاف الأميال كممر وسارية كان يظن أنها من غرائب فعل الروح حتى كشف العلم في هذه الأبحاث أنها تتم عن طريق كهرباء معينة موجودة في الجسم المادي للإنسان. ولكن كشف الإنسان لنفسه اليوم بقرعة عظيمة إيمان عبر مظنة الحقيقة التي يمكن أن تستبطنها الآن، من عرف به فقد عرف نفسه.

بدون أجهزة العلم الحديث اكتشف الأولون بجهاز الإيمان هذه الحقيقة، بل علمهم الله إياها عند الحاجة أثبت لنا من البيان الذي قال الله عنه ﴿ حَقَّقَ الْإِنْسَانُ عَالَمَهُ الْقَبْرَ ﴾ (الرحمن: ٢١: ٣)، فلا الحكمة في هذه الكهرباء؟

إنها في الحياة الدنيا ذات علاقة مباشرة مع الجهاز العصبي وخلاياه.. إذ أثبت العلم أن الخلايا العصبية تنقل فيها الطاقة الكهربائية باستمرار لتبني الإحساس أي إحساس بالألم أو السعادة أو الحركة.. وكل الجهاز العصبي مترابط بشبكة كهربائية. وقد أثبت العلم الحديث أن هذه الكهرباء خارج الجسم أيضاً. ويمكن استخدامها دون أن يفقد اتصالها بالخلايا العصبية^(١).

(١) يوم القيامة: ص ٨٠ - ٨٢.

إن استخدام هذه الكهرباء خارج الجسم بصفة دائمة أو منتظمة ومستمرة، قد يأتي يوماً ما، وقد يشير إلى أن هذه الكهرباء الموجودة في الخلايا العصبية قد انتقلت بأحاسيس وأفكار صاحبها إلى إحساس وفكر آخر، أي إنها اتصلت بالخلايا العصبية في الشخص الآخر وسرت فيه، والوسيط بين الخلايا العصبية في المرسل والمستقبل هو الروح تنقل روح المرسل الفكر من الأعصاب إلى روح المستقبل، ثم من روح المستقبل تلقى أعصابه تلك الأفكار الزائدة من الجسم المرسل..

وبما يوضح لنا أن الحوار الذي يقع في النار ولم يتصوره الكاتب - بقرع العلم إمكاناته، فبالخلايا العصبية بأفكارها وكهربائها متصلة بالكهرباء الخارجية للجسم أي كان هذا الجسم. وفي أي وضع كان، والتيار الكهربائي العصبي والذي يكون خارج الجسم يتربحان هذه الأفكار، فتحفظها الروح إلى روح الشخص الآخر، حيث للتعلم بالكهرباء العصبية والخارجية، لذلك الشخص المرسل إليه، ويترجم إجابته التي تذهب لمخاطبة الأول بنفس الطريق، ولا ينبغي تحريك اللسان بالذهابات الصوتية، فالفهم هو الوصول إلى الغاية من هذه الذبذبات التي نسميها كلاماً، ولديها قبل:

إن الكلام في الفؤاد، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً وكما قال شوقي:

وتعطلت لغة الكلام وشاعرت
عيشاً في لغة الهوى حينذاك
وليس الحوار وفناً على جوارحة اللسان واللسانين، فإن هناك اللغة التي تسمى (التنزيولوجي).. أي التحدث من البطن..

ولفظ التنزيولوجي مركب من منطمين أولها: بمعنى البطن والآخر بمعنى الكلام، وهو من يستطيع الجيدون له أن يحدثوا أصواتاً ويتكلمون بدون أن يحركوا شفاههم ولا عضلات وجوههم، وفي صورة يحيل بها إلى المنسج أن الأصوات تصدر من البطن، لا من أعضاء اللسان، وأنها تنبعث من شخص آخر، لا من المتكلم.

ويحاول هذا الفن بقصد فريضة وتربية المهارة عدد كبير من الموا، كما يزاولة بغية التثجيل بعض المشوفين ليوهوا السذج أنهم متلبسون بالجن الذين عن طريقهم يستطيعون الوصول إلى الغرائب والمجائب وقد ذكر د. علي عبد الواحد وآخرون أن

العلامة « جوتمان » كان يتدرب على هذا الفن فأدعته أن ابنه الصغير الذي لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره قد سبقه كثيراً في هذا المضمار ، مجرد مشاهدته لحركات يديه وهو يتمرن على هذا الفن ، وسماحه الأصوات ، ويثبوت أن يقصد أيوه مشاركته له في هذا المران .. وذلك طبقاً لقانون محاكاة الأطفال - في المرحلة من أواخر السنة الأولى إلى أوائل السابعة - للغير . في الأصوات بمختلف أنواعها ، وما أتبع عن المرة الباكستانية عام ١٩٧٠ أنه جمع في بطنها جنين بقرأ القرآن الكريم ويتكلم ، إنما يقصر بذلك وليس حديث جين .

وبعد ما كتبناه لاستاذنا ظهر أن المرأة كانت تخفي في نفسها جهاز ترازوستور ، فما يسمعه الناس هو من الإذاعة ، وقد عوقبت في بلدنا قديماً . كما أن الحوار ليس وفقاً على اللغة الصورية .. فهناك الحوار بعلامات مودس وهو مفهوم ، وهناك الحوار تحت البحر باهترافات معينة بحال تربط بها الفضاوح البشرية .. وهكذا ..

هذا هو تصوير العلم لإمكان أن يحاسب المرء نفسه في الآخرة ، وأن يكون هناك تفكير وحوار وثراد لأفكار بين أجسام قد تكون محركة ، لأن مناط الفهم والفكر هو التيار الكهربائي في الخلايا العصبية وما تنضجه على الجسم متصلاً بها في كل جسم فيه روح ، وبهذا لا غرابة فيما روى من أن الجماء تقصر من القرناء يوم القيامة ^(١) والجماء (الحيوان الذي لا قرون له) من القرناء ، ذات القرون . ولا غرابة أيضاً في أن نسمع أن أعضاء الجسم ستبقى بما تعلم .

﴿ وَقَالُوا لِمَ أَجْلُدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْهِمْ قَالُوا : أَنْظَرْنَا إِلَيْهِ قُلْنَا كُلُّكُمْ فِيهِ ﴾ (فصلت : ٢١) فحديث الجلود قائم كما قال الله . ربما بما فيها من أعضاب تتذكر وتتوافق مع ما يرد عليها من استجواب .. ونقول : « وبما كان بهذا التصوير العلمي » لأنها أمر غيبي ، وحقيقته الغيبية لا يعلمها إلا الله ، وإذا كان الله قد أمّد اللسان في

الدنيا بالقدرة على البيان عما تلقته أعصابه من المجموع العصبي ، فإنه من الممكن في الآخرة - حين تكون الروح أكثر شفافية ، والجسم أكثر سيطرة على نفسه وأضعف ونقوى - أن يستخر ذلك الجسم ، مع هاتيك الروح أي جزء منه لإحداث أصوات لقوة سيّرة .

ومن الخطأ أن تقيس وسائل التعبير عن إنسان في الآخرة - وهو بتكوينه الجديد في صورته الجديدة يوم القيامة - بالإنسان الذي في هذه الدنيا ، ففرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة هذا .. إنه خطأ متعلق إلى جانب الخطأ العلمي . ولا يقال : إن هذا التذكر هو الحساب ، لأننا نقول : إنه لا بد من مذكر أو مثير لهذه الذكريات والأفكار والإجابات .. كما قال الله تعالى ..

ولعل القارئ مشتوق إلى معرفة كيف كشف العلم الحديث بقاء الأعصاب تحتفظ بالمعلومات وتقاوم على التصرف طبقاً للمثير .

ذكر الأستاذ عبد الرزاق نوفل هذه التجربة التي أجراها (فيلكس أشفرو) فقال : بدأ العالم تجاربه على ذاكرة قواقع . وهل للقواقع ذاكرة ؟ اصطاد الرجل عدداً من القواقع ، ووضعها في حوض به ماء بحر ، وأضطرها مصباحاً كهربائياً ليبرها الحوض ، ولزاد أن يطمعها شيئاً ممبياً في عليها الهدائي ، مع لا يخرج من كونه عقدة عصبية صلبة ، كان يضطرها الطعام في الثامنة صباح كل يوم ، ثم يقضى المصباح ، ويعود في الثامنة من صباح اليوم التالي ليضئ المصباح ويضع الطعام .

كانت القواقع - في بداية الأمر - لا تعرف معنى إضاءة المصباح ، ولكن بالتكرار والصبر والظيرة طمعت أن إضاءة المصباح معناها أن الطعام قد حضر ، وعرفت الرجل ذلك بالملاحظة .

فكلاً أضاء المصباح حدثت حركة غير عادية في الحوض ، وتبدأ القواقع في البحث عن طعامها في الحال .. لقد تعلمت القواقع إذن ووعت هذه الأحداث ، في ذاكرتها ، هذا ظاهراً .. فإذا في باطنها ؟

أخذ العالم قواقعاً وحطه وأخرج منه ، أعنى تلك العقدة العصبية الصغيرة والخصص خلاياها ، وأخذ خلية عصبية واحدة قطرها نصف مليمتر وأوصلها بسلتين زئبقين كالشجرة ، وأوصل السلكتين بجهاز أليكتروني ليسجل ، فإذا سجل ؟ سجل ذكريات التوقع الذي تحطم وراح في حوض المهملات .. سجل ذكريات خلية واحدة !

(١) عند الإمام أحمد بن حنبل (زيادة ابن جده الله) ح ١٠٠٠ رقم ٥٢٠ وهو في الطبائع الكبر للبولي ح ٢ رقم ٢٠٢ - ط جميع البحوث الإسلامية - وفي الخاتمة من ١٩٧٢ قال الشيخ أحمد شاكر إسناده ضعيف ، وذكره الميثقي في الزوائد ح ١٠ ص ٣٥٢ في كتاب الفيت - الخصائص - وقال رواه الطبراني في الكبير ، واليزار وعبد الله بن أحمد ، وفيه المصباح بن نصر - وقد وقع على صفحه - وفيه رجال اليزار في هذا الحديث من رجال الصحيح غير «الروام بن مزاحم» وهو ثقة ..

لقد كانت دهشته بالغة في الوقت الذي كان يفسر فيه الصباح ويضع الطعام رأي في الثامنة من صباح كل يوم - كان السجيل يرتفع إلى أربعين نبضة أو إشارة كل دقيقة ، وتستمر النبضات في قفها ثلاث ساعات ثم تهبط تدريجياً إلى عدد قليل عن القشرة في الحقيقة الواحدة ، ثم تعود الخلية إلى إرسال نبضات مرتفعة مرة أخرى في صباح اليوم التالي وهكذا .

لقد كانت العقدة العصبية في حياة القوقع بمثابة الجهاز الواعي الذي ينظم لها حياتها تماماً كالخنازير الذي في رؤوسنا ، فلزالت تذكر الأحداث وتحفظ المعلومات التي تلقاها .. وتكرر الرجل تجربته .. وتكررت نفس النتيجة ..

لقد كانت إشارات الخلية العصبية لا تتوافق فقط مع صباح أو مساء ، ولا مع حيب أو طعام ، بل تتوافق مع ما كان يجري بعيداً ..

ذهب الرجل إلى الشاطئ بعد ١٤ يوماً فوجد المياه ترتفع بسبب ظاهرة المد .. ولاحظ في نفس الوقت أن الخلية الهيمية المعزولة كانت تخترق في ذاكرتها البدائية هذا الوضع ، وكأنها كانت ترسل هذه الإشارات ظناً منها أن قوتها المظم لا يزال معها ، فلتعطيه إنذاراً ليحذف على الصلحور حتى لا تنمره المياه .

يحدث هذا رغم بعدها عن البحر ، أما خلايا الإنسان العصبية فهي أكثر ذكاء ، وقد أثبت العلم أنها تظل تعمل ولحس وتستجيب حتى بعد موت صاحبها .. وقد سماها العلماء ، الخلايا النيلية أو الخلايا الحية .. وهي تختلف عن كل خلايا الجسم (١) . أكتب هذا لأرد إلى ساحة المؤمنين بدار الجزاء قوماً لا يؤمنون إلا بالخلق المسمى والتجريب ، وإن كنت أنا شخصياً لا أعتبر صحيحاً تفسير الأستاذ عبد الرزاق نوفل للآية الكرسي ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ بالكشف المسمى فبدلاً من ذلك وزيده موارده فإن بقاء بعض الخلايا حية لا يعني إمكان إعادة العلم والحياة إلى الميت ، ولا يعني أن الميت لا يعني إعادة الروح للإنسان يوم البعث بل البعث هو إخراج الوقي من أجسادهم بعودة الروح إلى أجسادهم .

(١) يوم القيامة من ٧٠ - ٧٢ ط الشعب .

حديث الدر

قال الكاتب :

قبل ميلادنا : كانت لنا ثمة حياة كأرواح ، وفي ذلك تقول الآية القرآنية البديعة ﴿ وَشَهِدْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ . قَالُوا : بَلَىٰ : شَهِدْنَا ﴾ (الأعراف : ١٧٢) ، فالآية تروي ما كان في الغيب قبل الخلق الدنيوي ، وكل الخلاق مما خلق الله ويخلق وسيخلق : مثل الدر في كفه ينظر إليهم ويشهدهم على أنفسهم : ﴿ أَلَسْتُمْ بِرَبِّكُمْ ﴾ . فيقولون : ﴿ بلى شهدنا ﴾ .. وهو بهذا يأخذ عليهم ميثاقاً غليظاً ، لأنه يعلم أنه بعد الموت في الأرحام ، وانسدال حجاب اللحم الكثيف ، وتزول بشاوة الحواس والشهوات والفراغ والأهواء أنهم سوف ينسون تماماً ، وسوف يتخبطون في نكران ونكر وجهات (١) .

لهذه الدعوى :

وما قاله الكاتب غلله بعض غير المعلقين من أهل العلم ، غير أنه زاد في الجملة عبارة (في كفه ينظر إليهم) وهي تدل على عيال غير موفين ، لأن مسائل العقيدة تؤخذ بالنس ولا يحمل الزيادة فيها . لني أي نص جاء هذا . هذا فضلاً عن أن الحديث المروي بهذه القصة غير صحيح .

● إشكال على الكاتب :

١ - قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَفَّمْ فِي هَذِهِ النُّجَا لَعْنَةً . رَؤُومَ الْقِيَامَةِ هُمْ ﴾ (التيسير : ٤٢) .

وإذا كانت لعنة الله هي طرد الملعون من رحمة الله التي تتمثل في الماديات والمعنويات . فإن ما يكون يوم القيامة وهو التصحيح والإيلاء النفس يكون مظهراً للعنة .. فما يصح به المراهق أن يرى في وضع مزور وليس ممكناً إلا بطلان له صورة مادية ووضع مادي ظاهري يرى فيستفتح .

٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ٥٦) .

ولا فائدة من ذكر تجديد الجلد إلا التخصيص على أن العذاب حتى ومادى : لأن الجلد هو الذى يحمل أعصاب الحس ، فهو بمثابة موطن لعدد كبير من الأعضاء المستقلة الصغيرة .. التى يسجل كل منها - على حسب طبيعته الخاصة - تغيرات العالم الخارجى .. وإن حسيات اللمس المنتشرة على كل سطحه تستجيب للضغط والألم والقيظ والبرد ، كما أن الجهاز العصبى المركزى الذى يشمل المخ والخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكى يستقبل الأعصاب الحسية التى تصل إليه من سطح الجسم .. أى من جلده كما قال (د . الكسيس كاريل) فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » .

إن الله لو لم يرد التخصيص على أن العذاب حتى ومادى لما ذكر هنا التخصيص بهذه الصورة العلمية التى لا يدركها البدوى .. بل هى من تحقيقات العلم الحديث .

٣- ذكر الله سجلات أعمال العباد وكتابتها فقال : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَكِيبٌ عِدَّةٌ ﴾ (ف : ١٨) ، وقال : ﴿ يَوْمَ نَحْصِلُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ غَيْرٍ مَحْضَرًا ، وَمَا كُنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ لَاقُونَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَّا مَثَلًا بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٍ ﴾ (آل عمران : ٢٠) ، وقال : ﴿ وَلَوْ كُنَّ أُمَّةً جَانِبَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ لَدَعَا إِلَى كُفْرٍ أَوْ إِلَى تَقْوٍ ، لَعَزَّزْنَا مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنُصِحُ مَا نُفَعِلُونَ ﴾ (الجاثية : ٢٨ : ٢٩) .

ولان تعالى : ﴿ مَا كُنَّا مِنْ أَوَّلَى كِتَابَةٍ بِيَمِينِهِ * فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ نَارُؤُنَا كِتَابَةٌ ﴾ (الحاقة : ١٩ : ٢٠) ثم قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوَّلَى كِتَابَةٍ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ : يَا بَنِيَّ أَمْ لَمْ يَكُنْ كِتَابَةٌ * وَلَمْ أَقْرِ مَا حِسَابِي ﴾ (الحاقة : ٢٥ : ٢٧) .

ولو كان الحساب ذاتياً ، هو استمرار الماضى لمعرفة أسباب ضحك الحياة التى يستمره العصاة فى الآخرة ، لما كان ثمة داع إلى ملائكة يكتبون أقوال الرء ويسجلون أعماله ، ثم لما نشرت هذه الكتب ، وسُلمت لأهلها شهادات تقدير للصلح ، وإعلات من الاتهامات السوداء للمخطئين العاصين . ثم لما ذكر الله أنه أنقى أصوات الناس وأعمالهم مدسرة تُنقل صورها كما تنقل الصورة التلفزيونية ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنُصِحُ مَا نُفَعِلُونَ ﴾

تفعلون .. ﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ ﴾ وقد أثبت العلم أن هذا من باب الحقيقة الثبوتية المعلومة والمثبتة فعلاً ، فكلام كل إنسان مدسرة فى الجوا لا يتلاشى ولا يختلط بغيره ، ولكل إنسان بصمة خاصة فى أصبعه تميزه عن ملايين الناس ، وبصمة صوتية تميز صوته كذلك فلا تتلاشى مع غيره . وقد اخترع جهاز لتسجيل بصمات الصوت فى منتصف يونيو عام ١٩٩٩ (١) .

لذا نستطيع عزل أصوات المتكلمين عن بعضها بحيث يمكن أن نتلقى بالذبايع صوتاً مختلطاً بلبظيات ملايين المتحدثين .

وهكذا نسجل أعمال الناس فنراها على الشاشة المرئية ، ولا يقال إننا فى التسجيل البينائى نلتقط من شىء موجود ، فإنه الآن يمكن تصوير أى اجتماع بعد انصراف المتحدثين ، فقد التقطت صورة لتجميع عدد من السيارات بأمرىكا ثم اجتمعت وعلا المكان تماماً منها ، ثم التقطت صورة أخرى بطريقة معينة فكانت هى إياها ، وأصبح بين وسائل كشف الجرائم والأحداث الخطيرة استعمال جهاز خاص بتصوير الأحداث فى أماكنها بعد وقوعها ، فآلة باقية على الزمان حتى نلقاها ونلقاها يوم القيامة ، ومصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآلَهُمْ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فى إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (يس : ١٢) .

وإحصاء كل شىء فى الوجود أمر قائم كما قال الله سبحانه ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ (الباء : ٢٩) - ﴿ وَغَنَيْنَا مَنَاجِيعَ الْغُيُوبِ لَا يَتْلُمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَنَعْلَمُ مَا عَلَى الْهَرِّ وَكَيْفَ وَمَا نَكْتُمُ مِنْ دُونِهَا يَتْلُمُهَا إِلَّا حَيْثُ لَمْ يَلْمَسْهُ الْأَرْضُ وَلَا رَطْبٌ وَلَا فَايَسَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام : ٥٩) .

إن البشرية الآن وصلت فى الإحصاء إلى رقم « الجرجول » وهو واحد على مائة ١٠٠ صفر ، وإلى رقم « الجرجول بكسات » وهو واحد وأمامه جرجول من الأصغار أى جرجول أس عشرة بلنة الرياضيين .

وقد أحصيت أوراق الشجر فى الولايات المتحدة فوجدت ورقة [بليون البليون : واحد وأمامه ١٨ صفراً] .

وقد حسب ذرات الأكسجين فى حجرة ، وكمية النقود الألمانية بالماركات فى ألمانيا

(١) هو جهاز اليكترونى يحول الموجات الصوتية إلى صورة لها ثلاث أبعاد : طول وعرض وعمق .

في أقصى درجات الانبهار الاقتصادي ، فوجد أن كلاً منها واحد وعن يمينه ثلاثون صغراً فقط .. وقيل إن عدد الكلمات التي تكلمها الناس منذ آدم وحتى اليوم لم تصل إلى مليون كلمة .

وإذا كانت قدرتنا العلمية وصلت إلى هذا ، وإلى حساب عدد الإلكترونات الموجودة في المجموعة الشمسية بواسطة نظرية « أينشتاين » ألا يتضح لنا أن عملية الحساب بالنسبة له سبحانه أمر علمي ميسور .

فكيف وهو خالقنا ورازقنا بهذه الصورة ، فأعطى كل شيء خلقه ، ومنحه رزقه ، وهو يضمن بلايين الخلق . ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (تلك : ١١) .. بلى إنه عليم ..

● ليرة الكاتب :

في مجلة الحلال العدد الصادر في ديسمبر ١٩٧٠ سألت سائل الكاتب عن رأيه الذي سبق أن نشره عن الجنة والنار وقال : ألا تعتقد ياسيد مصطفي أن تفسيركم لـ « الجنة » من أنهار العسل واللبن يختلف الطيات بأنها مجرد رموز يمثل خدمة ، وخاصة بالنسبة للفقراء الذين يعيشون على أمل التمتع في الجنة .. لعرضاً عن الحرمان الذي وجدوه في الدنيا .. إن كانوا صالحين ؟ فكان جوابه : أنا لم أذكر اللذة الحسية والمتعة الحسية في الآخرة ، وإنما قلت : إن هذه اللذة الحسية لا أحد يعرفها تفصيلاً .. وليس العسل الهنكي عنه في القرآن هو العسل الذي نعرفه ، ولا اللبن هو اللبن ، ولا النساء من النساء ، وإنما هي درجات من اللذة ، هي بالنسبة إلينا غيب ، ومهما يكن ، فالقرآن لم ينزل لإشباع أطماع الفقراء .. وإنما نزل يقدم لنا منتهى العلم ..

ولما كانت شياث الكاتب التي رجع عنها لأثران في أذهان غيره ممن لم يظفروا مثله بمراجع ، أو يملؤ رأى وتخصص يرجع إليهم ، فإننا قد آثرنا استيفاء المناقشة .. لأنها لم تكتب تنجيلاً لآثام شخص ، وإنما كتبت لتعليم والهداية ، وإلى كافة الذين يشبهون نحو الدراسات الإسلامية من الشباب ومن للتقاعدين بعد الإحالة إلى التقاعد ليس لهم ملوى إلا المناقشات العلمية والجدل ..

الفصل الثامن

الحلال والحرام

- مدار التحريم والحلل .
- تناول الكاتب .
- ومن الناحية الموضوعية .
- النظرات المباحة .
- حكم مس الأجنية للشهوة .

الحلال والحرام.

• مقارن المحرم والحلال :

قال الكاتب : إن مقارن الحلال والحرام على القائفة والغرض ، فكل ما فيه ضرر محرم ، فالزنا حرام ، لأنه فوضي تختلط فيها الأنساب وتختص النفوس للزوات .. وحرم لحم الخنزير .. ونحن نعلم الآن أن حيوان الخنزير هو مستودع فيروس الأفلوئزا والدودة الشريطية وأنه أنقل أنواع البزوين وأشدها تعقيداً .

ولو ألقينا نظرة على الحيوانات آكلة الحشرات كالبزوال والجمل والأرنب والحمل والحسان والدجاج والحمام للاضطلاع أنها كلها رقيقة وديعة ، بينما الحيوانات آكلة اللحوم كالسباع والتمور والضباع والذئاب والثعالب ، ومثلها في الطيور النور والصفور ، كلها تشترك في صفات الفسوة والوحشية والفساوة ، ولا شك أن هناك علاقة بين الإصراف في اللحم كطعام ، ونشأة صفات خاصة في النفس مثل الحدة والصرامة والفسوة .. ولأن لحم الخنزير هو أكثر اللحوم ملوثة وأحفد البزوينات الحيوانية تركبياً ، فربما كان ضرره على آكله أبلغ من جميع اللحوم الأخرى ، والله يعلم ونحن لا نعلم .

• والله هو القائل لكل المحيط .. وهو لا يفتح سنة بلا سبب (١) .

تعقيب : -

وهذا القول يردنا إلى البحث الذي طرحه العلماء في القرن الثاني والثالث الهجريين واستمر مطروحاً حتى الآن ، وهو أن تكون الأحكام الشرعية مع الحكمة ؟ أم العلة ؟ أم يجب التزام النص ولا يصح الخروج منه إلى الاجتهاد والقياس وتلمس الجمل في الأحكام ونصوصها ؟

• الفرق : عبارة لفهم عيسى لفرق من ٨٤ - ٩٦ .

(١) الرجوع السابق من ٩١ : ٩٢ .

وستترك هذا البحث لمن يريده ، فليرجع إليه في كتب أصول الفقه ، ولكن الذي يمكن أن نتاوله هنا هو كلمة الكاتب « والله يعلم ونحن لا نعلم » ومعناها أننا يجب أن نلقي عقولنا - عندما يأتي النص - عن كل شيء ، إلا فهم النص والعمل بمقتضاه ولا نسمح لأنفسنا بالخروج عليه .

وهذا حق ، ولكنه يتناقض مع ما قاله الكاتب من أن غرض البصر في عهد النبي جيب والديكوتي والجابونيز والباروكات أمر حسب في مثل شارع سليمان باشا ، ولا ضرر فيه ، إلا أن تكون النظرات خيفة ، فتسقط العقل والقلب الشهوات ، وتفقد الإنسان هداه ، ويثني وجهه ، وينثنت ، ويأخذ سبله وراء ظهره ، وينسى المشوار الذي جاء من أجله^(١) .

وبالمثل حكاية الفنان الطويل الأكام والمقصير الأكام . لا يمكن أن تكون الفضيلة أمثارة في الفاش تريد وتنقص .. وقد ليس امرأة مستأنسا طويل الذيل والأكام ، ثم نحشى بطريقة من تريد أن تلحق مستأنسا في كل خطوة .. وأنا تكلمت سمعت بحة تسيل دموعا وبغراء .. فالعبرة بالقلب « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ » (الأحزاب : ٥) - وفي الحديث برواية مسلم « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

إن التعري لشهوة هو الذنب الذي يلوث القلب ، أما اختيار زى مجرم الخواصر مع حرف العصر فهو مما يلتزم ..

ومن الواضح أن الكم القصير لو أصبح تقليداً بينهم الجميع فسوف تنفي الإثارة لأنها سوف تصبح العادة المألوفة التي نتمناها الممن .. وبالمثل : لو أن الكم الطويل أصبح عرفاً عاماً بينهم الجميع فإن ذلك الكم لن يصبح دالاً على شيء ، وإنما سيصبح حكمة حكم الجلد الخارجي ، وخلق بين التعري للشمس والتعري للشهوة على البلاغ ، واختلاف القلب في الحالين يحدد مكانا بين الذنب والبراءة .. فالظاهرة من الشهوة يجعل ما تبقى من خلاف مع الشريعة في أحد حرفاتها ذنباً ، ولكن من حين الذنوب التي تختفي .

(١) القرآن محاولة لفهم عصرى للقرآن ص : ٨٦ .

إن هذا الكلام يتناقض مع قول الكاتب « والله يعلم ونحن لا نعلم » .. هذا من الناحية الشكلية .

ومن الناحية الموضوعية :

هذه دعوة سبق إليها أئمة الاستيعار من قبله ، بمن أرادوا هدم تقاليد الإسلام تقليداً إثر الآخر .. وكأنهم الصورة التطبيقية للحديث الشريف الذي رواه أبو أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ .

« ليتقن عرا الإسلام عروة عروة ، فكلما انقضت عروة ثبت الناس بالتي تليها وأولمن نفضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة »^(١) .

وبما ذلك :

(١) أن معظم النار من مستصغر الشرر .. فالنظرة الصغيرة تقود إلى النظرة التي تجر النفس بعدها ، نشد انشاء الناظر ، بل تشده نفسه حتى يضرب في الأرض على غير حدى ، متجهاً هذه الكاسية العارية .. وشوق شاعر مصر لا يجهل أديب مقالته .. نظرة فابتسامة فلام فكلام فومعد فللقاء فهي يريد الزنا كما يقولون .

ومن قواعد الفقه الإسلامي المخطوطة ، باب سد الذوائع ، وهي قاعدة منطقية من القواعد النظرية المقررة في منطق الحياة الاجتماعية ، يعرفها حتى العوام بقولون في أمثلهم « الباب الذي يأتيك منه الريح سده لتسترخ » .

فالفسر إذن من أي نظرة قائم وموجود ، إلا ما أباحه الشارع من نظرات وهي :

١ - النظر للزوجة والأمة المملوكة للناظر .
نظر الرجل إلى زوجته وأمه إن كان في مجتمع لا تزال فيه الإماء من سبابا الحرب وحجها ، أو ما كان من نسلهم ، فهي حلال كلها .

٢ - النظر للمحارم :

ونظرة الرجل إلى قوات محارمه من نكس أو رضاع أو مصاهرة جاز لها هذا ما بين

(١) رواه أحمد ص : ٢٥ .

السرة والركبة ، كأمه وأخته وعالاته وعلمته بغير شهوة ، فإن حرمة الشهوة وجب عليه غرض البصر رغم شدة القربى .

٣ - للخطبة :

والنظر لأجل النكاح ، ووضعية في الخطبة ، فينظر إلى الوجه والكفين كما قال الشافعية وإلى ما يدعو به إلى نكاحها من السابقين أو المتأخرين عند بعض الباحثين . والحق أن ما يدعو إلى النكاح هو الوجه الذي فيه بهجة ووسامة المرأة . واليدان اللتان يعرف منها مدى الرقى والطراوة .. مع ما يظهر من المرأة عقوا وبالرغم منها كالتقارص أو القدام أو المعصم .. ثم صوت المرأة وطريقة كلامها .. ثم ما وراء هذا يستكمل معرفته النساء من أهله كأمه وأخته ، فإذا رضى بها ونمت خطبتها لم يجوز له بعد ذلك أن يرى إلا وجهها وكفيها عند الضرورات التي أباح المشرع فيها ذلك كمنى امرأة أجنبية إذ علة جيل النظر قد انتهت .

هذا هو مذهب الضعفاء والأوزاعي وعطاء والحسن ، وهو اختيار أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري في تفسيره (ج ١ ص ١٨٠ - ١٢١) - خلافاً لمن يقول : المرأة بحضرة المهرام كلها حرة .

والذي اختاره ابن جرير هو مذهب أبي الثعالب والنخعي وغيرهما . ورواه ابن جرير عن ابن عباس ، كما رواه ابن كثير والبيهقي في تفسير آية النور ﴿ وَلَا يَنْدَبِينَ رِجْلَيْنِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

٤ - النظر للعلاج :

والنظر للعلاج : فيباح إلى المواضع التي يحتاج إليها في العلاج فقط ، فهي ضرورة والضرورات تلغى بقدرها ، ويكون النظر للمداواة بحضرة محرم أو زوج ، أو امرأة ثقة ، وبشرط عدم وجود امرأة تقوم بالعلاج بدلاً من الرجل في كفايته اللازمة للعلاج .

٥ - النظر للشهادة :

والنظر من أجل الشهادة للمرأة أو عليها غملاً أو أداء - يعني لكي يعرف الحقيقة فيشهد بها مستقبلاً - أو عند أداء الشهادة فيقول هذه هي المرأة التي رأيتها فصل كتاباً .

٦ - النظر للتعامل :

ويحل نظر الرجل للمرأة كي يشهد عليها ، أو يراها لأنه سيتعامل معها في صناعة أو تجارة أو زراعة .

وفي كل أحوال النظر للشهادة أو التعامل يحل النظر للوجه فقط دون غيره ، إلا عندما تقتضي الشهادة أمراً وراء ذلك ، كالشهادة على الزنا أو الشهادة من المرأة لأخرى لرؤية علامة البلوغ من عانة أو ثدى أو من المحرم للمرأة حين يطلب منه ذلك ولا يوجد من النساء من يفتي عنه في هذا ، ولا أفلتنا نعجز عن الحصول على امرأة مسلمة نخرجنا من حرج الضرورات .

٧ - في تعليم الرجل للمرأة :

كما يحل في الصلح النظر إلى الوجه وحده ، سواء كان تعليمياً صناعياً أو دينياً ، وذلك بشرط المرأة المسلمة ، وعدم الشهوة ، وعدم الخلوة ، والتزام المتعلمة ارتداء الزى الإسلامي .

• حكم من الأجنبية للشهوة :

ومنى حرم النظر حرم المس لأنه أبلغ في اللذة وإثارة الشهوة ، بدليل أنه لو مس فأقول أفطر ، ولو نظر فأقول لم يفطر . وفي الأمر : لأن يزحم أحدكم محترراً مطلقاً بطن أو حياء غير من أن يزحم منكبه منكبة امرأة ، رواه الطبري (١) وعنه (٢) أنه قال : من مس بكفه كف امرأة فكأنما مس جلده قطعة من النار (٣) . ولذا درج الصالحون على ألا يصافحوا النساء إلا مع حائل ، وإذا أحجلوا عن الحائل لم يطيلوا أمد الصافحة خشية أن تتحول إلى منبر ، والفتاء بالنبي ﷺ إذ روى أنه لم يصافح امرأة قط ، وحكم الافتاء بمس النبي الذي لم يصافحه أمر أو نهي قوله أنه فعل مستحب ، فإذا كان هناك نص قاله النبي يصفيه الأمر أو النهي كان العمل به واجباً وليس مجرد سنة مستحبة ، فمن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصافح النساء بالكلام ، بهذه الآية ﴿ عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَنَ بِلَهِّ شَيْئاً ﴾ قالت : وما مسبت

(١) وضعه الفتاوى .

(٢) وهو منصوص على أنه شديد الضعف .

يده امرأة قط إلا امرأة بملكها^(١) ، ولم يصح في الباب إلا هذا الحديث من أقوال الرسول ولكن لم يرد عنه حديث ينهى عن المصافحة بالذات لا صحيح ولا صحيح بالرغم من أن المصافحة عادة اجتماعية كما تعم به البلوى .. ولو صح فيها شيء لاستوفى كتب الصحاح .. وكل ما روي في غير المصافحة لا يحمل عليه المصافحة إلا إذا قصد بها الهوى والشهوى ، لا إظهار الاحترام وقصد التحية ، وهكذا كل المثيرات ، فكل ما حرم نظره متصلاً حرم نظره منفصلاً كشمس وقلمة ظفر من يد المرأة^(٢) حيث تشد انتباه العشاق والمهرومين .

(ب) ودعوى أن الفحري حين يكون عادة يصح غير مثير ، كما أن الحجاب حين يكون عادة لا يمنع الإثارة ، يكذب الواقع . ففي باريس وحديقة هايد بارك وشي حدائق أمريكا مع طول عهد الناس هناك بالاختلاط والفسوق فلا تزال الإثارة الجنسية تعمل عملها ، حتى أصبح الإشباع العلفي في هذه الأماكن عادة ، كما تفعل بعض الطيورانات السفلى ، بينما ترتفع حيوانات أخرى عن ذلك ونطلب المكان البعيد عن رؤية الآخرين عند اللقاء ، وغريزة الجنس - ككل الفرائز - فطرة وطبيعة فنية تأخذ في تكوينها مراحل ثلاثاً :

(١) نظرة وإدراك .

(٢) انفعال عاطفي للمستنظر والمدركات .

(٣) ثم سلوك عملي وانخراط موقف إيجابي نحو المنظور كما قال مكند وجل . فالنظرة مثير للانفعال الذي يتحول إلى حركة واستجابة للحاجة النفسية بانفتاح الشهوة والفلاسة كما رأينا .

وأما قول الكاتب :

« إن المرأة لا يرى الجمال فيقول إعجاباً وتعظيلاً .. » (١) ، فالخلاف من أبسط أصول الدين .

(١) محمد بن أحمد الشريفي الخطيب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع . باب النكاح ج ٤ : ص ٤٣ - ٤٦ ط الأولى ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٢) دراه أحمد ج ٢ ص ١٥٣ - ١٦٤ - ٢٧٠ - ورواه البيهقي في شروط تصدير سورة : ٦٥ - ٢ ملاق - أحكام : ٤٩ - مسلم وإمامه : ٨٨ و ٨٩ وأبو داود إسناده ٩ - والترمذي تصدير سورة (٦٠) ٢ - وابن ماجه (ص : ٤٣) .

(٣) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن ص ٨٧ .

هذه صيغة بالطريقة التي يريدنا وقد أنزلنا في كتابه .. والغاية التي زعمها الكاتب من استشعار عظمة الله وماله من جلال فيها خلق من الجمال - سلوكه إلى الطاعة ، من طريق النصيحة . وقد بدأ قيل : « ليتنا لم نزل ولم تصدق » ، والغاية لا تبيد الوسيلة . ثم إن الذي علينا هو التزام النصوص ولو لم نفهم الحكمة فيها ، سواء كشفت الثمن لنا عن وجه الحكمة ، أم كانت حكمة الله في أن يظل وجه الحكمة خائفاً عنا .. ثم إننا نحن للرؤى والله هو الشافي ، فعلياً أن يخط الدواء ولا يحدد المريض الدواء . ومع هذا الطبيب .

(ج) المرأة التي تلبس الثوب الطويل وتغشى لكاد تخلع ثوبها ، وتلبس بصفحتها غريزة السامع ، آتية أيضاً ، لأن الله حرم كشف العورة كما حرم المثيرات . ﴿ وَلَا تَبْرُجْنَ تَبَرُّجَ فَجْهَبَةِ الْأُولَى ﴾ (الأحزاب : ٢٣) ﴿ وَلَا تَقْفُصْنَ بِالثَّوْبِ لِقَابِ الْبُيْ لِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب : ٣٢) - مها كانت المرأة صالحة ، أو كانت بعيدة عن مظنة إيقاعها في حبال الرجل لمزنتها الاجتهادية التي تسمو بها على مستواه كأمهات المؤمنين ، وكنساء زعماء ودعاة الإسلام .. وكزعيمات الحركة النسائية الإسلامية .. حتى رثة الخلخال وبريق الحل أو الثوب ، مشيرات بحمة ، ﴿ وَلَا يُلْبِسْنَ ذَهَبًا إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ أي ما انكشف في أثناء الفصل كالحاتم ﴿ وَلَا يَتَّبِعْنَ بَزْمَلَهُنَّ يُظْلِمْنَ مَا يُبْلِغْنَ مِنْ ذِينَهُنَّ ﴾ (النور : ٣١) .

وقد ذكر النبي نساء النار فقال : « صنفان من أهل النار لم أرها ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها أبشار الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، وموسن كأسنة البحث المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن ، وإن ربهن ليجود من مسيرة كذا وكذا » .

(د) وقول الكاتب : إن طهارة القلب من الشهوة يجعل المبالغة غريزيات النصوص كما يقتض ^(١) ، يذكرني بقول النبي : في الحديث الصحيح ما معناه : إن الفاجر لو الكافر - يأتي الذنوب كجبال أحد يظنها لإحقيتها كالذياب يقول يده : أهأه هاه .. أي بحركة يده يمكنه أن يدهعه .. والرجل التي يأتي الذنوب الصغير يظنه كجبل

(١) عند جمع المقالات في كتاب أسقط الكاتب هذه العبارة ، وإنما أبقينا المناقشة لوقوع بعض الناس في هذا التهم الخاطئة .

أحد ، وروى ابن ماجه عن ثومان (رض) عن النبي ﷺ أنه قال : « لأعلمن أنوما من أمتي يأتيون يوم القيامة ، بأعمال أمثال جبال تهاجم بياض ، نجعلها الله هباء منثوراً » ، قال ثومان : يا رسول الله صفهم لنا ، جلهم لنا ، لا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال : « أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم » ، يأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا دخلوا بمحارم الله انتهكوها (١) . »

ورحم الله الإمام الغزالي إذ قال : لا تنظر إلى نوع المعصية ولكن انظر إلى عظم من نعصيه ..

هذه هي النظرة التي يجب أن نصاحبنا عند أي مخالفة لمروء الكليات للباركات من كتاب الله وسنة رسوله .. وفتح الباب أمام رحمة الله للتوابع موضوع آخر له لغة أخرى ، لا تدفع إلى الخطيئة إنساناً وأنت تقول له : « الله غفور » .. فإتاك بهذا تحرض على الخطيئة .

ولكن قل للخطيئ : « تغفل عن خطاياك وتعالى إلى الله ، فإنه يمد يده إليك كما تمد الأم لطفلها يدها لتظله من حارها .. والله أرحم بالعبء من الأم بولدها .

(د) وقول الكاتب : « إن الله لا ينظر إلى الأجساد » صحيح ، لكن صحيح أيضاً أننا ننظر إلى الأجساد والأهوال « ونظراتنا لها أثرها فينا .. وأنه مامن باطن إلا وله ظاهر ، فالطبيب عادة يعرف من سفرة حذقة العين أن الإنسان مريض بالمرارة ، ويترفع من شدة السم أو شدة المزال أنها دليل على مرض السكران يشكو أعراضه ، ويعرف من التقيص نوع المرض الداخلي ، هذه هي القاعدة الأصلية .. ثم وراء هذا أمور شاذة أو مكتملة ، لها قواعد المضبوطة التي يجب أن نلاحظ ، مع عدم التخلل عن القواعد العامة الأصلية .. في منطق الدين والطب وثنى العلوم .

كيف والتطيق العلي في عهد النبي ﷺ يدك على أن ماسماه الكاتب « حريات » مقصود تماماً .. وأن هذا الحري بكل صورته هو الذي كان في الجملانية الأولى ، فتبين النبي ﷺ عنه ، ووثق النبي ، فيما يروى أن أمهات عندما دخلت عليه

مرتبة ثوبا شفافاً فقال لها : إذا بلغت المرأة الحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى الوجه والكفين . رواه مسلم .

ودخل بعض النسوة على أم المؤمنين عائشة في ثياب رقيقة فقالت : « إن كنتن مؤمنات فليس هذا ثياب المؤمنات » . فالثياب الشفافة والعارية الصدور ، وما إلى هذا .. ما هو إلا تردد لخدنية العصر الجاهل التي حاربها الإسلام أولاً .. وما قوله : « وَلَيُصْرَبْنَ بِغُفْرَيْنَ عَلَى جُجُوبِهِنَّ » نبياً عن كشف العنق والصدر والكفين حيث يلتصق الخلل جسيماً ، إلا علاج لهذا النوع من الجيوب والصدور العارية وتصنيف الشر والباركة ..

وما قوله تعالى : « قُلْ لَا أَزْوَاجَ لِي وَتِلْكَ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبُهُنَّ » إلا نهي عن التوب القصير كاللبنى جيب والكروجيب .. وليكون التوب كلساً حتى القادمين بأي سبيل للكساء .

(١) الترغيب والترهيب. لعبد العظيم بن عبد القوي القزويني سنة ٦٥٦ هـ - ٣ من ٢٤٢ - ٢٤٣ الطبعة الثالثة للطبع سنة ١٩٦٨ .

خاتمة

في هذه الفصول الثمانية أتيت لثمة فرصة للتعرف على حقائق هامة لابد للمسلم من أن يعيها .

في الفصل الأول ، عدة المفسر ، تناولنا ما يجب على المفسر أن يعلمه ، وبيننا أهمية الإلمام التام بالقرآن وقراءاته حتى الشاذ منها ، فإنها على الأقل تعطينا ضوءاً من أضواء التفسير والفهم ، وأشرنا إلى أهمية التفرغ من علوم اللغة العربية بكافة فروعها . فإن الحراف كثير من الفرق والأفراد إنما يرجعون إلى الجهل بالحقائق واللغوي من أساليب القرآن ، وذكرنا ضرورة التعرف على أسباب نزول الآيات التي ارتبطت بظروف بسبب ، وعلى مناهج البحث في الشريعة الإسلامية ، سواء ما يسمى « أصول الفقه » أو « مصطلح الحديث » أو « علم الرجال » وبيننا ضرورة الدراسة الواسعة للبيئة التي نزل فيها القرآن ، فهي أم الصور البيانية للغة القرآنية ، وكذا دراسة السيرة النبوية ، لتعرف كيفية التطبيق للتصوير ، ونزيل بفعل رسول الله ﷺ الكلام عما له يشبه علينا فيه الأمر من المهام .

وعرفنا وجوب الالتفات على العلوم الكونية والاجتماعية والفنية والصوفية ، وكل ما خلق الله من معارف سألها إلى البشر ، لأنها تعطينا شواهد تزيدنا يقيناً بمنزل الكتاب وصدق آياته ، وهي في ذاتها بيان وأضواء لحقيقة أمها القرآن .

وذكرنا اتفاق المسلمين على أن القنوى لا تؤخذ إلا من ذرع هذا بممارسة العمل بأحكام الشريعة فتكشف له العلاقة التي بين النص والتطبيق ، ويتدفق وتنشأ روحه من طول الاتصاف بالقرآن والنشأة في حضرة طيبة حقائقه العليا ، فيشرك من الأسرار ما لا يدركه الواقفون على شاطئ البحر يتفجرون على الغواصين ويرتقون ما يطرعه البحر لهم من أعماقه على سطحه .

وتناولنا في هذا الفصل الفرق بين حرية الإنسان في أن يفهم من كتاب الله بقدر استعداده ومواهبه ما شاء ، وبين نشر مفهومه على الناس دون تثبت والالتزام بالشروط

الواجب توفرها لمن يتعرض للتفسير ، كما ألقنا إلى خطورة الاتجاه إلى إخضاع القرآن لما تسميه « النظريات العلمية الحديثة » أو « سبق القرآن للعلوم » وهي نظريات قابلة للتطور والتغير والبطالان ، ووضحنا أثر هذا المنهج في تقويض المسيحية وثورة العلم ورجاله على الكعبة في الغرب حين أقحمت على الحقائق السماوية مقررات علمية خلفت عليها صفة الوحي ، ثم تطور الفكر والكشف العلمي بما ناقض هذه المقررات العلمية التي خلقت بحقائق الوحي السماوية ، مما كان له أبعد الأثر في رواج الإلحاد بالغرب .

وفي الفصل الثاني :

تناولنا القرآن وإعجازه : وفيه تحدثنا عما سماه مصطلح محمود موسى القرآن وبيننا أول شطحياته وهي قوله : إن السور المفتحة بحروف هجائية مقطعة كأنها مفاتيح الشفرة . ولم يكن النبي على علم بها ، وذكرنا سبعة أوجه في تفسيرها ، وبيننا الخطأ في حذف الكاتب الذي يجهل شيء من القرآن ، لأنه لا ينبغي أن يكون المتحدث الرسمي عن بيان الإلهي جاهلاً بشيء مما يذيعه على الناس ، وأضفنا إلى هذا ما لم ننته الشاطيء . على الكاتب وأمثاله من تجديهم كلمات الشعر ولغة العصر كقولهم « سبغونية القرآن » أو « المعيار القرآني » وما وقع لمصطلحي محمود من اضطراب موضوعي حول قوله « القرآن ليس كتاب علم ولا فلسفة ولا سياسة » ثم يقول : إن التوحيد في القرآن نشأت عنه كل أعداد المعارف والعلوم وهو بذلك على علوم لم تعلم بعد ... الخ .

ثم تناولنا الحديث عن عجز إعجاز القرآن وما يضرب به المثل للإعجاز العلمي : مثل تقديم السبع على البصر في الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ الشَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ (المجادلة : ٩) ومثل حديثه من قوة حيوط التنكيوت في الآية ﴿ تَكْمُلُ الْمُتَكَبِّرَاتِ أَشْجَلَتْ تَيْتًا ﴾ وذكرنا وجه الخطأ في التفسير لا الحقيقة العلمية من حديث إن تفسيره يعلمنا عن الفرض التصوري للآية .

ثم تناولنا الكشف الصوري لغير محجب مطمئ ، وبيننا أنه « لا يعلم الغيب إلا الله » .

وفي الفصل الثالث :

تناولنا قضية التوحيد ، وفيها تعرضنا إلى نظرية الفيض أو العلة والسببية التي تورط

لها الكثيرون ، ومنهم بعض الصوفية الذين يأخذ عنهم الكاتب بعض عباراتهم ، ويبتدع فساد هذا الاتجاه ، وعرضنا للبحث عن أسماء الله الحسنى وتورط الكاتب في خلط ألقاب على الله لا تليق بجلاله مثل : هو المعلم الأول ، وهو يذكركنا بالمدرس الأول ، ومثل تعريف معنى أسماء الله كشرحه « النور » في قوله سبحانه ﴿ في الله نور السماوات ﴾ بأنه النور المبدئى ترى به الأشياء ، وشرحه « القيوم » بأنه الذى به تقوم الحياة ، فهو قيوم ، وبيننا بطلان التفسير ، إذا أراد بكلمة (به) ما يقوله الفلاسفة من أن كل حافى الحياة من أشياء ذات اتصال بذاته ، سواء من يعنى بهذا أنه ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون ﴾ هو الحياة والكون بما فيه ، ومن فيه ، وأن الكون بوجوده هو المظهر للألوهية ، أو من يعنى أنه (سبحانه) علته الكون .

وعرضنا لدعوى المجرة في الإسلام ، وأنها من مكان إلى مكان ابتغاء وجه الله ، وفساد دعوى الصوفية أن المجرة المكانية أمر خطير ، كما عرضنا لدعوى أن الصوفى لا يشعر بعمله الصالح ، وبيننا التفسير الخاطئ لحم في الآية ﴿ وَالْفَصْلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ . كما بينا بطلان القول بأن المتصوف واليوسى والراغب كلهم حل درب واحد . والقول بأن جميع أهل الكتاب من يهود ونصارى ومسلمين على هدى ، وذكرنا التفسير الصحيح للآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ زَعَمُوا صَالِحًا قُلْهُمْ أَجْرُهُمْ جُنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة : ١٧٧) . كما بينا فساد القول بأن الصوفية في ارتضايتهم تباين مشارب أصحابهم بين تارك للشهوات وعازف عن الزواج على قدم عيسى ، وأتباعه بالحق والعدل والقول على قدم موسى ، الخ .

وعرضنا لبشرية النبي وبطلان قول من قالوا : النبوة أمر غير بشرى في ذاتها ، حقيقتها ليست بشرية ، وقد سئرت الذات بأفعال البشر ثم عرضنا إلى الإدراك الصوفى ودعوى أنه فوق إدراك النفس والعقل ، وبه اتجاه الصوفى ، وبيننا أن المدعى الصوفى وإلهامه ليس حجة شرعية ، كما عرضنا إلى تفسير الجهاد بأنه جهاد النفس ، إلى امتناع الصوفى عن دهاء وبه أن يكشف عنه الضرر .

وعرضنا لدم الصوفية علم الفقهاء والمحدثين والنسرية يلساند روايتهم للحديث ، وبيننا أن الرواية قديماً منهج علمى ، نظيره الآن إثبات المراسع في البحوث العلمية . وعرضنا لعدد أسماء الله الحسنى ووقع الكاتب في الأخذ عن الكنائس بما يشعر أن

كنتم أغرب مادة في باب أسماء الله ، وهكذا بينا وجه المغالطة في بيان فصل المذكور وعلاقته بالنجاة يوم القيامة وأن فضله على الصلاة لا يمنع ختميتها وأنه بدونها لا ينجو الفاكرون من عذاب الله . ثم عرضنا لبيان عدم الكهنوت في الإسلام ، وأن الناس ينوء جميعاً وعباد الرحمن ، وسقطات الكاتب في حديثه عن امرأتى نوح ولوط عليهما السلام واتهامها بالزانية الزوجية ، وفي حديثه عن الحدود ، وزعمه أنها تسقط بتوبة اللهم أمام الحاكم ، وبيننا خطأ الكاتب في تفسيره للسرقة بأنه مظهر للبطلية ، وفي تجريحه خلفاء بني أمية بأنهم جعلوا قصورهم سارج للتمتع الحسية على الطريقة الفارسية .

وفى الفصل الرابع :

تحدثنا عن الإنسان أهو مسير أم مخير ؟ وسقوط الكاتب فيها هو شائع من النهى عن الحديث في القدر ، وبما المراد من هذا النهى وبيننا كيف يهدم الكاتب بنفسه مذهبه القائل بأن الإنسان ابن بيته وابن عصره وابن مجتمعه ، بعد أن قال : الإنسان عندى مخير على ما بطل .

ثم تناولنا مشكلة الخربة والكفاف التى أثيرت في كتاب « لغز الموت » وناقشنا قول من يقول : « ولا يمن للفقارى أن يصرخ لأنه لا يملك إلا الكفاف » ، وبيننا إلى أن هناك فرقاً بين الكفاف والجفاف ، ودعاء النهى « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » .

كما ناقشنا - في حديثنا عن منطق المعجز - تفسيره آيات الليل ﴿ فسبحوه لليلى ﴾ أو ﴿ فسبحوه للسرى ﴾ وآية الفتح ١٨ ، وآية الأنفال ١٨ وآية الصف ١٠ . وقد استشهد بها في غير المواضع التى هي شواهد لها .

كما وجهنا النظر إلى التصحيح - أى تبديل بعض الكلمات أو الحروف في الآيات - ووضحنا الفرق بين طبيعة العلم الذى نعلمه والعلم الذى هو صفة الله تتكشف بها الموجودات على ما هي عليه : وصورتنا الخطأ في قوله : « إن ما يدور في القلب هو موضوع للماسبة بالدرجة الأولى ، وليس ما يجرى على مسرح الفعل » ، والخطأ في تقليد الكنائس واتباع مصطلحاتهم مثل : « القلب أو الروح » « قدس أنداس » ، ثم بينا أن ما قاله عن مكان « الروح » قول لم يفتق عليه الفلاسفة ، وأن الكاتب يناقض نفسه

يقول : الله يدع القلب حراً ويقول : (فهو يحول بين المرء ونفسه) ، وعرضنا الآية ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء ونفسه ﴾ عند المفسرين .

وفي الفصل الخامس :

لغز آدم وحواء : كان الحديث عن نظرية داروين وبطلانها بعبارة جيدة قولاً وصفاً الله بأنه : القنان وأنه يفكر ويحس ، وأنه : العقل الكلي ، وقد يقول ﴿ وَخَرُّوا الْمَلَيْنِ يَلْعَنُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ولولا إيهام عبارته التفرقة بين القرآن وبين كلام الله ، ولأن في القرآن ما لا يفهم .

وتناولنا القرآن ونشأة العالم ، وما تعرض له القرآن من الآيات الكونية كالسديم ، وكروية الأرض ، ومسارات الكواكب ، والهباء الجولية ، وخلق الإنسان والحيوان ، ونظرية التطور ، وتفسير الأيام في قوله سبحانه ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ وَعْدُهُ مَخْمُومِينَ أَهْلَهُ سَبَّوْا ﴾ بأنها لغز الأرملة الجيولوجية ، وتفسير آية الأعراف : بأنها معنى خلق الإنسان على مراحل زمنية ، ثم نخلص إلى أن جاء آدم عبر مراحل من التخليق والتصوير والصورة استغرقت ملايين السنين بزماننا وأيامنا بزمان الله ، وكلنا نفسير الآية ﴿ أَلَمْ يَخْلُقْ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ بأنه هدى مسيرة التطور حتى بلغت ذروتها ، ثم لتفريز أن آدم الأول يحاكي آدم الصورة والثال الذي خلقه الله في للكون ، فهو آدم جديد ، ولقد بينا فساد هذه التأويلات .

ثم كان تساؤل : هل الأكل من الشجرة أمر رمزي ، وتفسير الشجرة بأنها شجرة النخل كما ادعى مصطفى محمود ، ثم تفسير جنة آدم بأنها جنة ممنوعة ، وتفسير (أهبطوا) بأن ضمير الجمع يعنى آدم وحواء والجن في بطنها .

واستشهد الكاتب بنص في التوراة هل معنى الاستنار والعمرة يعارضه القرآن ، ولقد رددناه إلى الصواب ، وكان الكاتب مهذباً حين أظن رجوعه إلى الصواب عندما أعاد طبع ما نشره ، وإن كان في توبته لم يزل مشوش الفكر ، فلم يكن حازماً ، ولكنه يعمل ما قاله المفسرون القدماء والمعاصرون جازئاً ، وجزئاً فقط . ثم يسقط مرة أخرى في وصفه الله بأنه : الحق المطلق ، وصفاً لا على سبيل التمثيل ولكن على سبيل القصر ، وفارنا هذا القول بقول الباطنية .

.. ويسقط في تفسير الوحي بإقراره قول الملاحدة بأنه صورة من نشاط عقل باطن

اتضح علماً على : الحقيقة المطلقة : وبيناً أقوال المفسرين وحديث الرسول في طرق نزول الوحي ، كما بينا قيمة الإلهام وحقيقته وأنه ليس وحياً .

وبينا فساد قول الكاتب في (لغز الموت) إن الوحي يأتي الأنبياء بين الناس والنبوة كإلهام العاقرة مع الفارق في الدرجة ، ونجسنا الفصل بالحديث عن ختان آدم وربط الكاتب له بالخطيئة الأولى ، وأنه محاولة من آدم للتكفير عنها ، ثم أصبحت تقليداً دينياً ، وبيناً هذا الزعم .

في الفصل السادس : التوبيخات :

ومن السقطات التي يراها تفسير الملائكة الذين يحصلون العرش بالقوانين الفيزيائية ، وهكذا يخطأ القول بأنه لا تعدد لياقات الملك وكفائاته ووظائفه كما تعدد وظائف الإنسان ، وخطأ الشك في حديث رؤية النبي لجبريل في صورته الحقيقية مرتين ، وبيناً كيف أخطأ الكاتب في المكان الذي روى أن النبي رأى جبريل فيه يملأ الألف ، فقد كان في حراء ، لا كما يزعم الكاتب أنه بالبلخ ، ومن الخطأ دعوى أن في البشرية من رأى الجن والملائكة والشفطين شهوداً ، فقد روى هذا في الملائكة والجن بصور تشكلوا فيها ، أما الشياطين فالقرآن يقول : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ وبدون دليل قال الكاتب : الملائكة لا يملكون ، بالرغم من عموم الآية ﴿ كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ . وفي الحديث عن لغة النمل كانت عبارة الكاتب غير واضحة بمراده إذ قال : إدراك لغة لسلطان مثل إدراك سليمان لله ، فليس بظاهر وجه الشبه : ثم وهم الكاتب قاطع عرافات الإسرائيليين المروية عن السحر وتاريخه ببابل ، وذكرنا قول المفسرين في هذا ، وقد أضمن في الخطأ إذ قال - بدون رواية صحيحة ولا أثر تاريخي - إن السامري صنع العجل بالشعر ، وجرى في تفسير سورة الفلق مجرى ذكرنا ما يقابله من تفسير الإمام محمد عبده والبيضاوي في ﴿ التفافات في القدر ﴾ ومن القليل المبرح ، فسر بالقوانين الفيزيائية (الطبيعية) التي تمنع وتضبط وتحفظ لكل شيء حدوده : وذكرنا وجه الجمع بين قول قدامى المفسرين والمعاصرين .

ومن التيب : الفلم ، وبيناً ضعف قول الكاتب : « وأغلب الظن أنه ليس قلنا الذي نكتب به المقالات » ، ومن التيب الحو والإثبات الذي في الآية ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُكَلِّمُ ﴾ . وبيناً فساد قول الكاتب : « إن الآية دلالة على صحة المغفرة بدرجة تصل إلى اللامعقول ، إل عمر القدر المقدور » .

وعرضنا لتفسير الكاتب الآية الحج : ٤٧ ﴿يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ، وبيننا أن الآية في موضوع غير ما استشهد له بالآية .

ومن الغيب القيامة : وقد فسرها بجلى الله بذاته ، وذكرنا أن التفسير لم يرد في الشرع ، وهو تدخل في معرفة كيفية وقوعها ، ثم ذكرنا علامات الساعة واستشهاد الكاتب بما في الإنجيل عن النسخان وضعفه ، وذكرنا التأويل لأجور وملجوج واعتبار السد رمزاً للجهل ، وبيننا فساد هذا التأويل .

وقد أخذت بنت الشاطئ ، على الكاتب قوله إن ذلك الجبال يوم القيامة تشير إليه الآية ﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَغِيظُ مِنَ غَضَبِهِ أَهْلٌ﴾ ، بينا الآية في قوم موسى عليه السلام . ومن الغيب الإيمان بالبعث بعد الموت ، وقد بينا العلة في اختيار اللفظ القرآني ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ بدلا من «ستموت» على وجه أفضل وأقرب مما غاله الكاتب ، كما بينا تفسير المراد بالروح في الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ وأنها هي القرآن .

وعرضنا للقول بأن القرآن لا يحفل بالأمور المتغيرة ويتركها لأصحابها بمتهدون فيها ، وبيننا أنه معلن بخفي في القرآن ، فقد وطبع الأصول العامة التي توفر لكل أمر من الأمور في أي وقت من الأوقات الحل المناسب .

ثم طعننا كتاب لفر الموت ، وفيه عرض لفكرته عن الموت والبعث والزمن والمحب والفضاء والقدر وبيننا فساد فكرته عن كيفية الموت بأنه عملية طبيعية ناشئة عن موت الخلايا ، وفساد فكرة «البقاء للأصلح» ، وفساد تصوره لتعصب بأنه دافع الحرب من الموت والتشبث بالحياة ، فيستعين المرء بالمرأة بحيا أو بأطفاله بحميم الخ ، وفساد تصوره الشعور بالذات أو «الأنا» موجوداً وفي عدسة العقل والقلب ، وبيننا فساد سلوكه مسلك أنشئين في تفسير الزمن وعلاقه بالمادة بأن كلاً منها إحدى القناتين التي يتألف منها نسج الكائن الحي ، وفساد تغير الكاتب للزمن .

ول الفصل السابع : الجنة والجحيم :

بيننا بطلان قول الكاتب (كل ما جاء في الجنة والجحيم ألوان من ضرب للثال والرمز) وقوله (إن الله لا يعذبك ولكن تعذب نفسك بجهلك) و(إن هذا الصخر هو الذي سيغيب ويحرق) وقوله : «وإنما يأتي العذاب واحترق الصدور من يسلم من» هو في أسافل الدرجات بالغيرة والحسد والموان ، وسوف يحرق هذا الإحساس

المصور كما نحرقتها النار وأكثر ، وسوف يكون هذا النكال والتنكيل ، نكل الواحد منا بنفسه بالفرجة التي وضع منها نفسه ، وذكرنا الدلائل على وجود عذاب ونعيم حسيين إلى جانب العذاب والنعيم النفسانيين والمعنويين ، وذكرنا قوى الإمام الغزالي فيمن يتكبرون الجزء الآخر المادي .

ثم ناقشنا الكاتب في تفسيره جنة آدم والعودة إليها بأنها «جنة الطاعة والإسلام للتوحيديين الإلهية» ، وهذه هي الإنابة والرجعة التي تكرر في القرآن ، وتفسير حوار الكفار في النار ويان بطلان الاستشهاد به على عدم وجود نار حسيّة للعذاب في الجحيم وبيننا بمنطق العلم عدم المفارقة فيما روى عن ضخامة أشجار الجنة وسعتها وعظم أجسام الكفار ، وبيننا سقوط الكاتب في إنكار الخروج من النار بعد الدخول ، وبيننا بإمكان أن يكون في الجنة والنار مالا عين رأت ، وبيننا حفيضة مرجع اسم الإلهارة في ذلك الذي يخوف الله به عباده^(١) . وبيننا لسناد تفسير الكاتب الآية ﴿كَفَىٰ بِتَفَسُّلِكَ الْيَوْمِ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ بأنها تعني حساب النفس للنفس دون أن يحاسبها الله بنفسه وأن يعذبها وبيننا للغزى العلمي للآية كما قال العليمون ورأينا في قولهم ، وبيننا إمكانية الحساب للموتى بمنطق العلم الحديث ، وتناولنا حديث النار والأرواح ليل أن تتلقى الأشباح ، ونعجب للكاتب من أن ينظر الله إلى المخطئين بعين غاضبة .

ول الفصل الثامن : الحلال والحرام :

تناولنا مدار التحريم والحلل ، وبيننا تناقض الكاتب في قوله (واقد يعلم ونحن لا نعلم) ثم قوله «إن غرض البصر أمر صعب في مثل شارع سليمان باشا ولا ضرر فيه إلا أن تكون النظرات عينية» وبمثل حكاية القسطنطين الطويل والأحكام والفصير الأحكام ، وإن التمرى لشهوة هو الذنب ، أما اختيار زى فجرد التوافق مع العصر فهو ما يفترض ، وبيننا بطلان هذه القضية من حيث الشكل والموضوع .

وذكرنا قاعدة (سد الدوايح) في الإسلام وقول الفقهاء ، إن النظر إلى المرأة على سبحة ضرب . وذكرنا حكم سر الأجنبية للشهوة ، وفساد قول الكاتب «إن طهارة القلب من الشهوة يعمل مخالفة لحرفيات النصوص مما يفترض» .

ولم يعمم هذه الدراسة أودعنا كل كلمة جميلة فيها طمأنينة للكاتب ، لأنني أعدت
الكاتب المخلص شريكاً في بعث الحقيقة ونشيد بناء الفكر النظيف ، وأعتقد أنا شركاء
في واجب البحث عن الحقيقة وإيلائها طلابها ومن هم في حاجة إليها - ولو لم يطلبوها
- في ظلال الحب والإخاء . فالحلم أجمل ما كتبناه عملاً نافعاً تحت راية القرآن .

فهرس الکتاب

فهرس الکتاب

رقم الصفحة

الموضوع

٥ مقدمة

الفصل الأول

٩ غلّة المفسر

١١ الاتجاه نحو التفاسير العصرية

١٤ ما يجب على المفسر

٢٣ سؤال وجواب

٢٥ الفصل الثاني

٢٧ ١ - في الموسيقى القرآنية

٣١ ٢ - لماذا كان إعجاز القرآن ؟

الفصل الثالث

٣٧ التوحيد

٣٩ لا إله إلا الله

٤٣ أسماء الله

٦٢ رب واحد ودين واحد

٦٤ لا كهنوت

٦٧ بيان مقتضات الكتاب

الفصل الرابع

- الإنسان غير أم مسير ؟ ٧٣
- مذاهب الحتمية ٨٦
- مشكلة الحرية والكفالة ٨٦
- النقد ٨٦

الفصل الخامس

- لغز آدم وحواء ٩٥
- أهي قصة الخلق أم لغز آدم وحواء ٩٧
- القرآن ونشأة العالم ١٠٠
- نقد الكتاب ١٠١

الفصل السادس

- الغيبات ١٢٩
- عالم الملائكة والشياطين والجن والمردة ١٣١
- يوم القيامة ١٤٢
- البعث ١٤٩
- عن كتاب لغز الموت ١٥٤
- مناقشة الكتاب ١٥٨

الفصل السابع

- الجنة والجحيم ١٦١
- بطلان تأويل النعيم والعذاب ؟ ١٧٥
- عودة إلى جنة آدم ١٧٧
- أداة الكاتب على علم وجود نار وجنة ١٨١
- في الحساب ١٨٧
- حديث الثر ١٩٥

الفصل الثامن

- الحلال والحرام ١٩٩
- عائلة ٢١٠
- القهر من ٢١١

في تاريخ

الكتاب

- ٢٧١ - ...
- ٢٧٢ - ...
- ٢٧٣ - ...
- ٢٧٤ - ...
- ٢٧٥ - ...
- ٢٧٦ - ...
- ٢٧٧ - ...
- ٢٧٨ - ...
- ٢٧٩ - ...
- ٢٨٠ - ...

رقم الإيداع ١٩٧٦/٥٥٨٠

الترقيم الدولي ٠ - ٥٩ - ٧٠٦٥ ISBN

دار النشر للطباعة والإستيتة

٥ - شارع فلسطين، شارع التحرير، القاهرة

٧٧٣٤٤١٠٥